

إنسان فرینیا



ببليومانيا للنشر والتوزيع

الطبعة الرابعة
2019



نوع العمل: رواية

اسم العمل: إنسانفريشيا

اسم المؤلف: أحمد عماد

تدقيق لغوي: فريق ببليومانيا

اعداد ومراجعة: فريق ببليومانيا

الغلاف: فريق ببليومانيا

رقم الإيداع: 2018/19815

الترقيم الدولي (ISBN): 978-977-6607-56-6

الناشر / دار ببليومانيا للنشر والتوزيع

المدير العام / جمال سليمان

تليفون / 26061014 (+20)

هاتف محمول / 1208868826 (+20) - 1065534541 (+20)

صفحة الدار على موقع فيسبوك:

<https://www.facebook.com/bibliomania.eg/>

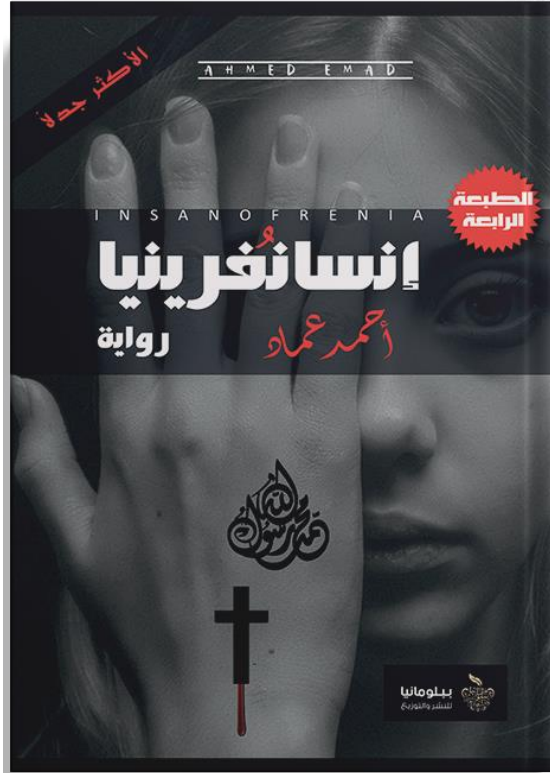
الموقع الإلكتروني: www.ebibliomania.com

الطبعة الأولى 1440 هـ - 2018 م

تنويه: ما ورد في هذا الكتاب يعبر فقط عن وجهة نظر كاتبه



إنسان فرينيا



رواية
أحمد عماد



بسم الله الرحمن الرحيم

ملحوظة: أحداث تلك الرواية من وحي خيال الكاتب ، وأي تشابه أو تطابق بينها وبين الواقع...مصلحة...على رأي (أحمد مكي)

إهداء

*إهداء خاص:

_ إلى روح أبي ، أغلى من في الوجود ، فقد بكى الحجر والشجر لفراقك ، رحمك الله يا أبي وأسكنك فسيح جناته..

إلى ابني وقرة عيني وحياتي ، ستعرف يوماً ما لماذا أخاف عليك دومًا ، حفظك الله ورعاك ، يا أغلى الناس ، << نور عين بابا >>..

إلى أخي الأصغر ، وابني الأكبر ، وصديقي الوفي ، رائحة أبي تفوح منك ، وأستنشقها دائماً بجوارك ، إنني أحبك وأراه فيك دائماً..

*النساء في حياتي:

إلى **أمي** العزيزة الغالية ، أنا أنتفس بوجودك ، أعظم نساء الكون ، حفظك الله ، وأدامك علينا نعمة فوق رؤوسنا ..

أمي الثانية ، أختي الحنون ، وصديقي الوفي ، بين يديك راحة البال لها معنى آخر..

زوجتي الغالية ، ورفيقة دربي ، من أكدت لي أن السند هو المعنى الحقيقي للحب...

*إلى صديقي العزيز والأب الروحي ((أشرف جميل)) ، الذى عشمى بالقليل ثم أعطاني الكثير ، بارك الله في صحتك ..

*إلى عمي وأخي الأكبر ((أحمد إسماعيل)) ، مجلسك طاقة سعادة لا تنتهى
إهداء خاص

((أشرف عبد المغني - محمد السيد - أحمد بدري)).

*إلى ((أصدقائي القدامى المقربين)) ، الذين يعرفون أنفسهم بمجرد وقوع نظرهم علي تلك الكلمات ..

إهداء من نوع خاص:

* تلك المنضدة الدائرية ، ذات الأقدام القصيرة ، ((الطبلية)) ، التي تحملتني سنوات ، حتى اكتمل العمل ، شكرًا لك ..

* هذا الفنجان فاقد اليد ، سامحني لأننى سبب كسرک ، من عانق شفتي ، وكان سببًا لتحفيزي وسعادتي بعد كل رشفة قهوة منك ..

* آلتى الموسيقى ((الكمبان)) صاحبة الصوت الحنون ، من علمتني لحن الحياة ، أعشق صوتك مليًا ، ليتك بجواري ، لكنني أعشقك قبل حتى أن أقنيتك ..

* مكتبتى الخاصة ، الأم الحاضنة لأصدقائي الأوفياء ، لعلمي أضيف لك عملاً أظنه جيداً ، قدر مستواك روايتي ((إنسانفريديا)).

* وإهداء أخير إلى كل ((إنسان)) ، وإليك يا من تقرأ هذه الرواية ، وإلى ((محبة)) ، بطلة روايتي ..

(مَحَبَّة)

(الفصل الأول)

يقف عقرب الدقائق متأهباً ، في انتظار الإشارة من العقرب الأسرع ، فيلقي بها إلى أقصرهم ليعلن عن انتهاء عام 2010 ، وببشر بقدوم الذي يليه ، ولم يتبقى لتلك الإشارة إلا ثانية واحدة 2010/12/31 - الساعة 11:59 وتطل على أرجاء المحروسة نسائم عام جديد ، والجميع يرتجي من الله أن يجعله عاماً طيباً سعيداً على مصر والمصريين ، وفي حين يصطف الشعب المصري بجميع طوائفه إحتفالاً بقدوم عامهم الجديد كالعادة ، الفرح يصفو شوارع وأحياء مصر ، والإحتفالات تملأ منازلهم - الكل كما يترائي له - ، لكن الأمر كان ذو طابع أكثر حيوية في شوارع الأسكندرية ، التي يتخللها نسمات من روائح الجنة ، مع إجتياح للبرودة الشاعرية التي تنبعث من شواطئها ، حيث يطل ضوء النهار في منتصف شتاء ليس له مثيل ، يميزه السكون والرقى والهدوء الجاذب للمشاعر الإيجابية ، ولا سيما ليلها الشتوي الساحر العميق ، حقاً ما أروع سحرها "بديع" وكأنها جنة الله على أرضه.

احتشد المسيحيون عند كنائسهم للقيام باحتفالات العيد ، ورد العديد من شتى الأنحاء إلى (كنيسة القديسين) التي تقطن في شارع سيدي بشر ، امتلأت الشوارع أمام الكنيسة ، مسلمون ومسيحيون ، يتخلل هذا الحشد العديد من الأفراد ذوي الرداء

الأبيض والأسود من شرطة المدينة تأميناً للحفل طبقاً للخطط الموضوعة مسبقاً من وزارة الداخلية لتأمين الكنائس ، وبالطبع وجود قوات من أمن الدولة لمواجهة أي خطر يحول دون فرحة العيد ، ووضعت الحواجز واستقرت الكمائن وتمركزت ، في انتظار مرور مدير أمن الأسكندرية للاطمئنان ومباشرة سير خطة التأمين .

تقدم موكب يتجه من مديرية الأمن قاصدا كنيسة القديسين ، حينها كان السيد مدير أمن الأسكندرية اللواء (عمر نصر الدين) واحداً من أعنى رجال الداخلية ، تميز بحسن السيرة والشرف والعدل ونظافة اليد ، منذ أن كان ضابطاً مبتدئاً وهو يراعي ويضع القسم الذي أداه قبل الخدمة نصب عينيه ، النزاهة والصرامة وحسن التقدير وامتيازه ما أثر إيجابياً على مشواره المهني ، خدم سنين عديدة في جهاز أمن الدولة ، إلى أن نصب مديراً لأمن إحدى أكبر مدن مصر ، حينها كلف اللواء عمر نصر الدين أحد مساعديه في شئون الأمن على الإشراف والتدقيق على سير الخطة الأمنية ، ورغم تناقل حجم مسؤولياته إلا أنه كان يباشر أكثر العمليات بنفسه ، ويضع نفسه أول الصفوف ، ويقف في وسط المعركة قبل الجندي .

.....

_الساعة الآن (12:00) ، يفارق عام 2010 ويهل عاماً جديداً ، تعلق تلك الثانية أصواتاً بالسعادة والدعاء ، يدوي في الفضاء صوت الألعاب النارية التي تنتظر الثانية الأخيرة حتى تنطلق ، البهجة والسرور يحيطان المكان ، حال جميع نواحي المحروسة ولاسيما كنيسة

القديسين بالأسكندرية ، وبعد مرور عشر دقائق ، الساعة (12:10) تقدمت إحدى السيارات مجهولة الهوية ، لا يوجد عليها لوحات معدنية ، زجاجها غامق ، تسير ببطء ، لم تظهر وقتها أية شكوك ، على ما يبدو أنه ضابط حديث التخرج ، كثيراً ما يقومون بتلك الأفعال ، نزل شخصين من تلك السيارة قاصدين إتجاه الجندي الحراسة الذي يلزم موقعه على إحدى جنبات الطريق ، يحمل سلاحاً آلياً ، لاحظ الجندي أمرهم ، وقبل أن يسألهم على هويتهما ، نزل آخر من سيارة فارغة كانت تقف أمامهم قرب باحة الكنيسة الخلفية فأردف قائلاً وهو باتجاه الجندي :

“أيوه يابني تبعنا دول زملا“

وقعت الكلمات على أذن الضابط برتبة ملازم المستقر مع جنوده في ذات المنطقة موجهاً نظره باتجاه الصوت ، فهم واقفاً يدب بحذائه وهو يرسم التحية العسكرية بيده على جبهته هيبة واحتراماً لذلك الرجل الذي يبدو عليه من النسر والثلاث نجوم أعلى كتفيه أنه رتبة لا يستهان بها بالوزارة ، ينظر الجندي إلى المشهد أمامه وما فعله قائده الضابط ، فلم يكن بمقدوره إلا أن تبعه وقلده فيما فعل .

_تقدم هذا العميد الذي لم تظهر ملامحه حتى الآن مع الشخصين الزائرين القادمين من سيارتهما التي تبعد قليلاً عند بداية الحواجز الأمنية ، تقابلًا في المنتصف مستكملين في اتجاههم نحو الخارج باتجاه السيارة ، لم تمر دقائق معدودة ثم أخذ العميد بالرجوع باتجاه

سيارته التي تحاذي باحة الكنيسة وقبل فتح باب السيارة أخرج سيجاراً فاخراً من جيبه ، أشعلها وركب السيارة في حين غادر الزائرين بسيارتهم المجهولة الهوية .

_أبلغ العميد (فيكتور نخيلة) جميع الكمائن أن هناك إخبارية بوجود عناصر إرهابية تفوح رائحتها بالقرب من دائرة سيدي جابر ، ومن الممكن استهداف بعض الأماكن الحيوية ، وقد تلقى العميد فيكتور الأوامر برفع حالة الطوارئ والحث على التيقظ الدائم .

وصلت الإخبارية في الحال عن طريق جهاز اللاسلكي مع الحرس الخاص لمدير الأمن اللواء "عمر نصر" ، توجه عمر نصر في الحال إلى الباب الرئيسي للكنيسة لأنه أدرك أن الأمر أوشك على الحدوث ، وفي حوالي الساعة (12:15) سُمع دوى انفجار في أقصى الشارع لسيارة ارتفعت من شدة الانفجار من ثلاثة إلى أربعة أمتار فوق سطح الأرض ، سقطت على إحدى جانبيها ، تناثرت أجزائها المشتعلة ، وما تبقى لم يكن به جزء لم تشب فيه النيران .

_حالة من الارتباك و الذعر انتابت بعض أفراد وعناصر الأمن ، توجه العديد في الحال باتجاه السيارة محل الانفجار من شتى الكمائن المتمركزة حول الكنيسة ، نحو زاوية الشارع .

لم يمر سوى القليل حتى كانت قدما اللواء عمر نصر قد استقروا أمام سيارته لمجابهة الحادث ، فجأة وعلى مقربة من الكمين المقام في باحة البوابة الرئيسية للكنيسة وبالقرب

من سيارة عمر نصر ، يتلقى الكمين انفجاراً ثانياً هائلاً وكأنها قطعة لـب توجهت في وسط الكمين ، لم يتبين هل هو ناتج عن عبوة ناسفة أم عملية انتحارية والتي كانت أقرب إلى البحث .

تناثرت الأشياء في باحة الكنيسة وساحتها وذهب العديد من المصريين ضحايا الحادث الإرهابي المشين ، كما لم يسلم "عمر نصر" ذاته من غدر الإرهاب ، فقد لحقته إحدى الشظايا الناتجة عن الانفجار في كتفه ويده ، لكن الإصابة لم تكن بالغة ، التفت حوله بعض قيادات الأمن والحرس الخاص الذي ناله جزء كبير من الضرر ونقلوه بعيداً قليلاً عن النيران ، لم يصل إلحاحهم بضرورة الذهاب بمدير الأمن للمستشفى إلى نتيجة ، أصر على البقاء على أطلال التفجير وأشلاء الضحايا بعدما ضمدت جراحه وقتياً ببعض محاولات الإسعافات الأولية ، ورغم ذلك كان يحمل جثث الضحايا بيده التي سلمت من الأذى مع الأفراد ، كان كل ما يدور في ذهنه هو عدم إفلات الجناة حتى يأخذ كل ذي حق حقه ، التوتر بدأ يظهر على أفعاله ، بدى الشحوب يسري في وجهه ، حتى أنه لم يشعر بماذا حدث بعد ذلك ، إلى أن استرد وعيه وهو ممدد على سريريه في المستشفى .

يتأثر عمر نصر بالعديد من مشاهد التفجير والإرهاب الديني التي تساوره ، لم يك قادراً على إبعاد صورة الحادث من ذهنه ، تباغته أشلاء الضحايا ، الأجساد المتناثرة رجالاً ونساء ، أطفالاً وكهول ، لم يفرق الإرهاب بينهم ، لم يفرق بين مسلم و مسيحي ، لأن " الإرهاب لا دين له " .

_ دخل العميد فيكتور الغرفة التي يشغلها اللواء عمر نصر ، وعيناه تذرف الدمع عندما علم بموت أحد أقاربه في هذا اليوم البأس ، تقدم فيكتور للإطمئنان على "عمر نصر" صديقه ومعلمه ، التقى بعمر نصر الذي يكن كل الحب والتقدير لتلميذه النجيب فيكتور ، وكل مشاعر الشكر والإمتنان ، وأنه يقدر مشاعره النبيلة في زيارته له في تلك الأحداث ، فضلاً عن تقديم واجب العزاء لـ فيكتور الذي فقد أحد أقرباءه في الحادث .

_ انقلبت الصحف ووسائل الإعلام إثر هذا الحادث المشين ، كما أدانت الحكومة المصرية الإرهاب الغادر الذي يهدف للتفرقة بين المصريين وبث الفتنة ، وقام الإعلام بدور المصلح الاجتماعي في تهدئة الأوضاع ، إثر غضب بعض الشباب المسيحي الذي نال الضرر الأكبر من الحادث ، وأشيعت أنباء بتورط جماعات وبعض العناصر الإسلامية ، لذا تجهمر العديد من أبناء المسيحية حول المسجد القريب من الكنيسة ، إلا أن العامل الأساسي في تهدئة الأوضاع هو عادات وتقاليد المصريين وإيمانهم الذي طغى على إشعال نيران الفتنة والمشاحنات الناتجة عن الحادثة التي تم ارتكابها في مناسبة دينية يحتفل بها المسلمين والمسيحيين على حدٍ سواء.

_ صرحت إحدى المصادر الإعلامية عن مصدرًا أميناً بوزارة الداخلية ، أنه على سبيل المداهمات والبحث عن العناصر التي خططت لارتكاب الحادث ، فقد أثبتت التحريات أن الانفجار الذي وقع أمام كنيسة القديسين _ ماري جرجس والأنبا بطرس - ، قد أُكِّد

على وجود عنصر ارتكاز يتمثل في إحدى السيارات التي انفجرت في آخر شارع الكنيسة ، التي كانت ترتكز في موقعها منذ شهور ، وذلك قبل الانفجار الهائل الذي حط أمام باحة الكنيسة بخمس دقائق ، ويستدل على هذا بأن الانفجار الأول ليس إلا تشتيئاً لعناصر الأمن ، ليتسلل أحدهم للنقطة الأساسية المراد تفجيرها ، وهذا يقترب بنا إلى حد كبير من التأكد على أنها عملية انتحارية ، وهو ما سجلته قراءات رجال الأمن لسير الأحداث .

_ سادت شوارع الأسكندرية الحزن والأسى ، تبدلت الأفراح والاحتفالات إلى ماتم وجنازات ، لم تكن تلك الأحداث الإرهابية الأولى من نوعها ، بل تعددت وزادت عن الحد الذي يؤكد وجود فكر ويد خفية تهدف لسقوط الدولة وإشعال نيران الفتنة ، وكان توجه طبقات المثقفين دائماً في المجتمع بضرورة محاربة الفكر قبل الفرد وقبل الجماعة ، وأدانت موقف التفجير الإنتحاري ووصفته بالتبعية الفكرية ، فمن هذا الذي يقوم بإنهاء حياته بغض النظر عن أرواح الباقين...؟ بضغطة زر يفجر نفسه وينهي حياته...؟ يا ترى ما الثمن الباهظ الذي يتقاضاه ليقوم بذلك...؟!

هل مال أم سلطة أم ماذا.....؟!

ما الدافع في تلك الحالة سوى فكراً ودافعاً عقائدياً ، يتم تلقينه من قبل أناس لا يملكون من الأمر شيء ، هذا بغض النظر عن بزوغ الجانب المظلم في الفرد نفسه لأنه يميل أكثر الوقت إلى الشر ، فلا بد من مجابهة هذا الفكر للحد من تلك الثقافة وإعلاء ثقافة الحياة .

يجلس الآن العميد فيكتور مع قائده ومعلمه عمر نصر الدين الذي استقرت حالته سريعاً ، ما يقرب من الساعة وهما يتناولان بعض القضايا والأمور الهامة عن أهمية سرعة إنهاء وغلق ذلك الملف ومعرفة الجناة ، وقبل أن يستأذن ليغادر من أمام الغرفة استوقفه عمر نصر وطلب منه سيجاراً مما يدخنه ، وهو يطلب مساعدته للوصول إلى شرفة الغرفة وإشعال السيجار .

بمساعدة فيكتور لـ عمر نصر مُجلساً إياه على أحد المقاعد بالشرفة ، وهو يضع حاجياته على الطاولة التي تتوسطها ، ثم اعتدل متوجها نحو الباب للمغادرة بعدما استأذن مرة أخرى ، لم ينتبه عمر نصر لسلسلة مفاتيح فيكتور على الطاولة إلا عند رجوع فيكتور بعد ثوان ، إلا أن انتبه لها نصر أخيراً فسحبها من على الطاولة وألقاها له ، فتلقفها فيكتور الذي ذهب على الفور.

.....

" أيها الأخوة المواطنون... لقد تلقيت ولا أزال تقارير عديدة من أجهزة الدولة على مدار ساعات الليلة الماضية ، وأقول بكل ثقة إننا سنتعقب المخططين لهذا العمل الإرهابي ومرتكبيه ، وسنلاحق المتورطين في التعامل معهم ممن يندسون بيننا، إنني أقدم بخالص عزائي ومواساتي لأسر الضحايا والمصابين - أقباطاً ومسلمين - وأقول لهم إن دماء أبنائنا لن تضيع سدى ، وسنقطع يد الإرهاب المتربص بنا ، وأقول لهؤلاء المتربصين ، لقد كسبنا معركتنا مع الإرهاب في سنوات التسعينات ، وتخطئون خطأ فادحاً إن ظننتم أنكم

بمنأى عن عقاب المصريين ، إن هذا العمل الآثم هو حلقة من حلقات الواقعة بين المصريين - أقباط ومسلمين - ، لكن الله رد كيد الكائدين في نحورهم ، لقد أكد من جديد أننا جميعاً في خندق واحد ، وأننا جميعاً سنقطع رأس الأفعى ونتصدى للإرهاب ونهزمه ، ربنا اجعل هذا البلد آمناً وانصرنا على كل من يريد بنا الشر والسوء... والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كان هذا مقطعاً من الخطاب الذي قدمه الرئيس (محمد حسني مبارك) عقب ساعات قليلة من الحادث ، والذي انتشر على جميع وسائل الإعلام ، ولاسيما التلفاز الذي كان يستمع له عمر نصر أثناء تواجده بالمستشفى .

_حادثة كهذه كانت تستوجب انتفاض الجهاز الأمني كله ، والتخلص من بعض العناصر التي اتهمت بالإهمال ، أو على الأقل إقالة بعضهم من مناصبهم ، وبالفعل حدث لكن بالنسبة للسيد عمر نصر فقد ظل البحر هادئاً دون أمواج ، هذا إن دل فإنه يدل على احترافية وأهمية عضو أمني مثل السيد عمر نصر بالنسبة لوزارة الداخلية ، فقدره وشخصية هذا الرجل كانتا محط النظر لجميع القيادات الأمنية منذ ارتدائه بذته العسكرية وحتى تاريخه ، مروراً بكونه أحد الكوادر الهامة في جهاز أمن الدولة سابقاً .

_رن الهاتف الخاص — فيكتور وإذا — عمر نصر يأمره بإحضار نسخة من ملف القضية ، بعدما كلف مسئولو البحث الجنائي بالبحث الدقيق وشدد على الإمام بتفاصيل التفاصيل داخل وخارج الكنيسة ، وحصر الدلائل وإعادة إجراءات البحث حول كامل حدود الكنيسة بحوالي عشرين إلى ثلاثين متراً .

أصر عمر نصر على تحمل مسؤولية تلك القضية ومباشرة ملفها الأمني بنفسه وجعلها أولى أولويات عمله.

وبعد انتهاء رجال البحث الجنائي من عملهم وجمع الأحراز محفوظة بأكياس بلاستيكية الصنع ، فكان من بين الأحراز بواقي ساعتين مهشمتين ، ومسبحة لم تكتمل حباتها من الإنفراط ، وفوارغ طلقات رصاص من طراز (AK.47) ، وحقيبة كرتونية مخصصة للهدايا ما يميزها أنها تبدو عليها الحادثة ، فهي لم تتأثر بالتفجير ، وكان داخلها ورقة صغيرة حوالي (1 سم × 1.5 سم) مبرمة بطريقة عصبية وملقاة بداخلها ، اتضحت إنها لاصق تسعيرة كاد حبرها يختفي ، يظهر عليها مبلغ 850 \$ ، وأما عن تلك المسبحة التي باتت عاملاً مؤكداً لبعض الظنون التي تدور بعقل ممثلي وزارة الداخلية ، عن تضيق نطاق البحث عن أشخاص وجماعات بعينها.

طال البحث والنقاش بعد المعلومات التي توصل لها عمر وفيكتور في بيت عمر نصر ، يريدون اللحاق بأي خيط يتوجهون به نحو الحقيقة ، ورغم التحقيقات التي تمت مع بعض العناصر المشتبه بهم ، لكن لا يوجد دليل مادي على تورط هؤلاء .

بعدها قام فيكتور بإبلاغ رجال البحث الجنائي التي عملت بأيديها في القضية بانتظارهم غداً في مكتب مدير الأمن للأهمية القصوى حتى يصل ، بعدما ترك صديقه مغادراً ، سيطرت القضية سيطرة تامة على تفكير نصر ولكن الأمور أخذت اتجاهاً آخر بعد حدوث شيئا في غاية الغرابة .

●●●●●●●●●●

—أحد رجال البحث الجنائي ينتظر في مكتب السيد مدير الأمن ، وعندما وصل عمر نصر لمكتبه بعدما طلب فجان القهوة المعتاد من الحارس ، أدلى مسئول البحث عن بعض الألباز التي واجهتهم في البحث ، عندما أوضح أن هناك آثار لعجلة دراجة نارية تبعد عن الحاجز الأمامي لباب الكنيسة الذي تم فيه الحادث ، وأن آثار تلك العجلة المنحوتة على الأرض تؤكد أن الدراجة النارية تحركت بسرعة فائقة من الثبات في شكل نصف دائري على أرض الطريق ، كما استطرد الرجل في حديثه عن حجم تلك العجلة الذي رسم آثاراً أكبر قياساً من مقاس العجلة الفعلي ، وذلك بسبب ثقل الحمل عليها ، مما يثبت أن الدراجة النارية كان يستقلها فردين ، فضلاً عن تحليل توقيت إفتعال آثار الدراجة الذي أثبت أنها تمت في وقت وقوع الحادث ، واستكمل مسئول البحث أيضاً عن وجود آثار لإطارات شاحنة ضخمة ، كانت قريبة من آثار الدراجة النارية ، التي لم يستكشف لها أثراً سوى ما تقدم به مسئول البحث ، ويعتقد أن الشاحنة لربما قامت بإنزال الدراجة النارية بفردية على مقربةً من مكان الحادث حتى يتم تنفيذ العملية دون أى شبهات .

(309 جنات)

وضع الملف أمامه على سطح المكتب ، ينظر له بغموض ، على ما يبدو أنها قضية حال عليها الدهر من مظهر الملف الذي يحتوي على صور من الملف الأصلي لها ، أخذ يتفقد أوراق الملف في عدم إكتراث حتى انتبه كأنه تذكر شيئاً ، حينها رفع هاتفه ليتحدث مع أحد أصدقائه القدامى ، والذي يعمل لصالح إحدى الأجهزة الأمنية الحساسة السيد (مدحت درغام) ، وعليه تواعدا على المقابلة يوم غد ، كان درغام بالنسبة لـ عمر نصر بغض النظر عن أنه دفعته ، كان بمثابة الصديق الذي يشاوره في أدنى الأمور الحياتية ، إلا أن عمر نصر ذكر في هاتفه لصديقه باستكمال الموضوع الشائك الذي تحدثا وتناقشا حوله من قبل .

_ صباح اليوم التالي وعمر نصر في انتظار صديقه الذي وصل منذ قليل ، أخبر الخادمة بإحضار كوبين من القهوة قبل أن يتسلا لغرفة مكتبه ، جلسا الصديقان يتناقشا في القضية التي ترهق الأجهزة الأمنية في ذلك الوقت ، والتي تناولا الحديث فيها من قبل مرات ، بعدما اشتركا مالياً وجمعتهم الظروف للعمل عليها سوياً ، نظراً للهدف الموحد الذي تتجه إليه الداخلية آنذاك .

تحدث درغام موضعاً حقيقة الصفقة المليارية التي تحاول جهه ما إتمامها مع سيدة مجتمع ودكتورة مصرية تعمل في مجال الكيمياء تدعي (محبة نخيلة) ، عن بحث تم إنجائه منذ سنوات ، وقد رفضت محبة حينها تسليم بحثها مقابل ثلاثة مليارات من الدولارات ، والتي حصلت بسببه على (جائزة نوبل في الكيمياء) منذ ما يقرب من ثلاثة أعوام ، خرج للنور وأصبح العالم كله يتحدث عنه وعن صاحبه ، رغم أن الأمن المصري

اضطر لإخفاء جزء هام من البحث حتى لا يستخدم في إتجاه معاكس لما خلق له ، وعلى ذلك واجه الأمن المصري العديد من الفخاخ والأزمات من تلك الجهة التي مازالت ليست معلومة حتى الآن ، لكن الواضح من التعامل مع تلك الجهة فيبدو إنها جهة ذات علاقة بأجهزة مخابراتية غاية في الإحترافية ، وأما عن المعلومة التي توصلنا إليها وباتت محل بحثهم وهي الشخص المدعو

(ناهد عــــلام) ، وهي عبارة عن خيط يحصي تلك القضية ، لكن الأدهى أن هذه الشخصية لم تكن موجودة على أرض الواقع ، لكنها بالتأكيد أحد الأصابع الخفية التي تحركها تلك الجهة الاحترافية ، التي دائماً ما تثبت أنها تتعامل بتقنيات عالية والكفاءة .

زاغ بصر "عمر نصر" تشتيتا من الكم الهائل من المعلومات التي تكاد تتعارك داخل عقله ، لكن حدة ذكائه وفطنته بل وشعوره بأن هناك علاقة وارتباط لم يتوصل إليه حتى الآن بين أحداث الإرهاب التي تهيئ البلاد وبين تلك الجهة المجهولة الهوية . لكن عينيه توحى بالعند والإصرار على إكتشاف مفتاح لتلك القضايا التي لطالما لم تهدأ داخل عقله.

.....

_ لم تكن علاقة محبة بالسيد عمر نصر علاقة عابرة ، محبة هي الأخت الأصغر للعميد فيكتور نخيلة ، وهي أيضاً طرف أساسي في قضية قد عفى عليها الزمن منذ ما يقرب من العشرين عاماً ، وهي قضية مقتل زوجها (عماد العزازي)

- ذات الملف الذي أخرجه عمر نصر من درج مكتبه - ، فقد كان الضابط المسئول عن تلك القضية ، عندما كان أحد أفراد فريق المباحث بقسم سيدي جابر في أوائل التسعينات ، والذي اتهم فيها أخو المجني عليه ويدعى (أحمد مجدي العزازي) نظراً لسوء ملفه الأمني ، بعدما تحول في فترته الأخيرة إلى أحد العناصر داخل جماعة تدعي إنها إسلامية ، اشتهرت تلك الجماعة بأعمال العنف ، وتورطت في العديد من القضايا ، ومن ثم تم القبض عليه ، حيث أثبتت التحريات تنفيذه لعملية القتل بسبب إحتراز بعض الأشياء التي لم يستطع أن ينكر ملكيته لها ، وجدت في مسرح الجريمة ، وعوقب بالسجن المؤبد آنذاك ، كما ذكرت التحريات أن مقتل الزوج عماد العزازي قد تم بالخطأ ، وأن المقصود هي السيدة محبة نخيلة ، والدافع كان عنصرياً دينياً بحت ، نظراً للزيجة التي كان أحد أفرادها مسلماً والآخر مسيحياً ، فأراد الجاني التخلص من هذه الزيجة بإنهاء حياة زوجة أخيه المسيحية ، إلا أن القدر شاء واستقرت الرصاصات بجسد أخيه ، لكن القضية حتى وبعد البت والحكم فيها وإغلاقها إلا أنها تثير شكوكاً لدى عمر نصر ، خصوصاً بعد خروج أحمد مجدي مؤخراً بقرار عفو بثلاثة أرباع المدة نظراً لتعديل سلوكه وملفه الذي يثبت حسن السير والسلوك في خلال مدة حبسه .

.....

_نزل عمر نصر من شقته مسرعاً ، يسند رأسه على كتفه وهو يتحدث بالهاتف يستأذن لمقابلة الدكتورة محبة حالاً لأمر غاية في الأهمية ، ركب سيارته بعد غلق الهاتف قاصداً بيت محبة .

_ دخل عمر فيلا محبة التي كانت بانتظاره ، وبعد تهنئتها لحصولها على نوبل الثانية في السلام قبل أيام قليلة لتصبح حينها أول امرأة مصرية وعربية تحصل على جائزتي نوبل بجانب السيدة (ماري كوري) التي حصلت أيضًا على جائزتي نوبل أحدهما في الكيمياء والأخرى في الفيزياء .

(الفصل الثاني)

مساحة شاسعة خضراء لا يستطيع النظر تحديد منتهائها ، يتخلل المشهد الذي تكسوه الخضرة اللون الأزرق السماوي البديع ، الذي يتداخل مع اللون الأخضر في ذات البقعة تداخل هلامي في نهاية الأفق ، لا تقو على كبح بهجتك من المنظر المبدع ، كما يتخلل تلك اللوحة الإلهية العديد من الشجيرات التي تزينها الفاكهة التي يغلب عليها اللون الأحمر شديد الحمرة من تفاح ورماني ، يا له من تصميم لم يقدر على صنعه بشر ، تداعب تلك الشجيرات طيور في قمة الحسن بمختلف الأشكال والألوان ، يسري تغريدها على مسمعك كأنها مقطوعة موسيقية راقية ، وتفوح العطور بين ذرات الهواء برائحة عنبرية مصدرها إحدى الجنان - مكان يجلب الحياة للأموات - لم يظل هذا المشهد طويلاً حتى بدى في أحد جوانبه ومن خلف شجرتين طويلتين يظهر خيال هلامي وضاء ، طيف يشع نوراً وبهجة لا تقو على النظر إليه مباشرة وكأنه الشمس ، يجسد هذا الشكل الهلامي وكأنها تمثال السيدة "مريم العذراء" يقترب من صورتها المتداولة دنيوياً ، لكنه دون ملامح واضحة ، نور هلامي فقط .

تظهر السيدة "مريم" وهي ترفع ذراعيها ، توجد في إحداها (مسبحة) من نور وفي لحظة مباغتة تنفرط تلك المسبحة من يدها ، الأمر الذي كان في شدة الدهشة والغربة ، تحولت كل قطعة أرض سقطت عليها حبة من حبات المسبحة إلى حفرة سوداء عميقة ، امتلأ المشهد بالحفر والثقوب ، حال دون المكان الإلهي لتجعل منه أرض معركة ، أطلال حرب و قذائف ، تدرجت آخر حبة من المسبحة لتتوسط المشهد ثم تقترب وكلما

اقتربت يزداد حجمها وأخذت في الإقتراب حتى بلغت نصب الأعين ثم أوشكت على الانفجار كمثليها ثم.....

_استيقظت محبة مفزعة من هول المنظر الذي أصبح مروّعاً ، لم تعرف تفسيراً لهذا الحلم الذي يراودها منذ مدة قصيرة ، فكان يثير قلقها كثيراً رغم السيمفونية التي يبدأ بها الحلم وشدة جمال المكان الذي تقف فيه والذي لم يكن له مثيل في الواقع ، لكن نهايته المفزعة تحول دون النظر.

كان الأمر اعتيادياً في بادئ الأمر إلا أن تكرار ذات الحلم هو الشيء الذي جذب انتباه بنت لم تتعدى الأربعة عشر عاماً ، لأنه أصبح مرافقاً لها على الدوام منذ فترة وجيزة .

.....

_نشأت محبة في أسرة مسيحية أرستقراطية ، لأب صيدلي يدعى (أشرف كمال نخيلة) ، رجل أربعيني ، عريض المنكبين ، متوسط القامة يميل إلى الطول ، أبيض اللون يميل إلى الحمرة ، ذو عيين هادئتين ، وجهه مشرقاً بساما ، اشتهر ببراعته في مجال الصيدلة والكيمياء ، يمتلك ثلاث صيدليات تقترب جميعها من دائرة حيه بسيدي جابر بالأسكندرية ، بالإضافة إلى مصنع أدوية صغير به معمل ليس بالسليء ، كان قد ورثه عن والده ، هو وأخيه (أسامة) القس.

ذاع صيت "د. أشرف نخيلة" بعمل تركيبات كيميائية جديدة ومطورة لعلاج بعض الأمراض المستعصية , كان يعطيها دون مقابل لغير القادرين في كثير من الأحيان ، عُرف عن هذا الرجل الوقار والاحترام وطيبة القلب وحب الناس كنتيجة عادلة عما كان يقدمه من الخير سواء في مجال عمله أو في حياته الخاصة ، كثيراً ما يقصده الناس من شتى بقاع الأسكندرية وخارجها لمساعدتهم ، أيضاً سمعته الطبية جعلت منه إنساناً بمعنى الكلمة ، وكما لا ننسى رفيقة درب زوجته السيدة (ليلي نصيف) التي كانت خير رفيق وخير زوجة في رحلة الحياة (أم محبة) والتي غرست القيم والأخلاق والدين في أبنائها التي ربتهم على الحب والفضيلة والخلق الحسن ومساعدة الغير ، لعبت ليلي نصيف دوراً بارزاً في حياة تلك الأسرة سواء بمكاتفه الأب أو تربية الأبناء كانت خير شريكة وخيراًم.

محبة هي البنت الوحيدة لأبويها وأخ يكبرها بعام يدعى (فيكتور) ، نشأ الأخوين في أسرة مثالية لأب إنسان وأم حنونة ، طمح الشاب بعد تخرجه من مرحلة الثانوية أن يلتحق بكلية الشرطة ليصبح ضابطاً يرد الظلم ويدافع عن الناس كما كان يقول ، لكنه كان شديد الصدام دائماً مع أخته كأخي شقيقين شارفا على اجتياز المرحلة إلى أن يصيرا شابا وفتاة مراهقين،

لم يكن أشرف وزوجته ليلي قد تعمدتا تدليل محبة ، ليس فقط لأنها البنت الوحيدة , بل أيضاً لأنها آخر العنقود ، كانت ليلي كثيراً ما تلحظ نظرات فيكتور المتسائلة دائماً , عندما يرى أحد والديه يزيد في تدليل محبة ، أما عن معاملتهم له لم تختلف كثيراً عن

أخته بل ربما كان يميزه والده دائماً في بعض الأمور البسيطة التي تعطيها الثقة بالنفس والتي من شأنها أن تجعل منه رجلاً يمكن الإعتماد عليه في يوم من الأيام، نما فيه والده حب النفس والكبرياء والصرامة ، يمتلك فيكتور من الصفات الفسيولوجية والجسمانية ما يميزه عن الكثير من الشباب الذين هم في نفس عمره، أبيض الوجه ذو عينين بنيتين يميلان إلى الخضرة ، حاد الملامح ، كبير الرأس ، أحذب الأنف ، يقارب شكله وهيئته طبقة النبلاء فيبدو عليه نقاء السلالة ، يميزه الطموح والقوة والتباهي والتفاخر دائماً بعائلته ، فهو عنصري إلى حد كبير تجاهها، كان يحبها حباً شديداً ولم يحتمل عليهم ولو كلمة إساءة.

__أما عن (محبة) فكانت تمتلك وجهاً ملائكياً ، وكل ما تعشقه من الملامح الفاتنة كانت تمتلكها محبة وتزيد ، فوجهها الدائري شديد البياض يتخلله عينان زرقاوان كلون سماء صافية أو بحر هادئ ، يعلو عينيها الواسعتان اصطفاف لشعيرات شديدة الدقة يكسوهما اللون الكستنائي ، يمتثلان فوق عينيها في شكل شبه مستقيم يميل قليلاً من الأطراف ، تشع وجنتيها إضاءة وردية تلامس أنفها الصغير الذي يضفي البراءة على وجهها ، كما تقع شفتيها المرسومتان بدقة متناهية وانسيابية تصحبها ابتسامة لم تعمدها أعلى ذقن فرعوني عريض يكسبها وقارا ، كانت تمتلك محبة من الجمال والأنوثة مالا تستطيع أمامه أن تحيل عينيك عنها ، ولا تكتفي أبداً بإلقاء نظرة عابرة عليها رغم عدم اكتمال نضجها ،

براءتها كانت إحدى أسرار الانجذاب لها ، وأحياناً كثيرة يشبهونها بوالدها التي ورثت عنه ملامح كثيرة .

_في أواخر ثمانينيات القرن الماضي التحقت محبة بكلية الصيدلة حيث عشقها للكيمياء عن والدها -الذي كان دائماً- ليس مربيًا فقط بل والأب الروحي والقُدوة أيضًا ، عرفت محبة في محيطها الدراسي بالخلق الكريم والصفات الحميدة كانت محبوبة دائماً بين أصدقائها وصديقاتها في الجامعة ، دائماً ما تكون أول دفعتها، شخصية مهيبة ذكية مرحة تمتلك روحاً في قمة النقاء والحب ، كانت تركيبتها مزهلة ، شخصية أميرة ، ملائكية ، يضاف جمال روحها الداخلي بهجة وروعة وإبداع على جمالها الخلاق.

_التحق فيكتور بكلية الشرطة كما كان يطمح وأوشك على مزاوله المهنة حيث اقترب موعد تخرجه وارتداء الزي وإرفاق الرتب كما كان يحلم يوماً ، أثرت دراسته بكلية الشرطة في إنماء شخصيته التي تميل إلى الجد والغموض والجمود ، أُرست فيه الثقة بالذات وأظهرت فيه الشجاعة والهيبة ، كانت الحياة العسكرية تمثل له هدفاً وضع مسبقاً كان قد خطط له.

.....

_جلست محبة مع صديقتها التي كانت أول رزقها منذ خُطت الجامعة

(سارة وصفي) وهم يمكثون في مكتبة الجامعة حيثما اعتادا منذ سنوات وهما الآن في عامهما الأخير من الدراسة عام (1991-1992) و محبة تتذكر يوماً كان في أوائل شهر سبتمبر سنة 1981 منذ عشر سنوات والتي قررت أن تقصه على صديقتها في وقت الراحة بين المحاضرات داخل المكتبة :

“ في صيف 1981 آخر أيام عهد السادات ، بعد الإنتهاء من تناول العشاء عندما دق باب المنزل ، فإذا بالخدمة تفتح الباب ليظهر رجلاً في أواخر العقد الرابع من عمره ، يجاوره شاب في مقتبل العمر ، إنهما (أسامة كمال) الأخ الأكبر لـ أشرف نخيلة ويرافقه ابنه (مايكل) ، بعد ترحيب أشرف بأخيه وابنه اللذان بدا عليهما عدم الاكتراث والتذمر ، وعندما سأله أشرف عن سبب عبوس وجهه واقتضابه أشار له كي يفتح جهاز التلفاز أو الراديو ليتابع أحداث الفتنة التي حدثت منذ شهرين تقريباً ، والقاء الرئيس السادات لخطاب عن تلك الأحداث :

” غسيل في بلكونة مواطن نزلت منه مية على غسيل في بلكونة المواطن الي تحتيه والظاهر إنها مية مش ولا بد يعني... بس تتحول لإشاعات مؤسفة وتترتب عليها أحداث تصور للعالم إن في مصر فتنة طائفية ”

هذا ما ذرفه الرئيس (محمد أنور السادات) الملقب بالرئيس المؤمن ، حقاً أثبت بغض النظر عن توجهاته الدينية - أنه رجل الحرب والسلام ، أثبت حنكة ومكر سياسي لم

يضاهيه أحد , ورغم تبعيته للدكتاتور العادل (جمال عبد الناصر) عندما كان نائباً لرئيس الجمهورية , إلا أنه كان ذو فكر وتوجهات تختلف كثيراً عما كان ينشده جمال عبد الناصر , جعلت تلك الأحداث حالة عزاء دامت لفترة في أرجاء القاهرة بل ومصر كلها , ولم يتصدى لتلك الحوادث سوا الإيمان والحب والوطنية من قبل أبناء الوطن مسلمين ومسيحيين , لكن الأمر لا يمنع من تدخل بعض العناصر ذات الفكر المنحرف والمتطرف والأصابع التي ساعدت على إشعال روح الفتنة بين أبناء الوطن , والتي طالت أسرة زوجة أسامة كمال عندما فقدت أختها وأبنائها في هذا الحادث المشين مما أثر سلباً على العائلة بأكملها.

_أغلق أسامة التلفاز وهو يتلفظ باللعنات والوعيد ثم وجه حديثه لأخيه الذي يتابع بصمت :

“ دائماً هيحصل فينا كدة هي دي البلد لكنها مكنتش كدة أبدا , بقينا أغراب في بلدنا والمسلمين نسيوا أنفسهم إنهم محتلين وبقي ليهم الأولوية في البلد , أما إحنا.. بشر من الدرجة الثانية , وخذ بالك مش هيكتفوا ومش هيهيدوا إلا إذا دمرونا ودمروا مستقبل عيالنا , هما عايزين مصر ليهم هما بس , إحنا بنغص عليهم حياتهم “
_نظر أشرف لـ أخيه نظرة تملؤها الدهشة وبتذمر :

“ إيه الي إنت بتقوله ده ؟!.. طول عمرنا أخوات وعاشين مع بعض , أصحابنا وزملائنا وجيراننا مسلمين وعمرنا ما حسينا بالي بتقوله , ده إنت رجل دين والمفروض تفهم يا

أسامة في مصالح للجهات الي بتعمل كدة في مصر وإثارة الفتنة بينا ، وبعدين إيه اللغة الجديدة الي بتتكلم بيها دي !!! محتلين إيه وألوية إيه ودرجة تانية إيـــــه.. إحنا من امتي بنقول الكلام ده , مسلم ومسيحي إنت هتعمل زي الناس إيــــــــــــاهم ؟!...
إهدأ يا أسامة وخليك عاقل وماتنظرش للأمور بالنظرة دي ، الله يرحم شهدائنا وأبنائنا ويجعلهم بجواره في الملكوت ”.

أشار أشرف للخادمة بتحضير الشاي وإحضاره في الشرفة التي انتقلت إليها الأسرة ، في هواء سبتمبر الساحر في اتجاه البحر الذي لم تطل مسافته من الفيلا ، فسمع لطم أمواجه وتستنشق رائحته وأنت داخل الفيلا .

..واسى أشرف أخيه أسامة في سقوط أخت زوجته وأبنائها الذين لقوا مصرعهم في حادث الزاوية الحمراء ، والذي ذكر عنها لاحقاً إنها كانت تريد خطبة ابنتها الكبرى من مايكل ابنه ، وهم في مستوى مادي عالى جداً مشرف لعائلة نخيلة التي لطالما حافظت على تقاليدها في الحرص على عدم الزواج خارج نطاق العائلة ، لم يمر سوا دقائق قبل أن يوجه أسامة لـ أخيه بعض التعليمات على خطبة محبة من ابنه مايكل . هكذا نسي الموتي والضحايا ، حول حديثه في الحال من الحديث من نقده للرئيس

(السادات) بسبب خطابه الذي رآه مهينا من وجهة نظره إلى موضوع زواج مايكل من محبة ، رغم عدم تعدي الصبي ولا الفتاة سن الرشد أو الأهلية إلا أنه يبدو أنه يريد أن يحجزها قبل فوات الأوان ، رغم أن مايكل الذي كان يكبر محبة بستين أو ثلاثة لم

كان من أوائل دفعته على مدار السنوات السابقة ، اهتم بالفلسفة وعلم النفس ، أما عن هيئته كان متوسط الطول ، قمحي اللون ، ذا عينان سوداوان ، أنفاً عريض وجبهة عريضة أيضاً ، روحه السمحة وثقافة أخلاقه وسلوكه كان يضيفان جمالاً على وجهه الدائم الإبتسامة ، شعر ذقنه ينبت قليلا وعند شاربه .

_ انتهت سارة وصفي من تقديم كل منهما للآخر ، وفي الوقت الذي عرضت محبة عليه بالجلوس ، دار بنظره حوله ، سحب مقعداً ، وضعه بجانب المنضدة في ترحاب بصديقاته هامساً بجزء من الخجل :

“ أهلاً وسهلاً....تشرفت بيكي يا دكتورة محبة “

ولازم جملمته نظرة ثاقبة لأعين محبة ، نظرة تمتلئ بالإعجاب أو الاستغراب حينما سأها عما إذا كانا قد تقابلا من قبل ، ورغم إحساس محبة بذات الشعور حين التقت عيناها وبادرها هو بالسؤال ذاته الذي يرواها آنذاك ، لكنها أكدت أنها لا تعتقد لقاء قد تم بينهما سابقاً ، بل ربما تكون راحة نفسية أو شيئاً من هذا القبيل .

ظلت نظرات الشاب تحمق باستيحاء في تفاصيل وجه تلك الفتاه أثناء اللقاء ، وسارة تلقي ببطاقة تعريفية عن صديقتها له ، وهو لم يعبأ بالحديث برغم شدة انتباهه لم تنتبه سارة بنظرات عماد التي تتقاذف على صديقتها في بادئ الأمر ، إلا إن تكرار واستمرار

_تلك الكلمات الأكثر جدلاً ، التي تبدو في ظاهرها جرأة وتعدي على الذات الإلهية من قبل الجاهل والعنصري وأما تعني الكثير بالنسبة للأفراد التي تزداد لديهم حاسة البحث والتعقل والإدراك ، تلك الكلمات التي جعلت محبة تلح على صديقها الجديد الجالس أمامها الآن ، حيث أرادت الخوض في الدافع الذي جعله يفكر هكذا ، ووجهة نظره من تلك الكلمات ، وأبعاده الفكرية التي لاقت القبول من جانب محبة.

بدأ عماد الحديث بعد إلحاح لم يطل كثيراً ، أوضح تلك العلاقة الفريدة من نوعها وأشاد أنها تمثل أقوى العلاقات في الكون ، وأن الله الكلي القدرة هو من بث صفة التخيير لبني الإنسان ، الذي فضله الله على سائر مخلوقاته بأنه خلقه وفيه روحاً منه ، ووصل هذا الحد في الإختيار لتحديد العلاقة كيفما تراءت للفرد ، بفرض أنه لديه تلك المقدرة كما أخبرنا بها ذاته جل جلاله في مواضع عديدة في القرآن الكريم ، ومنها عندما قال الله تعالى :

"بسم الله الرحمن الرحيم"

إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ

بحيث يصور القرآن القدرة البلاغية في هذه الجملة ، فمن المؤكد أن مشيئة الله وقدرته هي المظلة الكبرى التي تحوي جميع الكون ، لكن في هذه الآية أراد الله أن يوضح دور الإنسان في إختيار طريق الله وهده ، أي من يشاء أن يهتدي من البشر ، لأنه إذا استقل المعني فقط على المشيئة الألهية سيزيد اللوم على الله حاشاه ، ويكثر التوكل وهذا مالا

يريده الأله العظيم , ولأنه وضع الدنيا وأسس الأسباب لمجريات الأمور , والدليل على حديثه كما ذكر بأيضاً آية أخرى تثبت بالدليل وجود الإِشاءة والإِرادة الإنسانية في تحديد علاقته بخالقه حيث قال :

“ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ”

إذن إنها إرادة الإنسان الآن في إِشادته بالإيمان أو الإنكار _أي الكفر_ ، كما أكد الحديث النبوي عن حديث لرب العزة قال :

“أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خير منهم ، وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعاً ، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة

هذا الحديث أيضاً يدل على أن الله يريد منا البحث والتدبر حتى نبدأ بأول خطوة ، الله يريد منا الخطوة الأولى ولو بالظن لأننا لم نري الله جهرة .

زفرعماد قائلاً :

“ أظن أن الفكرة بدأت توصل يا دكتور محبة.. ؟ ”

ثم استكمل حديثه عن المكانة التي وضع الله الإنسان بها , هي فريدة من نوعها , وأن الإنسان هو أقوى المخلوقات بإرادته ، حيث ذكر أيضاً آية الأنجيل عن كلام السيد المسيح حين قال :

“ أنا ابن الإنسان _____ ان ”

فكيف يكون هذا الكائن إلا أنه ذا قدرات غير محدودة ، لم يع الوصول إليها ، والطلب والدعاء والمناجاة من الله هو أقرب طريق لإعداد تلك العلاقة التي وصفها بالحساسة على حد تعبيره لأنها مع الله خالق الأكوان فالق الحب والنوي عالم الغيب والشهادة .

_ نظرت سارة في ساعة اليد الخاصة بـ محبة ممسكة بيدها ، ثم نوهت عن قرب انتهاء المحاضرة الأخيرة التي لم يحضرونها ، طال الحديث طويلاً ، حاول عماد إنهاء الحديث بسلاسة عندما رأي التوتر الزائد على وجهيهما بسبب التأخير ، سلم كل منهما على الآخر ، وأعينهم تفيض بالكلمات التي لم تنتهي والتي يعجز اللسان عن النطق بها ، رحل الجسدان لكن روحهما لم تكن تنتوي الإفتراق ، لم يدرك كل منهما ما بدا بداخله ، ترك كل منهما نظرة ذات معان عميقة ولحقت تلك النظرات إبتسامت توحى بما يحويه القلب من نبضات.

_ توجهت محبة لبيتها بعدما ودعت صديقتها في الطريق بعد عشاء يوم دراسي ، لم تكن تعرف محبة حينها أن القدر قد تدخل في تلك الآونة ، ليعلن عن بداية قصة حب من نوع فريد ، تغيرت معدل دقات قلبها ، وهي لاتزال تتذكر نظرة الشاب التي تلامسها دوماً ، منذ الوهلة الأولى للقاء ، تخللت مشاهد هذا اليوم وتراصت في وجدانها ولم تعد قادرة على إبعاد تلك الأفكار التي تواجهها ، فقد حدث شيئاً غريباً من هذا الشاب الوسيم حرك شيئاً كان ساكناً في وجدانها ، كانت محبة تحاول كبح أفكارها ومطاردة الشعور الذي يغزوها ، وأثناء المعركة القلبية العقلية ، ظلت أمها تهتف وتنادي وهي لم تجب ، كانت في حالة خاصة ، في عالم آخر ، أصبح السهاد والسرхан صديقها ، لم تخفي محبة

(الفصل الثالث)

“حسبي الله ونعم الوكيل ، قلبي وربي مش راضيين عليك ، فوضت أمري لله ، منك لله
“

_صوت ضجيج ومشادات كلامية يعلو ، ثم يأتي صوت غلق باب بشدة أدي إلى إهتزاز جدران بيت يبدو عليه القدم قائم في إحدى حوارى الإسكندرية العتيقة ، فتح عماد باب غرفته بعد الصوت الذي صدر عن غلق الباب تواءً ، ليقلى بوالديه يجلسان بالخارج ، يبدو عليهما التوتر والحزن ، مسح عماد على وجهه يحاول أن يستفيق من نومه متسائلاً ماذا يحدث..؟ ما هذا الصوت..؟ رغم أسئلته المتتابعة إلا إنه يعرف أنها مشادة بين أبيه الاستاذ (مجدي العازي) وأخيه الأصغر أحمد .

بدأت أمه الحديث بوجه يعلوه اليأس عن تصرفات أخيه تلك الفترة ، بعدما أغرته إحدى الجماعات التي تتردد على المساجد ويزعمون أنهم يأمرمون بالمعروف وينهون عن المنكر ويطبقون إرادة وشرع الله ، لدرجة إنه أخذ يرتدي جلباباً قصيراً مثلهم ، وأصبحت لحيته كثة بعد إطلاقها منذ مدة ، ثم أن تلك الصحبة تؤثر عليه وعلى سلوكه العام ، تغيرت طريقة حديثه ومناقشته بينهم ، أصبح شخصاً غريباً ، يحرم ويحلل في البيت كما يروق له ، لا يعجبه أسلوب وطريقة حياتهم ، ولم يسلم أصدقائه القدامى من النقد والهجوم ، حتى حاولوا إجتنابه بسبب الغلظة التي جدت عليه ، تعدي هو وغربانه أكثر من مرة على حريات جيرانهم المسيحيين ، وليس المسيحيين فقط بل كل بيت في الحارة لم يعجبهم سلوكه ، أصبح مصدر إزعاج وضجيج لأهله ولمن حوله ، ظن أهله إنه اهتدي وأبعد نفسه عن صحبة السوء التي استدرجته فيما قبل لطريق المخدرات والفشل ، ظنت

أمه أن قلبه ارتبط بالصلاة وبالمسجد وقربه لله ، لكنه خيب ظنهم ، أصبح أسوء مما كان ، سابقاً ما كان يؤدي نفسه ولا يتعدي الضرر دائرة أصدقائه ، إلا أنه عندما دخل في هذا الطريق أصبح الضرر والأذى يتعدى جميع الناس ، جميع من حوله ، ثم أن أصحابه الذين كانوا يعتبرون على مجاراتهم ، أصبحوا الآن رجال يفتخر بهم ، بعد أن شق كل منهم سبيله ، منهم المهندس والمدرس والمحاسب ، لكن أحمد بات مجرماً إرهابياً في زي إسلامي .

قام عماد من مجلسه مقبلاً يد والده الذي أصبح وجهه مزججاً ، ثم أخذ برأس أمه وقبلها قائلاً :

“ مفيش في إيدنا حاجة نعملها.. بس دعواتك يا أمي...”

ونسأل ربنا يهديه ويصلح حاله “

رددت الدعوات في البيت ، فكانت جميعها من نصيب عماد الذي دائماً ما يرضي أبويه بجانب دعوات السيدة سعاد لابنها الغائب ، لكنها كانت بأغلب الأحيان سراً ، أحياناً من الممكن أن لن يرضى قلب الأبوين لكنه لا يعرف سبيلاً للكرهية .

_ (أحمد مجدي) شاباً في مقتبل العمر ، يعيش بسلام بين أفراد عائلته ، وعلاقته شبه محدودة بزملاؤه وجيرانه ، إلا إنه اتجه نحو مجموعة من شباب الحي الذين كانوا دائمو السهرات والسكر ، ناهيك عن العلاقات النسائية التي كانت تقام مع عاهرات يوماً بعد يوم ، والقمار الذي لم يلق قبولاً لدى عقل أحمد بسبب تدهور حالته المادية ، وعلى النقيض أخيه المثال للشباب المحترم ذو خلق ، الذي عرف بمعاملته الحسنة وسلوكه الطيب ومساعدته للغير بين أهالي منطقته ، صدق المثل المصري الذي قال أن " البطن

قلابة " ، بالفعل البيت الواحد يخرج للمجتمع الصالح والطالح ، ينتج العالم والفاشل ، فقد عانى الحاج مجدي كثيراً من ولده أحمد الذي كان كثيراً ما يسبب له المتاعب ، والسعي وراءه هنا وهناك ، وأقسام الشرطة ، بسبب التعاطي وبسبب _ الشلة _ التي يلازمها دوماً ، لكن ما حدث مؤخراً ، عندما مات أحد أصدقائه نتيجة جرعة مخدرات زائدة ، وبعدما وصلت الشرطة وألقت القبض على من عاصر الواقعة ، أرقق أبويه في أقسام البوليس ، قرر والده فجأة أن يحبس فترة في البيت حتى يستقيم سلوكه ، ويتخلص من نسبة المخدرات التي كان يتلقاها يومياً ومن ناحية أخرى إبعاده عن تلك الصحبة التي نالت منه كثيراً.

حاولت الأسرة أن تؤازره في استقامة سلوكه ، أصبح يتردد على مسجد قريب من المنزل ، يسمع الخطب والدروس ، ودواليك حتى أصبح شيخاً جليلاً يعطي المواعظ والحكم ويتكلم بالدين ، وفي الخفاء يتعاطي المخدرات ويعاشر النساء تحت مسمى الزواج العرفي ، فأصبح الزي الإسلامي وعبادة الدين ساتراً له من أفعاله الشاذة الفاضحة.

لم تتغير معاملة أخيه له رغم الإساءات والمشكلات التي يوقعه بها دوماً ، ظل أخاً وفيّاً ناصحاً ، لم ينفر منه لحظة ، حاول الإقتراب أكثر وأكثر كي يساعده في تخطي تلك الحالة ، لأن عماد مدرك أن أخاه بالتأكيد يمر بأزمة نفسية ما ، أو نوع من أنواع الإضطراب النفسي المزمن نتيجة تناوله المخدرات بشدة ومنذ فترة.

.....

استيقظ عماد مبكراً صباح يوم مشرق متوجهاً للجامعة ، وعندما وصل استراح قليلاً على إحدى المقاهي داخل الحرم الجامعي ، يحمل كتاباً ينغمس في قراءته ، يحتسي فنجاناً من القهوة ، يلحظ بخائنة عينه قدما ن ثابتتان بجانب مقعده وهو يستمع لأغنية ينبعث صداها من داخل المقهى ، يحرك عينيه على تلك القدمان الثابتتان أمامه حتى وصل للرأس ، يظهر وجهاً يشرق بجانب ضوء الشمس ، تقف محبة بجواره ، يعتلي وجهها إبتسامة صافية بريئة وهي تستأذن بالجلوس ، اتسعت حدقت عيناه عندما قابلت الشعاع الذي ينبعث من هاتين العينين الزرقاوين ، حدث إخفاق غير مسبوق في دقات قلبه فجأة ، شعر برعشة تسري في أطرافه ، ظن أنه الحب ، لم يستطع عماد أن يترجم شعوره نحو تلك الفاتنة التي يراها للمرة الثانية فقط ، لكن ما الذي حدث ؟! ؟!

لماذا يشعر دائماً بشوقه للنظر والغوص في أعماق عينها ، يساوره شعور عناق عميق ، كلما اختلس لحظات بالنظر لعينها ، أهذا هو الحب..؟ ، لم يعرف أن يفرق أو يدرك ماهية شعوره نحو تلك الفتاة الملائكية التي اختطفته فجأة من عالمه ، وأذنيه تنتبه لكلمات أغنية لـ (منير)

(يا إسكندرية) “ يا إسكندرية يا مصر اوية على سن باسم على ضحكة هالا البحر شباك ومشربية وانتي الأميرة على الدنيا طله “

الإبتسامة والدهشة يظهران على وجهه ، هب واقفاً ممسكاً بإحدى المقاعد وهو يشير لـ محبة بالجلوس دون رد ، إنها لغة العيون ، لم تكتمل خلوتهما بعد دخول سارة التي أشارت للنادل بالقدوم ، طلبت مشروباً ، بينما أصرت محبة على عدم حاجتها لإحتساء أي شئ ، طلب عماد كوباً من عصير الليمون أيضاً مثلما طلبت سارة التي تناولته على

الفور ثم استأذنت ، بعد أن قلبت الأمور رأساً على عقب عندما أخبرت عماد بأن محبة باتت تعرف عنه كل شيء ، وإنها لم يكن أمامها شيء سوا سيرته ، الأمر الذي جعل وجه محبة بدأ بالتحول للون الوردي من شدة الخجل ، تبادلت محبة وعماد نظرات يملأها الحب والسعادة ويكسوها الخجل ، وبعد رحيل سارة ، كسر عماد حاجز الصمت :

“ أنا كمان نفسي أعرف عنك كل حاجة ، مخبئش عليكى كنت حاسس إنى هشوفك النهاردة ”

أردفت محبة باسمه بخجل : “ مخبئش عليكى وأنا كمان ”

“ أنا مش عارف أقولك إيه ، أو أوصف إحساسى إزاي ، لكن كل اللى أقدر أقولهولك إنى من وقت ماشوفتك فى المكتبة وأنا بالي مشغول وحياتى إتبدلت ومش عارف أى تفسير.. والى ”

قبل أن يكمل عماد حديثه قاطعته محبة :

“ مشغول بإيه وعازب تفسير لإيه..؟! ”

“ مشغول بيكي..... قصدي مشغول بالكلام الي إتكلمناه مع بعض في المكتبة , وبصراحة كنت معجب جداً بطريقة تفكيرك , وحسيت إني لاقيت حد شبيهي أو بيفكر زي “..... أجابها عماد.

“ بصراحة يا عماد أنا الي معجبة بشخصيتك وجراءتك وتنويرك , قبل حتى ما أشوفك أو أتعرف عليك , الكلمات الي على اللوحة أثرت فيا بطريقة غير عادية وقلت لنفسي بالتأكيد إنها حيض من فيض , وراها شخص عبقري , يؤمن بالله ويعرفه وعلى درجة مرموقة من الثقافة ”.....

رددت محبة كلماتها قبل أن ينطق لسانه :

“ الحمد لله.. الحمد لله كنت فعلاً مفتقد إن يكون في حد شبيهي أو يكون على الأقل فاهمني , أنا الي معجب بيكي فعلاً يا محبة وبكل حاجة فيكي , ومكدبش عليكي من يوم ما قابلتك وإنتي معايا دايماً وصورتك مافرقتش خيالي“

_استمرت العيون تفيض بالكلمات التي يعجز اللسان عن النطق بها , سبح الإثنان في كون شالاسع من المشاعر الحقيقية والطاقة الإيجابية , غفلت أعينهم عما حولهم وأخذوا يجولان الكون , باتت أعينهما لم ترى شيئاً سواهما , إلا أن قامت سارة بإنهاء هذا الحلم الذي أخذهما لتوه وهي تجذب محبة فجأة من يدها ومحبة مازالت هائمة مع روح أخرى , ثم أشارت لـ عماد كأنها تقول أراك لاحقاً , لم تفعل محبة أدنى رد فعل حينما جرتها صديقتها من يديها , إلا أن رمقت عماد بنظرة يملأها الدفء والاضطراب معاً.

_ أصبحت محبة في حاله لم تمر بها من قبل ، آن الآوان ليدق قلبها بأرقي الألحان، تحيا دائماً في هيام ، صورة حبيبها لم تفارق خيالها لحظة , نعم حبيبها الذي إختاره قلبها , وهل هناك أجمل وأرقى من قلب تلك الفتاة التي يتمناها الكثيرون ، تعرف الحب لكن أول مرة يصادفها هذا النوع من الحب ، الحب الذي أذابها كما يذوب الملح بالماء ، الذي جعلها هائمة في سماء العاشقين ، لكن على كل , _ الطيور على أشكالها تقع _ كما يقول المثل المصري ، الأمر تعدى الحدود فهل هناك ما يمكن أن يفرق بين عاشقين أو قلبين خفقا في ذات اللحظة ..؟

.....

_ في أوائل تسعينات القرن الماضي وعلى مدار أعوامه تعددت وانتشرت الخلايا الإرهابية التي ترتدي وجهاً إسلامياً ، ومما لا شك فيه أن الأمر استهوى العديد من الشباب المصريين , داخل مصر بإسم الجهاد وإعلاء راية الإسلام وإقامة شرع الله ، ونظرا للجهل الذي انتشر في البلاد وانعدام الثقافة وتزوير التاريخ ، نشأ جيلاً نلتمس له العذر ، حتى ولو تم غسيل أدمغتهم من قبل جماعات توحى بأنها إسلامية , ناهيك عن العروض المادية والأموال التي كانت سبب في إنسياق نسبة من الشباب المصري تحت راية الجهاد ، حدثت صراعات شتى بين الدولة المصرية وأجهزتها الأمنية وبين تلك التنظيمات , وكانت شرارة خروج كوادر تلك الجماعات في منتصف الثمانينات , ومحاوله المصالحة وإعطائهم الحق

في وجودهم في الحياة السياسية بعد إغلاقها تمامًا بعد مقتل الرئيس - محمد أنور السادات - سنة 1981 ، أعطى الحق لهؤلاء يارهاب الشعب المصري وقصد السياحة وتفجيرات وقوائم إغتيالات للعديد من كوادر الشرطة وأمن الدولة ، وخاصة من يعملون في قسم النشاط الديني داخل الأجهزة الأمنية.....

_دق باب منزل الحاج مجدي العازي في ساعة متأخرة من الليل حوالي الثالثة فجراً وإذا بشاب يبدو على مظهره الخمول ، ثيابه رثة ، مهترئة ، يوجد على وجهه آثار كدمات ، إنه أحمد.. أحمد مجدي الذي تم إعتقاله منذ شهر بسبب قضايا الإرهاب المثارة داخل نطاق جمهورية مصر العربية ، ستقوم الأجهزة الأمنية على الفور بمحاولة إلقاء القبض على كل العناصر والشخصيات التي لديها يد في تلك العمليات الإرهابية ، وبالفعل تم لحاقهم في كل حذب ودرب...

_دخل أحمد ملقياً بنفسه في حضن أمه بشغف وخوف ، لحيته تكسوها الأتربة ، هيئته لا تسر ، استفاق عماد من نومه على صوت جرس الباب الذي دق في ساعة متأخرة ، فتح غرفته في نفس الوقت الذي يظهر أبيه خلف باب غرفته أيضاً ، تحقق الحاج مجدي من الأمر ، ثم عاود غرفته مرة أخرى لا يبالي ، أمه تبكي وتنوح ، أسرع عماد إلى أخيه الذي جذبه إليه في عناق شديد وعيناه تذرفان الدمع ، وصوت يسري مبحوحاً في ثنايا غرفة الاستقبال نادماً :

“سامحوني... سامحوني كلكوا.. أنا ندمان أوي.. شوفت في المعتقل الي عمري فعلاً ما شوفته.. سامحوني ، سامحيني ياما ، سامحني يا أخويا“

ثم أسرع نحو حجرة أبيه ، جثي على ركبتيه ، يقبل قدم أباه ويرجوه أن يسامحه ،
إتجهت أم عماد إلى المطبخ بعدما أَلقت بكلماتها لابنها الغائب :

“هقوم أعملك لقمة تاكلها تلاقيك على لحم بطنك يا ضنايا ، إنت عدمت“

دخل أحمد غرفته ليستريح بعد وجبة الطعام التي أعدتها له امه ، تناولها بشراهة وكأنه لم ير طعاما منذ سنوات ، إعتلى عماد سريره بجوار سرير أحمد الذي أصدر أصواتا أكثر ضجيجاً من صوت الشخير ، نظر إليه أخيه في عطف مبتسماً ، ثم عاد بنظره لسقف الغرفة ، وقد فر النوم من عينيه ، أخذ يفكر في تلك الفتاة التي إقتحمت حياته فجأة وهو يقول في نفسه :

“إيه معني حياتي من غيرك ، محبة هي كل حياتي“

ثم إحتدم النقاش في نفسه فإرتفع صوته حتى جذب إنتباهه وبعنف :

“مش هتخلي عنك يا محبة مش هسيبك أبداً طول مانا عايش يا عين قلبي“

يرتفع صوت الشخير الذي يشتهه أحياناً عن محور أفكاره ، أثناء محاولته استرجاع بعض اللحظات ، حينما يتذكرها يبتسم وجهه تلقائياً ، تغمره السعادة والفرحة ، ثم سأل نفسه سؤالاً أخيراً قبل أن يثقل عليه جفنه.. هل بالفعل سستيح له الفرصة ويكمل مشواره ويحقق آماله ويتزوج من حبيبته المسيحية..؟ تلك الزيجة التي يرفضها مجتمعنا الشرقي وخصوصا المصري.. هل سيواجهه..؟

هل سيتخطي..؟ هل سيتزوجها فعلاً أم أن للقدر رأياً آخر..... مضت المعاني وتلاشت الأفكار وغلبه النعاس حتى فارق الواقع.....ع .

●●●●●●●●●●●●●●●●●●

يعلو صوت همسات وفحيح داخل مدرج بكلية الآداب قسم الفلسفة ، يدخل أحد أساتذة الكلية ، يسود بعده المكان الهدوء التام ، لم يمر سوى قليل حين أعلن أحدهم عن بدء الندوة التي نظمها بعض الأساتذة بمساعدة الطلاب المعول لهم تلك الندوات ، تقام الندوة بعنوان : (فلسفة التدين) وسيقدمها الطالب المتميز عماد مجدى العزازى .

.....
 أمام المايكروفون ليلقى السلام على الجميع ويفتح الندوة.....

“ بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) من بعثه الله رحمة للعالمين والصلاة والسلام على أنبياء الله ورسله أجمعين ، أود أن أبدأ حديثي بقول الله تعالى :

" قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ "

صدق الله العظيم—————م.

يتلخص حديثي الذي هو بعنوان " فلسفة التدين والمعاملة " في كلمة واحدة وهي ((الحب)) ، فالله تعالى يدعونا للحب ، فالحب هو أعلى مراتب الإيمان ، وفلسفة التدين هي معرفة الله ، وأما عن الوصال الذي يكون بين العبد وربّه ، هو عبارة عن علاقة روحية يكون فيها الإنسان في أسمى وأرقى رتبة ، عندما ذكر الله تعالى :

“ وفي السماء رزقكم وما توعدون “

إذا لاحظنا الآية حرفياً ، نخلها إلى المطر مثلاً ، كرزق ينزل إلينا من السماء ، وأيضاً تقسيم أرزاق العباد تكون من السماء ، أما إذا تعمقنا أكثر وتأملنا سنجد شيئاً جلياً فعندما ذكر المولى أن في السماء رزقكم وما توعدون ، أنه من الممكن التحول إلى السمو والرقى في كل شيء في الحياة ، أي أن رزق الله ووعده لعباده يزيد ويكثر كلما يرتقي الإنسان لأعلى مراحل الإنسانية ، سواء في عمله ، بيته ، مجتمعه ، ليس قدر البشر فقط ،

بل يتعدى السمو والعلو الإنساني إلى درجة التعامل مع جميع الموجودات ، حيونات ، نباتات ، جماد ، و و..... لأن " الدين المعاملة "

كما ذكر رسولنا الحبيب (صلى الله عليه وسلم) فهذه الجملة المكونة من كلمتين لخص فيهم نبينا (صلى الله عليه وسلم) الدين.. أليس كذلك؟؟ , سواء في ميولنا أو عرقنا أو حتى الدين .

عندما يعلم المرء أن حدود حريته تنتهي عند المساس بحرية الآخرين , وقتها سنكون في مكان أفضل ، إذا عم السلام وانتشرت المحبة وزاد الإحترام وعم التواضع سنصبح خير أمه بالفعل .

قال الله تعالى في موضع آخر :

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ "

أي لتتقاربوا وتتعاملوا " ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة "

بالفعل هي إرادة ومشیئة الله أن يجعلنا أمة وشعوب وقبائل , حتى يصير التكامل .

لابد وأن يعي الجميع أن الفلسفة هي أسلوب حياة , واختيار الحكمة , والتعقل في شتى التعاملات , سواء مع أنفسنا أو مع سائر الموجودات كما ذكرنا , لقد سخر الله تعالى الحياة برمتها للإنسان ,..... هنا يقبع السؤال فهل الله سخر ما في الكون للإنسان وهو ضعيف.....؟ بالتأكيد الإجابة...لا..

منا مناقشة نفسه أولاً ، لتعرف (الثمين من الرث) ، وعليكم أنفسكم لا تلقوا بالاً
 بلآخرين ، هذه دعوة الله ليس بكلامي ، وأحب أن أوضح الهدف من تلك الندوة
 (فلسفة التدين) أن تبحث دائماً عن الله ، أود أن أذكر اثنين من أعظم ما أنجبت
 البشرية ، تعلمت منهما الكثير والكثير ، كلاً منهما أثر بالأخر ، تحابا في الله ، فكانا خير
 صديقين كما أصبحا خير معلمين

((شمس الدين التبريزي ومولانا جلال الدين الرومي))

شكل مولانا جلال الدين الرومي في مداركي وكياني إعادة ترتيب وتأهيل لعقلي ونظرتي لله
 ، وكيف أن أري الله دائماً ، المهم كي لا أطيل عليكم جاء ذكر تلك العلاقة على سبيل
 حديثنا ، فمن ثقافة إيمان الصاحبان بأنهما يؤمنان “ بأن البحث عن الله هي القضية
 الكبرى وأما عن البحث في إختلافات الديانات فهي قضية وصفت بالتفاهة “

أخيراً أود أن أوضح فلسفتي الشخصية في مسألة التدين فأقول دع المسلم والمسيحي
 واليهودي والبوذي والمجوسي والصائبي و و وما لم نعلم عنهم..... دعهم يبحثون عن الله
 في سبيلهم ، وإذا توصلت لدرجة اليقين فيما تؤمن به ، فادعوا نعم ادعوا بالمعاملة والخلق
 ، ما نعانیه الآن في مجتمعاتنا خاصة الشرقية منها هو العنصرية ، لما لا ندرك ولا نفهم ،
 أتدرون أيها المصريون إذا نبض لدينا الحس العنصري لمصريتنا لأصبحنا أعلى مراتب
 الأمم والشعوب ، نحن نحتاج لشبه عنصرية أقول ذلك ، ورغم إني ضد العنصرية قولاً
 واحداً ، إنما مصريتنا تحتاج لهذا ، حبوا أنفسكم ، حبوا أرضكم ، حبوا مصركم .

وقبل أن أنهى حديثي الذي طال كثيراً ، أود ذكر حديثاً نبوياً لحبيبنا محمد (صلى الله
 عليه وسلم) حيث قال :

“ لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه “ صدقت رسول الله
 ألم تلاحظون أنه الحب أيضاً....؟ ، اخترت هذا الحديث لأنهي به حديثي وأوضح المرأة التي
 إذا وضعنا هذا الحديث أمامها لظهر طبق الأصل منه في تراث إخواننا المسيحيين على
 لسان المسيح حين قال :

“ لا يطلب أحد ما هو لنفسه بل كل واحد ما هو للآخر “

إنه ذات المصدر.. إنه الحب.. إنه الخير.. هو الله فتجدوا مما رسخ في عقولكم
 ، وفكروا ، لا تجعل لعقلك حجب تنتهي عندها ، الله يريدنا أن نبحت ونتدبر ونتأمل ،
 الله موجود فينا بصفاته لأنه واجدنا ، هو الواجد الذي لا يملك صفة الوجود غيره لأنه
 ليس كمثل شئ ، أوصيكم وإياي بالحب وشكراً لحسن استماعكم ،
 والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

_يجول عماد نظره وهو ينزل عن المدرج ليلقي محبة تجلس تستمع ، تفاجئ لأنه لم يك
 يراها ، ربما بسبب الإضاءة في المكان أو لكثرة الحضور ، وبجانبها تجلس رفيقتها الملازمة
 سارة ،

إنهال التصفيق في أنحاء المدرج ، صرير الصيحات والصفير يدوي في المكان ، لم يحرك عينه
 من على حبيبته التي هبت واقفة تصفق بشدة ووجها يبعث فخر وحب بما قدمه حبيبها
 داخل القاعة ، حتى انقطع النظر عندما تجاوز عماد باب القاعة.

_ طغى الإحمرار وجه محبة ، اتسعت عيناها ، يصعب قراءة ملامحها في تلك اللحظة التي ارتبكت فيها بعدما سمعت صدى الكلمات التي تفوه بها عماد ، حاولت كبح مشاعرها ، تحاول أن تتماسك ، تحول بياض عينيها إلى اللون الوردي حول حدقتها الزرقاء ، وهي تحاول إبعاد عينيها عن نظره ، شحب وجه عماد بعد لحظات ثم أردف هامساً :

“أنا فعلاً مجبـك من أول يوم شوفتك فيه“

تلك الجملة التي تبعثها بردود أفعال مضطربة ، تسري من جسدها ، أما عن شعور عماد فقد قرأ من عينيها أنها تريد أن تردد ذات الكلام حتى إطمأن ، عند دخول النادل وهو يضع فنجان القهوة وكأس الفريش .

“ الحكمة تطالبكما بالوفاق وإلا انقلبت الحياة جحيماً لا يطاق ”

.....نحيب محفوظ .

مقصوفة توضع أسفل الطاولة الزجاجية التي كانا يجلسان حولها ، أشارت محبة بإصبعها لتلك المقصورة ، حرك عماد يده ببطء شديد بإتجاه ، إصبعها والإبتسامة تنفج على وجهه ، تلامس أصابعه أنامل محبة حتى احتضن كفها بين يديه ، أغمضت عينيها في ذات اللحظة ، ثم مدت يدها الأخرى تريحها على يد عماد ففعل هو الآخر في سكون وصمت .

_وبينما يجلس أشرف بمفرده , يفكر ويجول بفكره جيئة وذهاباً ويقول في نفسه “كبرت محبة” , بعد أيام تعد ستصبح الدكتور محبة , لم يرد أشرف إلا أن يطمئن عليها ويرى أحفاده منها , تصبح وتلعب حوله , كلما باغتته تلك الفكرة يضحك كثيراً ثم يحزن تارة أخرى , بسبب جفاء فيكتور له , أصبح قاسياً عما كان بعدما إرتاد كلية الشرطة وتخرج منها , وهو الآن يتدرب في أحد الأقسام ليصبح معاوناً للمباحث , دائماً يتذكره وهو صغير , ويتذكر مداعبته كأول فرحة له , لكن لا يعلم هل العسكرية طغت عليه وجعلته قاسياً جافاً حتى لأقرب الناس إليه , أم مشغوليات رجال الشرطة هكذا , ذكره والده في نفسه وصلي له بأن يحميه الرب ويرعاه أينما كان , وأثناء تقليب الذكريات بين ابنه تارة وابنته تارة أخرى , أقبل شاباً متوسط القامة إلى المعمل طارقاً بابه بلطف , ثم تقدم ناحية أشرف فيمد يده ليصافحه وهو يسأله :

“حضرتك الدكتور أشرف..؟”

أوماً رأسه إيجاباً وهو يضم بشفتيه في استهجان : “أفضل يا بني”
رد الشاب قائلاً :

“أنا اسمي عماد مجدي العازي طالب في آخر سنة في كلية الآداب قسم فلسفة وزميل محبة بنت حضرتك”

استقبله أشرف بالترحاب ثم أشار إليه ليستريح على إحدى مقاعد المعمل , وبعد إحتماء كوب الشاي الذي قدمه له أشرف , دخلت محبة و سارة ويتبعهما مايكل إلى المعمل , نظرت سارة لـ محبة في دهشة , أما مايكل فقد إنتابه شعور غريب لم يعبأ به , لكنه

يتدخل دومًا فيما لا يعنيه ببلاهة وسذاجة ، حيث سارة ومحبة عماد من بعيد ، لم تطل الزيارة كثيرًا قبل حضور ثلاثتهم ، إلا أن محبة رمقت والدها بنظرة تطالبه بالألا يتفوه عن شيء في حضورهم ، وبعدما غادر الزائر ، وسلمت محبة على أبيها ، لحقتها سارة ومايكل الذي قطع الروتين بسؤال فضولي سخي ، عندما سأل عمه عن الشخص الذي كان يجلس منذ قليل ، أسرع أشرف في رده وأخبره أنه شاب خريج جديد وجاء لبحث عن عمل ، الأمر الذي جعل سارة تنظر له بإستنكار .

.....

_أسدلت الشمس ستار الغروب على فيلا نخيلة ، تسبح نسيمات الهواء البارد بين ذراته ، تداعب أوراق الشجر المحيطة بالفلا ، جلس أشرف في إحدى استراحاته في حديقة الفلا منادياً على ابنته ، أتت على الفور ، وجهها يشير بمعرفتها عما سيحدثها به والدها ، إقتربت من وجه أبيها لتضع القبلة المعتادة على جبهته وجلست بجانبه ، لتلقي عين والدها التي تنهال عليها بأسئلة عديدة ثم استطردها :

“ إزاي يا حبيبتي..؟ إزاي بس..؟ ”

(الفصل الرابع)

احتدم النقاش في بيت الحاج مجدي العزازي ، بينه وبين ابنه عماد عندما علم بنية ابنه بالزواج من صديقتة المسيحية ، فتمت معارضته من قبل الجميع ، أبوه وأمه ثم أخوه أحمد الذي تدخل مؤخراً في النقاش ، لم يكن السبيل إلى هذه الزيجة بالمهد وسيواجهون معارضاة عديدة ، ليس فقط من الكنيسة المصرية التي لم تقبل بمثل هذا الزواج الذي سيكون مدنياً بالتأكيد ، لكن التعديات والنفور التي سيواجهونها من المجتمع ككل بدءاً من عائلاتهم

وبعد محاولات نقاشية قاسية تدخل أحمد ناعقاً

:

“ افترضنا إنك إتجوزتها...!! وبعدين...؟؟” وقبل استكمال وجهة نظره قاطعه والدهما وكأنه لم يسمع شيئاً ، وبإشمتزاز أحال نظره لـ عماد :

“ يا عماد يابني أنت كبرت وعارف إيه الصح وإيه الغلط ، وأنا عارف إنك راجل متعلم وعارف مصلحتك فين ، لكن يابني فلسفة الكتب غير فلسفة الحياة ، فكرك ومشاعرك الجميلة دي ناس كتير هتعترضك ، أنا بنقولك الكلام ده عشان خايف عليك وبلاش موضوع الفلسفة ده يآثر حتى على جوازك “

تدخل أحمد ثانياً في الموضوع :

“ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكح المرأة لأربع لمالها وجمالها وحسبها ودينها فافظربذات الدين تربت يداك “..... وربنا قال :

“ ولا تنكحوا المشركات حتي يؤمن , ولأمة مؤمنة خير من مشركة لو أعجبتكم “ صدق الله العظيم.

تعجب عماد ضاحكاً من كلام أخيه :

“ إيه دخل الكلام ده في الي بنقولوا يا شيخ أحمد , هو ده الي إتعلمتة من المساجد...؟ , يعني ربنا بيقولك لا تنكحوا المشركات , وبعدين يقول حلال الزواج من أهل الكتاب , يعني حضرتك مش عارف تفرق أصلاً بين أهل الكتاب والمشركات صلي على النبي في قلبك “

استكمل أحمد حديثه لا يبالي ما لفظه أخوه من كلمات , لم تلق فائدة لديه موجهاً الكلام لوالده :

“ اسأل ابنك كدة يا حاج , أما ربنا يرزقه بالذرية الصالحة هيبقوا مسلمين وهيريهم على الإسلام ولا ده كمان فيه فلسفة؟؟!! , الموضوع كله منيل من أوله أساساً , غاوي وجع قلب “

رمق الحاج مجدي ابنه أحمد نظرة استنكار واشمئزاز مرة أخرى ولم يرد عليه حينما هب واقفاً وهو يتلفظ بكلمات غير مفهومة دليل رفضه للزواج , متجهاً نحو باب المنزل الذي أغلقه بعنف وذهب .

ربت الحاج مجدي على كتف ابنه الذي قبل يدها للتوقائلاً :

أخته أخبرته أمه بأنها لم تصل من جامعتها حتى حينه ، دقائق معدودة قبل ميعاد الغداء بقليل يدق جرس الباب وبينما فتح الباب ظهر أسامة مايكل ، دخلا في الحال ، رحب بهما أشرف وزوجته ، وفيكتور بفتور.

وقبل أن تضع محبة المفتاح بباب الفيلا ، سمعت صوت عمها أسامة ويتحدث بالحاح عن زواج مايكل ومحبة ، ورغم أن أشرف أخبره مراراً عن تأجيل موضوع الزواج نظراً لدراسة محبة ، إلا أن تدخل مايكل ببجاجة شديدة شاهراً لسانه :

“ مش ممكن يكون في حد تاني في حياتها.. وماشية معاه مثلاً..!!؟ ”

نظر له عمه باستنكار مردداً : “ حد تاني إزاي يعني.. إيه اللي بتقوله ده..؟! ”

“ آه يا عمي.. أه يا دكتور حد تاني بنتك كانت في حضنه النهاردة في الجامعة ” قالها مايكل مترنحاً باستخفاف.

لم يتمسك فيكتور أعصابه ، دائماً ما كان يبغض تلك اللمة السقيمة مع أسرة عمه ، هب واقفاً في إنزعاج ، وهو يشد بقميص مايكل الذي لا يطيقه من قريب أو من بعيد ، حتى فتحت محبة الباب ودلفت وبسعاده مصطنعة :

“ مساء الخير.. إزيك يا عمو.. بابا حبيبي شوفت يا بابا عماد خطيبي جابلي إيه النهاردة ”

لم يفهم والدها عما تتحدث ، ولا حتى أخيها ، الذي سلمت عليه تواءً ، فلم يتفوه أبوها بكلمة ، ظل صامتاً ينظر لوجه ابنته التي اعتذرت للجميع كي تدلف لغرفتها بحجة أنها تشعر التعب والإرهاق .

رمق أسامة أخاه بنظرة يملأها الخبث مغبراً للموضوع :

“ الكبار قاعدين والعيال هتمسك في بعضها ، نزل إيدك عن الولد يا فيكتور عيب “ ثم حول حديثه مرة ثانية عما قالته محبة في هزل :

“ طيب مش كنت تعزم أخوك الكبير يا أشرف على جبنيت بنتك ، ولا إحنا مش هنشرفك..قوم بينا يابني “

اتجه أسامة ويتبعه ابنه نحو الخارج دون أن يتلفظ أحد بأي حرف ، ساد الصمت قليلا ، حين ظهرت محبة ثانيةً وهي تنزل من أعلى الدرج المؤدي لغرفتها ، ثم إستقرت في منتصف الصالون أمام الأسرة ، وتبدو البلاهة وعدم الفهم عليهم جميعا لكن فيكتور كسر الصمت المدقع الذي يملأ المكان ، يتشخص في نفسه :

“ تقريراً فيه حاجات حصلت كثير في الأيام الي فاتت وأنا مش موجود “

.....قالها وهم مسرعاً نحو باب الفيلا مغادراً بوجه عبوس.

“أنا أسفة يا بابا أضطريت أقول الكلام ده عشان موقف مايكل ، الي سمعته قبل ما أفتح الباب ، مستحملتش إنهم يوجهولك كلام قاسي زي ده بالطريقة دي وحضرتك مش فاهم..... أنا متأسفة يا بابا “.

_أثناء الليل جلست محبة مع والدها يتسامرون ، بعد الموقف السخيف الذي حدث من عمها وابنه ، أخبرته بما حدث في الجامعة مع عماد ثم تناولت الحديث معه :

“عماد كان عايز ميعاد من حضرتك يا بابا ، علشان يخطبني منك ، أنا عارفة يا بابا إن الكنيسة عمرها ما هتوافق على جوازنا ، لكن القانون المدني بيسمح بالزواج عادي ، وعارفة كمان إن عمو أسامة ممكن يدخلنا في مشاكل كقسيس وخادم للكنيسة ، بس أنا فكرت في الموضوع وصليت عشان أتجوز الشخص ده ، ومتأكدة إن المسيح مطلع وحاسس بيا ، لكن بصراحة يا بابا عمري ماحسيت بحد إلا الشخص ده ، شخص صادق مع نفسه ، متأكده إنه هو كمان بيحبني زي ما أنا.....، رغم إنني عارفة أنه هيقابل مشاكل كتير جدًا هو كمان “.

تقبل أشرف كلامها بصدر رحب ، بعدما أوضح لها ما تكنه لها الأيام من مشاكل ومطارادات بسبب تلك الزيجة التي يرفضها المجتمع ، تدخلت ليلي في الحديث ناصحة ابنتها بأن تحيد عن تلك الفكرة ، نظراً لوضع المجتمع ، وأيضاً قلقها عليها من القيل والقال ومعاقبة الكنيسة و و، إلا أن والديها كانا في قمة الإدراك والتفهم للوضع ، كانا يؤمنان أن ما عليهما إلا البلاغ والحرص على أمان وحياة ابنتهما ، صلت أمها لأجلها

، كما دعا لها والدها وسأل الله أن يرعاها ويحفظها وينير طريقها ، ثم أخبرتهم محبة بعد انتهاء الحديث أن يكون الموعد الذي يحدده والدها بعد ظهور نتيجة نهاية العام الدراسي .

.....

_ إحتلت محبة الرتبة الثالثة مكرر على دفعتها ، وهي وفي نشوة سعادتها تلقي بنظرها في الأفق ، عماد يطل من بعيد بوجه مشرق ، جاء ليطمئن على نتيجة حبيبته ، لم تسعه الفرحة بنجاحها وتفوقها ، حتى أنه نسي فرحته بنجاحه رغم إنه كان الأول على دفعته .

السعادة والأمل تحوطان الحبيبان اللذان أخذوا بالركض بين المساحات الخضراء داخل الحرم الجامعي ، ثم توقفوا ، عماد يتغزل بحبيبته التي يظهر خجلها دائماً ، يخبرها إنه لن يستطيع الحياة دونها ، وبأن الله خلقهم من أجل استكمال الحياة سوياً ، ثم استوقفها بجانب أحد الشجيرات التي تطل بأغصانها بين مساحة خضراء يزينها الورود جثا على ركبتيه أمامها ، وقال بصوت معتدل تحفه النشوة :

“حبيبي وملاكى أعهد الله أن أضعك في عيني وأن أحمل عنك هموم الحياة مادمت على قيدها ، وأن أراك وأحملك بين جفون عيني ، وأن تعيشي كملكة تزينين مملكتي وتضيئين عرشها ، لا أقو على فراقك ، لن أتركك أبداً ، ولا يستطيع أحداً أياً من كان على التفريق بيننا ، وسأقف أمام أى شئ يحاول هدم مملكتنا ، لم أهدف إلا لرضاكى ، يا من

حلمت بالنظر له ، يا من تمنيت يوماً أن أحيا بجانبها ، حبيبتي ، سيدة نساء العالم أشهد الله إني أعشقت وأموت فداء لحظة ألم قد تتألمينها ،
لا يفرقني عنك سوى الموت.. أحبك للأبد.. أحبك.. بحبك ."
طوي عماد الورقة التي قرأ منها كلماته التي أعدها قبيل وصوله ووضعها في جيب قميصه ، ثم قبل يدها بلطف ، سارت قشعريرة تخللت جسدها من وقع تلك الكلمات التي استقرت بقلدها ، أحمر وجهها كالعادة من شدة الخجل ، بللت الدموع عينيها من وقع الكلمات وهي تبتسم ، تركت مشاعرها وأحاسيسها تفيض أمامها ، ثم أمسكت وجه عماد الذي لا يزال جاثياً على ركبتيه ثم بادرت به بلطف :

“ وأنا كمان.. بحبك ، وهفضل أحبك لآخر يوم في عمري ، يا أحن وأغلى إنسان “ لم يلتفت الحبيبان للحشد الذي يتابع مشهدهم من بعيد ، إلا أنهما إنتبها أخيراً ، ثم توجهتا مسرعان نحو باب الخروج وأيديهم تحتضن بعضهما.

.....

_ سادت السعادة بيت نخيلة عندما علموا بنجاح محبة ، التي كانت خير أمل لوالديها ، ولأنها حققت ما تتمناه منذ أن كانت طفلة ، وهي تحلم بأن تصبح مثل والدها ، وهي الآن الدكتورة << محبة أشرف كمال نخيلة >> قانوناً وفعلاً ، ما أجملها تلك السعادة عندما تحققت ما كنت تأمل به يوماً .

.....

_غضب أشرف غضبا شديداً عندما مر عليه أحد المحتاجين وشكى له سوء المعاملة التي تلقاها من أحد العاملين بإحدى فروع صيدلياته ، حيث كان يخصص بضع ساعات يوم الجمعة تحديداً لصرف العلاجات للحالات الخاصة الغير قادرة ، كما يوفر شهرية علاجية لأصحاب الأمراض من غير القادرين أيضاً ، وشدد على حسن المعاملة والألتزام بصرف العلاجات لهؤلاء ، تلك عادة كان قد اعتادها منذ إفتتاحه لأول صيدلية له ، ناهيك عن المساعدات المادية والمعنوية التي يقوم بها هذا الرجل لمن حوله من الفقراء والمحتاجين وغيرهم ، وما أثار غضبه أن أحد العاملين بصيدلياته صرخ في وجه أحدهم - من يشتكي إليه - بسبب إلحاحه في طلب دواءه الشهري كمريض بداء السكري ، الأمر الذي جعله يذهب ليؤكد تعليماته مرة أخرى ويلزم العاملين بحسن التعامل مع العملاء ، من يعتمد على تلك النفقات العلاجية من يحمل _الأبونية_ الخاص بصيدليات نخيلة .

_بمكان آخر، يستند فيكتور بظهره على حافة مسبح فيلته السرية ، يحتسي كأساً من أجود أنواع الويسكي ، يضع الكأس على الحافة ، يتخلل المشهد قدمان حافيتان ملفوفتان باللحم الأبيض اللامع ، يسارهما مطوقة بخلخال ذهبي ، لون أحمر فاقع يلون أطرافها وكما يبدو من المشهد أن صاحبة القدمين الحافيتين إنها لا ترتدي شيئاً قط ، يأتي صوتها في الأفق بمجمل واحدة :

“ مش قولتلك يا حبيبي.....أحيهه ”

ووجه فيكتور يعتليه الغضب الشديد وهو يتكئ على الحافة ، يضغط بيده على الكأس الذي تجرع منه القليل وعيناه يسودهما الحقد والغل ، ينبعث صوت أسنانه التي يكزها ،

ضاغطاً بقوة على الكأس الذي تهشم في يده ، فسالت الدماء عليه ولم يكثرث ، تحركت القدمان الحافيتان باتجاه الشيزلونج القائم بجوار المسيح بميل وترنح ، لمعت عين فيكتور الذي كان يستشيط غضبا منذ قليل ، إلا أن جسد الفتاة حرك شيئاً ما داخله ، ترجمت عيناه ما يخفيه ، خرج من المسيح باتجاه الشيزلونج⁽¹⁾.

.....

بعدما رجع فيكتور البيت استمعت الأسرة لحديثه المطول ثم أردف والده :

“ شوف يابني.. الموضوع مش زي ما أنت فاهم ، هو في عريس فعلاً بس لسه متقدمش رسمي ولا في أي حاجة من الي في دماغك ، إنما على كل حال هو إسمه عماد وهو شاب محترم ومجتهد ويحب أختك وأختك كمان بتحبه وإنك عارف أختك ملهاش ف اللوع والمياصة ، لكنها مصممة على الشخص ده وعازية تبني حياتها معاه ، وموضوع عيلة مين وعيلة إيه ده موضوع ملهوش قيمة أكثر من الشخص نفسه الي هياخد بنتنا ، لكن على العموم هما ناس على قد حالهم ، ووالده راجل موظف غلبان وأنا موافق.. إنت رأيك إيه.....؟ ”

“ رأي إيه بقي هو انتوا عملتولي أي اعتبار...!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!! ”.

¹ مقعد يتحول لسرير يغطاه بلاستيكي لا يمتص الماء

_وقف عماد أمام مرآة حجرته يمشط شعره وهندامه , بعد طرد أبيه لأخيه أحمد الذي لا يزال معترضاً على زواج عماد , حتى وصل الأمر بالتعدي بالألفاظ , يخبر عماد والده أن الساعة قاربت على الثالثة , وأن محبة وأسرتها ينتظروهم , وقفت أم عماد التي مازالت الدموع تحوط عينيها من المشادة التي تمت منذ قليل وهي تمسح بيدها على بدلة ابنها , وتتوسل إلى الله بالدعاء ليحفظ ابنها وأن ترسي الأمور على خير .

قبل عماد يد أمه ورأسها وأبوه يتقدمهما نحو الباب , نزل ثلاثتهم وأغلقت الحاجة سعاد الباب خلفها .

نزل عماد مع والديه من السيارة التي كانوا يستقلونها أمام فيلا نخيلة في إحدى أرقى مناطق الأسكندرية بسيدي جابر , يتوجهون نحو باب الفيلا الحديدي الذي فتح من قبل الحارس الخاص بالفيلا , والذي علم مسبقاً بقدمهم , وإذا بشخص يتابع تقدمهما متخفياً , يتوارى عند إحدى نواصي الشارع المؤدي للفيلا , إنه أحمد.....! , ينظر ووجهه يملأوه الكراهية وعدم الرضا عما يحدث , لكن لماذا يتخفى هكذا.....؟! ولما لا يريد أن يره أحداً..؟ , إنه شخص غير مريح بالمرّة .

_يقف أشرف بإحدى شرفات فيلته عندما دخلت أسرة عماد , وعلى الفور تقدم ونزل إلى صالون الاستقبال حيث أمر الخادمة بفتح الباب الخشبي , استقبل أشرف ولبلى ضيوفهم بالترحاب وابتسامة رقيقة تبعث السلام , أشارت لبلى للخادمة بتقديم واجب الضيافة لهم .

جلست العائلة في إحدى أركان صالون الاستقبال و أشرف وزوجته مازالا يقدمان التحية مرة بعد مرة :

“ يا مرحب يا مرحب.. أهلاً وسهلاً.. شرفتونا “

أحضرت الخادمة كؤوس العصير المثلج وبجوارها زجاجة مياه باردة وكوبين فارغين للمياه وضعتهم الخادمة على الطاولة وغادرت , أخذت ليل المبادرة بتقديم المشروبات للضيوف , ممسكة بإحدى الكؤوس تناولها للسيدة سعاد التي بدا عليها تعبيرات متضاربة ، هل هي سعيدة لفرحة ابنها عماد ، أم تحزن لميل حال الآخر فضلاً عن موضوع العروسة المسيحية التي لم تعرف إلى أين ينحني بولدها السبيل .

وأثناء تقديم كؤوس الترحاب , إذا بـ محبة تظهر بفستان أحمر قرمزي فاخر ، لم تكثر فيه الحلويات ، ذو حمالتين يعتلي يسراها وردة من ذات اللون القرمزي، وكوليها ذهبياً يزين رقبتها ، شعرها الذهبي يرتكن على كتفيها , يتدلى من أذنيها حلق ذهبي يبدو عليه العراقة ، تزين شفتيها بلون أحمر دموي أيضاً , يليق بلون الفستان الملكي , وعينيها الزرقاوان في حيرة من أمرهما تحركهما ذهاباً وإياباً بين عماد وبين الحاضرين ، تلك المرة الأولى التي تقابل فيها والدا حبيبها ، و عماد يعتلي وجهه ابتسامة حيوية زادت وجهه تألقاً وإشراقاً .

(الفصل الخامس)

دلفت سارة إلى مصنع الأدوية التابع لعائلة نخيلة ، ألقت التحية على مايكل وهي تبعث له بنظرة هي الأولى من نوعها ربما توجي بالإعجاب أو شيء من هذا القبيل، استعجب مايكل من هذه النظرة الجديدة ، فبادلها بنظرة تماثلها بمساعدة إبتسامة عريضة في حينها ، سألت سارة عن محبة ، أخبرها مايكل أنها لم تزر المعمل منذ مدة لإنشغالها بتحضير رسالة الماجستير، دار الحديث بينهما لكنه لم يبتعد عن سيرة محبة ، حتي قطع مايكل المسار قبل مغادرة سارة قائلاً :

“ مش هشوفك تاني يا سارة ولا إيــــه..؟”.

أشارت له بإصبعها السبابة والوسطى بعد تقبيلهما من شفتيها في صمت.

.....

_جلس عماد مع أشرف في إحدى شرفات الفيلا التي تطل على الحديقة ، يحترسان كوبين من القهوة ، دار الحديث في أمور شتى لا يتعدى الدردشة العادية أو المسامرة ، حاول أشرف كسب ثقة عريس ابنته ففتح له قلبه ، وكانت معاملته له كأب وولده ، أعجب عماد كثيراً بشخصية حميه وطريقة تفكيره المنظمة والتي يغلب عليها الخبرة وثقافة الحياة ، شعر عماد مع والد محبة بالعطاء في التعامل والكياسة والفتانة اللذان يتميز بهما هذا الرجل ، ناوبه شعور عن نبل وكرم أخلاقه ، وعندما تحول الحديث ، حكي عماد عما يكنه بتخطيط مستقبله ، حيث أنه سيبدأ حياته مع زوجته في شقته بالعجمي ، رغم صغر مساحتها ورغم أنها تقبع في إحدى الحوارات المتواضعة إلا أنه لديه

الطموح الذي يمكنه من التقدم وأنه يأمل بإذن الله في المستقبل بشقة أخرى أكبر قليلاً تليق بمحبة وتصلح للعيش بحالة جيدة إلى حد ما ، وأن لديه الطموح ، سيكسر حاجز المادة إلى الأفضل ، وهو في انتظار فرصة تعيينه كمعيد في كلية الآداب وفي ذات القسم ، نظراً لأنه أفضل المرشحين والأول على دفعته.

وبعد الإنصات عرض عليه أشرف رأياً ، أشار أنه من الممكن قضاء شهر العسل في شقتهم ، ثم ينتقلون للعيش سوياً معه في الفيلا ، حيث أنها تتسع للجميع ، وأن الطابق العلوي بها ينقسم لأكثر من سبعة غرف للنوم كما ذكر.

خرج عماد بأسلوب راقٍ وذكي ، وقابل عرضه بالرفض ، وأصر على عدم ترك بيته لأن الأمر هكذا سيكون أفضل ، لم يلح أشرف لحساسية الوضع وتركه كما يريد وخضع لرغبته.

قطع الصمت الذي ساد أثناء إحتساء القهوة عندما دخل فيكتور ، المفاجأة ظهرت على وجهه ، وجد عماد الذي هب واقفاً ليقدم له التحية ، طلب فيكتور كوب شاي من الخادمة ، ثم جلس قليلاً معهما ، يتبادل الحديث مع عماد ، كانت تلك الليلة الوحيدة الذي طال فيها الحديث بين فيكتور و عماد ، رغم أن حديثهم لم يتعدى أموراً عادية ، إلا أنها كانت أطول فترة تمر بينهما سوياً.

.....

_عين فيكتور ضابطاً في المباحث بالقسم التابع لمنطقة حي سيدي جابر، أي أنه يعمل في دائرة حيه ، تعرف على أحد معاوني المباحث الذي بات له صديقاً وأخاً أكبر ، فقد سمع

عنه من قبل , لكنه لم يقابله قط , توطدت العلاقة بين عمر نصر و معاون الجديد فيكتور نخلية , أعجب عمر نصر بهذا الشاب المجتهد ورأى فيه حيوية وطموح رجل الشرطة الباسل , دائماً ما كان يوجهه ويساعده , حتى أنه دائماً ما يصفه بتلميذه النجيب , بسبب ذكائه وفطنته.

.....

_أياماً حتى جاء موعد العرس , حيث قررا العائلتان أن تتم حفلة الزفاف في باحة فيلا نخيلة , لأن الأمر سيثوبه بعض الحساسية , فزواج مسلم من مسيحية وفي رضا عائلتهما أمر يثير القلق إلى حد كبير , لم يحضر الحفل سوى شخصيات وأفراد قلائل , إلا أنه ظهر في نهاية الحفل القس أسامة وكالعادة مايكل , لكن هذه المرة حضر مايكل قبل أبيه بقليل , عندما أخبرته سارة عن رغبتها بالحضور , والتي يبدو عليها الإعجاب بـ مايكل الذي يريد الزواج على أية حال , لا يفرق معه من ستكون زوجته , بل لو أشارت له أي امرأة غريبة لابتسم على الفور وتقدم.

بارك المدعوين العروسين , بعد موجة الموسيقى والغناء التي أسعد بها الحضور , كما تقدم أسامة الذي حضر في نهاية الحفل ليهنئ أخاه بمشاعر جامدة ووجه عبوس ونظرات وإيماءات توحى بعدم الرضا , ليس فقط لأنه علم أن زوجها مسلم الديانة بل لأنه كان يريد لها ولولده.

.....

العروسان يغلقان باب عش الزوجية و محبة تتفقد شقتها المتواضعة ، لم تنظر أبداً للفارق ما بين فيلا أبيها التي ترعرعت فيها ذات الطابقين والتي تحوي أكثر من سبع حجرات ، فضلاً عن مساحتها الخارجية التي تتلون باللون الأخضر والرفاهية التي تنازلت عنها في سبيل حبيبها ، وأثناء تفقدها للشقة التي ستكمل فيها باقي حياتها ، شقة تتكون من صالون وحمام ومطبخ وغرفتين إحداها للعروسين ، فتحت باب غرفة نومها بعدما دخل عماد ليأخذ حماماً بعد عشاء يوم الزفاف ، ضغطت مكبس الكهرباء فأضاءت الغرفة ، يتوسطها سرير متوسط الحجم وفي إحدى جوانبها يستقر دولا ب لحفظ الحاجيات والثياب ، على يسار السرير ويمينه يستقر كومودين يعتلي إحداها أبا جورة مضيئة صغيرة الحجم ، وبجانبها يقف تمثال السيدة العذراء باسطاً زراعيه بردائها الفيروزي ، اقتربت منه على حين غرة ، إلتقطته بين يديها تنظر له في خضوع ثم قبلته ووضعت مكانه ثانياً ، وعلى الكومود الآخر يقبع شمعدان فضي ذو شمعات تصدر رائحة طيبة في الغرفة ، ثم وقفت محبة أمام مكتبة زوجها الذي قرر وضعها في غرفة نومه ، نظرا لعدم تعدد الغرف ، وكما اعتاد في منزل والده وأخذت تتفقد الكتب في المكتبة ، وجدت كتب للتاريخ والسيرة الذاتية والفلسفة وعلم النفس والإجتماع وبعض الروايات العالمية وبعضاً من الكتب العتيقة التي لا تخلو مكتبته منها ، وما لفت نظرها تعدد الكتب التي تنتمي إلى شخص يدعى

(جلال الدين الرومي) وبعض الفلاسفة القدامى من (سقراط لـ أفلاطون لـ أرسطو) والفلاسفة المسلمين أمثال (ابن رشد) وغيره ، فضلاً عن كتابين موضوعين بأحد

جوانب المكتبة منفردين أحدهما المصحف الشريف والآخر الكتاب المقدس ، وأثناء إلتفاتها للوحة العشاء الأخير [أحدى روائع دافنشي] ، خرج عماد لتوه من المرحاض بعدما جدد نشاطه بأخذ حمام ساخن ، وجد محبة تقف تتفقد مكتبته ، عرض عليها أن تأخذ حماماً لتجدد نشاطها أيضاً حتى يقيما الصلاة كأول طقس يؤديانه في بيتهما الجديد.

.....

يقف عماد على سجادة الصلاة ينتوي صلاة ركعتين لله ، وتتواري الأنظار خلفه قليلاً ، لتجد محبة بعدما أحضرت أيقونة صغيرة للمسيح وهو على الصليب المقدس ووضعتها بجانب تمثال العذراء على الكومود ، ثم أخذت تصلي وتبارك حياتهما خلف زوجها الذي أوشكت صلاته على الإنتهاء .

.....

تمر الأيام بوتيرة سعيدة وحياة تقوم على الحب والإخلاص والتعاون ، تستقر حياة الحبيبان ، يعمل عماد أستاذاً مساعد في قسم الفلسفة بذات الجامعة ويتقاضي أجراً ليس بالسيء يرونو أن يجعل حياتهم رغداً ، وتواصل محبة عملها ورحلة بحثها أيضاً في معمل الأدوية خاصتها ، بعد أن قضيا شهر العسل الذي لن ينسى ولو بعد حين ، كان الزوجان يشتركان بينهما أملاً وطموح لن تندثر ، إلا أن الأمر أضحى مختلفاً قليلاً عندما ظهرت على محبة أعراض التعب المفاجئ نتيجة لحملها الذي أخبرها عنه طبيبها في آخر

زيارة ، الأمر الذي جعل الحب بينهم يعتلي أرقى المناصب ، وكأن لوقع الخبر على محبة الذي لا تزال لا تصدق تأثيراً في غاية النشوة والسعادة.

حضر عماد متلهفاً للإطمئنان على حبيبته ، التي تنتظره مع أمها في عش الزوجية ، أمسك عماد يد زوجته ليقبلها بوجه يملأه السعادة هامساً :

“ الحمد لله.. هبقي أب وانتي كمان يا حياقي هتبقى أجمل وأرق ماما في الدنيا كلها ، أخيراً هسمع كلمة بابا.. الحمد لله .. ربنا يخليكي ويقومك ليا بألف سلامة يا عمري “ ...ثم أكمل عماد بعدما وجه نظره لحماته :

“ انتي من انهارة راحة ، ولا معمل ولا شغل ولا بيت ، خلي بالك من نفسك جداً وأي حاجة تحتاجيها تقولي عليها وأنا هعملها لك.. ولا إيه يا حماتي...؟ “

ردت ليلي على عرضه بأن لديها وجهة نظر أخرى ، في انتقال محبة و عماد للاستقرار معهم في الفيلا ، لتكن محبة تحت رعايتها ، وعدم إرهاقها في فترة حملها.

.....

_دخلت قوة من مباحث القسم لشركة الأدوية ، وبالسؤال عن شخص جاء اسمه في محضر بالتعامل وبيع أكثر من صفقة مبشوهة في السوق السوداء بأعلى من قيمتها السوقية فتسبب بندرة الأدوية المتداولة في الصيدليات وإحتكارها في السوق السوداء.

تم القبض على مايكل نخيلة واستدعاء صاحب المصنع ، تورط الدكتور أشرف نخيلة في القضية ، بصفة المالك ، وبعد محاولات البحث والتحري وتحويل مايكل للنيابة التي أفرجت عنه بغرامة 10000 جنيه ، وإخلاء سبيله بضمان محل إقامته بعدما تدخل فيكتور وعمر نصر في القضية لمساعدة أشرف وحتى لا يمس اسم نخيلة .

وضع الأمر لـ فيكتور عندما وجد أبيه هو الوحيد المتورط كمالك ثاني في القضية ، رغم مشاركة عمه أسامة بالنصف في هذا المصنع الموروث عن جده ، حينها أعلمه والده أنه قد إبتاع نصيب أخيه أسامة منذ مدة وجيزة وانتقلت الملكية له بالكامل ، وقد أخفي ذلك الوضع لتسيير الأمور في نصابها ، حتى مايكل لا يعلم أيضًا ببيع والده لنصيبه ، وكانت هذه أول مرة يفشي الدكتور أشرف ذلك السر لولده ، إلا أنه اعتلته الدهشة عندما سمع رد فيكتور :

“ وبعد ما حضرتك اشتريت نصيب عمي في المصنع ، حشرت أملاكك وأصولك كلها وبعدين كتبتها مناصفة بيني وبين بنتك ، وحببت تخفي موضوع إنك كتبت نصف تركتك لـ محبة ، وأكدت على المحامي إنه مايقولش لحد أبدًا ، رغم إنني أنا الراجل ونصيبي من الورث ضعف نصيب أختي “

“ إنت مين الي قالك على الكلام ده ، خلاص يعني ورثتني بالحيا يا فيكتور . عايز تورث أبوك وهو عايش ، وبعدين إن نصيبك ضعف أختك بأمانة أيه..؟ ، أنا حر أقسم فلوسي زي ما أنا عايز ، ولا هتقولي حرام والقانون بيقول كدة ، لأ ريح نفسك مش القانون الي بيقول ، القانون ماشي على الشريعة الإسلامية ، ولا حضرتك تاخذ الي إنت عايزه من

الشرعية والقانون بتاعك ، إيه بقيت حابب تمشي على الشريعة يا حاج فيكتور ، عموماً يابني أنا حر في قراراتي ، وانت وأختك عندي غلاوة واحدة وكل الي أنا بنيتة وعملتة في حياتي من حقكوا طبعاً ، لكن بالعقل والأصول أنا مش بعارض القانون ولا حتى الشرعية ، لا يابني أنا ليا وجهة نظر في الحياة وأظن إنك لازم تحترمها ، وبعدين دي أختك يا فيكتور ها.. أختــــــــــــــــك“.

..تنهد أشرف أثناء حديثه ووجهه يستشيط غضباً ثم هدأ قليلاً وأكمل :

“ يا فيكتور إنت ليك أخت وحيدة , ومالكوش غير بعض بعد ما أموت ، ومتخليش الفلوس تسيطر عليك , انت نصيبك الي كتبتھولك تعيش بيه ملك طول عمرك وماتبقاش محتاج لحد..... فكر يابني في كلامي وخلي بالك من أختك وحطها في عينيك ، وبعدين أنا مش هسألك عرفت الموضوع ده منين ، لكن كويس إنك عرفتة علشان أخلص ضميري قدام ربنا“

“ خلاص يا بابا مش وقته الكلام ده ، المهم دلوقتي إنك متورط في الموضوع ده لوحدك بسبب الزيت مايكل ، هيجزوا على المصنع ، ده غير الغرامة والحبس،”
تنهد بشراسة ثم أكمل :

“لكن متقلقش يا بابا سيب الموضوع ده عليا”

وبعد انتهاء الحديث عن تلك القضية ، أكد فيكتور لأبيه عن عمه أسامة وما قام به من مناوشات بسبب زواج محبة من مسلم ، وبدلاً من الدفاع عنها والوقوف بجانبها ،

أثار المشكلات داخل الكنيسة ، وفاحت رائحة الأمور بسببه كثيرًا ، وقلب عليهم الباباوات والقسيسين بعد معرفتهم برضاء العائلة على تلك الزيجة .

مسح دكتور أشرف على وجهه الذي بدا عليه اليأس فيما سمعه عن أخيه ، و فيكتور مازال يتحدث :

“وبعدين يا بابا بصراحة إحنا غلطانين إننا وافقنا على الجواز دي ، لا إحنا من طينتهم ولا هما من طينتنا ، لا في الوضع الإجتماعي ولا حتى يناسبونا في الدين ، ده أخوه إرهابي

والله دي حاجة تقرف“

ختم فيكتور حديثه بتلك الكلمات التي زادت الطين بله ثم استأذن من أبيه مغادراً . ظل الوضع كما هو عليه ، تأخذ القضية مجراها في القضاء ، ساءت حالة أشرف كثيراً بسبب مجريات الأمور الحالية ، المشكلات تنهال عليه واحدة تلو الأخرى . في حين أن محبة جاءت لتستقر مع عائلتها بسبب حملها ، وأبوها يحاول دائماً إخفاء الأمر عليها حتى لا يمرر حزنه ويأسه إليها.

.....

في إحدى حوارى الأسكندرية ، وعلى قمة ناصية تلتف مجموعة من الشباب التابع لذات الحي ، يبدو حديثهم قائم عن مخدرات ، وما يميز لهجتهم قلة الذوق والتهمك في الحديث ، ينادي أحدهم على شخص يدعى (عضمة) كما ذكر ، سمع صوت النداء الضابط المسؤول أثناء تفقده ومروره في إحدى الشوارع القريبة ، لغة تهديد ووعيد

سلم الضابط المعاون على زميله فيكتور ، وهو ينظر للأفراد الذين تم القبض عليهم قبل قليل وعن سؤال فيكتور رد الضابط بشرح حالتهم وبين له أن هناك شخصاً آخر يمكث حالياً بالمستشفى يصارع الموت ، ضحك فيكتور قائلاً وهو في طريقه للمغادرة :

“ يلا مبروووووك عليكم الإعدام يا رجاله ، أيوة كدة يا باشا نضفلنا ... نضف ”

..بعد قليل ، تم استجواب الجناة الثلاثة ، لكن حدث شئ في قمة الغرابة.....
جاء أحد الضباط ليأمر هؤلاء بأن يولوا خارجاً ، فقد تم إخلاء سبيلهم في ذات اللحظة ولم يحرر محضراً حتى في تلك الواقعة ، الأمر الذي أثار الدهشة والجدل بين الثلاثة جناة أنفسهم .

وبعد وصول عضمة مع رفقته إلى الحي الذين يقطنون فيه ، التساؤلات تخيم على عقولهم ، والدهشة والبلاهة تساورهم ، لخروجهم من بين يدي الشرطة بكل سهولة رغم تلبسهم بواقعة تزج بهم في السجن الباقي عمرهم إذا استخدم القضاء الرأفة في الحكم ، لكن أحدهم زال الصمت الذي خيم عليهم :

ثم أعطي الرجل ورقة لـ عضة ، أخذ منه عضة الورقة ، ناو لها لأحد زملاؤه كي يقرأها ، لأنه لا يجيد القراءة ، رجع الرجل للوراء مسرعاً نحو السيارة ، ركب الرجل بمقعد السائق ، والآخر كما هو بالمقعد الخلفي ، فلم تظهر تلك الشخصية آنذاك ، فقد كانت السيارة سوداء اللون قاتمة ، لم تظهر ما بداخلها.

لم يكن عضة ينوي الذهاب إلا أنه أجبر على الأمر بعدما اقترب الرجل المساعد إلى أذنه وأخبره أن هذا الشخص الوحيد الذي يمتلك حريته في قضية مقتل الشاب _ضحيتهم_ الذي لقي حتفه فور دخوله المستشفى ، وقضية إتهام المخدرات ، عوضاً عن الملف الكامل منذ صغره والكفيل على إبقاءه بقية حياته في السجن على أقل تقدير إن لم يكن إعدام.

(الفصل السادس)

_استقرت الأوضاع , بعد تعافي دكتور أشرف من نوبة الإغماء التي لحقته إثر الأحداث التي توالى عليه , وانتهت القضية بعد تدخل ابنه فيكتور متحايلاً على القانون , من خلال علاقاته سواء في الوزارة أو بعض أقربائهم ومعارفهم الذين يحتلون مقاعد سلطوية وهامة بالدولة إلى الحكم بالغرامة , بحوالي خمسون ألف جنيها , والحكم بإغلاق ووقف نشاط المصنع نهائياً , محاولة منه بعدم صدور أي حكم على والده بعقوبه سالبة للحرية , واقتصاره على حكم الغرامة ووقف النشاط فقط.

.....

_جلست العائلة ومن بينهم محبة وزوجها على مائدة الطعام , أشرف يحتل رأس المائدة كعادتهم , إلى يمينه زوجته وإلى يساره محبة يجاورها زوجها , وأما فيكتور فيمكث بجانب والدته بعيداً قليلاً , بينهم مقعد فارغ , لم يكمل تناول طعامه بعد سماع قرار والده للتو بسبب وقف نشاط المصنع , بحيث تم نقل محتويات وأجهزة المصنع التي ابتاعها أشرف خصيصاً لمساعدة ابنته في إتمام مسيرتها العلمية إلى العمل الملحق بالصيدلية ألام الكبيرة , وتم تحويل إيراداتها في حساب محبة لمساعدتها على الظروف المعيشية واستكمال مسيرتها العلمية في معملها من ناحية أخرى , لأنه يعلم تمام العلم ضعف القدرة المادية لدخل زوجها , وأنها قد تحتاج لشراء العديد من المواد المعملية من حين لآخر , الأمر الذي جعل فيكتور يشعر بشيء من التفرقه للمرة الثانية بعدما قسم والده أمواله وممتلكاته بالتساوي بينهما .

وبرغم محاولة عماد بعدم قبول تلك المنحة ، مبرراً أنه وزجته لم يكونا بحاجة لتلك المنحة ، وأن ما يتقاضاه من عمله يكفيهما ويزيد ، بعدما أبدى إمتنانه لـ أشرف برقي .
 إقتصرت ردود أشرف على زوج ابنته بوضع كلمات ، توجي بعدم التدخل بـ الأمر ، حيث أنه تعامل بين أب وابنته ، كما لم تجدي معارضة عماد نفعا مع حميه.

مما لا شك فيه أن تبرير عماد لكلماته ليس إلا شعوراً منه بتغير وجه فيكتور حينما سمع بقرارات أبيه التي لم تلق قبولا لديه عندما أردف :

“ ماهي بنتك مش محتاجة ، الي بتقول عليه بتخده وزياده ، إيه لزوم تكتب حاجاتك وفلوسك وتقسمها على حياة عينك...ربنا يديك العمر ، هو أنت شاكك إني ممكن أكل حق أختي في ورثها بعد عمر طويل ”

.....

_ مرة أخرى أسدلت الشمس ستائر أشعتها على شواطئ الأسكندرية لتكسبها مظهراً بديعاً خلاباً ، كما بدت فيلا أشرف نخيلة من أروع اللوحات الطبيعية لإحتوائها على مساحه خضراء تحوي استراحات في أكثر من بقعة.

وقف عماد يضبط رابطة عنقه أمام مرآة الغرفة التي استكان فيها مع زوجته داخل فيلا نخيلة_ , دنت منه محبة , احتضنته من الخلف بحنان , وبينهم ولي العهد الذي يتكوع داخل رحم أمه التي لم يظهر على بطنها أي علامه توحى بحملها , قبل عماد كفي زوجته وبهمس :

“هتوحشيني قوي يا محبة... يانور عيني , وعلى فكره شقتنا كمان وحشتني جدًا“

_ردت محبة بلطف :

“ياحبيبي ما إحنا لسه سايبناها بقالنا كام يوم , لحقت وحشتك ده أنا كده هغير من الشقة...المهم قولي...؟“

_“نعم يا حبيبي“

_“وحشتك إزاي وأنا معاك....؟“

_“يا عمري انتي بتوحشيني من أول يوم قابلتك فيه في الجامعة , بتوحشيني وانتي قدام عنيا , شوفي صورتك مش بتفارقني , علشان أبصلها أما توحشيني“
إلتقت محبة شهيقاً مطولاً متنهده :

“أنت بقي مش بتوحشني خالص , علشان أنت معايا على طول , حتى وأنا نايمة معايا برده , بحلم بيك على طوووول“

ثم أكملت وكأنها تذكرت شيئاً هاماً..... :

“ صحيح يا عمدي بمانسبة الأحلام ، من فتــــرة طويلة . وأنا صغيرة كان بيرودني حلم غريب جداً ، دائماً يتكرر ، ممكن أفضل شهور محلمش بيه ، لكن لازم يجيني من وقت للتاني ، وانهارده بالذات حلمت نفس الحلم ، لكن كان فيه حاجة غريبة ، الحلم ماوقفش عند نفس النهاية ، أقصد عند المشهد الي بصحي عليه ، الحلم زاد شويه وعلى ما أظن أنه اكتمل “

قاطعها عماد :

“ مش فاهم ، أول مرة أسمع منك موضوع الحلم ده ، خير اللهم اجعله خير ، خير يا حبيبتي قولي فيه إيه إحكي لي...؟؟!! “

“ كأني واقفة في مساحة رهيبة من الزرع ، مساحة خضراء والسماء زرقاء وصافية منظر حلو أوي ، والأرض الخضراء مليانة شجر زي مايكون تفاح أحمر أو رمان ، وطيور وعصافير جميلة ، ألوانها غير طبيعية ، ولا أصواتها يا عماد أصوات كأنها بتغني أو بتعزف على آلات موسيقية ، حاجة تجنن ، وزى ما يكون رياح بتهب في المكان تملأه روائح عمري في حياتي ماشميت زيتها ، الأجمال بقي ظهور طيف جميل لأمنا مريم العدرا ، بتظهر في نهاية المكان على هيئة طيف مصاحبه نور شديد ، وفي إيديها سبحة من نور برضه ،

لكن الي كان بيرهبني بعد الجمال والروح الجميلة وظهور أم النور ، أن السبحة الي في أيديها حباتها بتنفرط وكأنها مش قادرة تلحقها ، وكل بقعة من المساحة الخضراء يقع عليها حبة من حبات السبحة تتحول لحفرة من الانفجار ، كل حبة تقع في جزء بينفجر ، والانفجار يتسبب في صوت قوي ، وبعدين آخر حبة تفضل تمشي على الأرض وكأنها شايفاني وقصداني وتفضل تقرب تقرب وأول ما تبقى قصاد عيني ، أصحى على طول ، لكن بكون مفروعة وخايفة.....“

يشتد إنتباه عماد أكثر لما تلقى زوجته من أحداث حلمها وهو يقول :

“كملي وبعدين.....“

“الحلم ده يا عماد بيعيني من سنين كتيرة ، من أيام ما كان عندي أربعناشر سنة تقريباً ، وهو هو ، لكن انهارة الحلم تقريباً كمل ، لكن كان غريب أكثر.. المهم.. حبة السبحة الي بتقف قدامي وبتصحيني خايفة دي كانت مش متوقعة المرة دي ، الحبة الوحيدة الي محصلهاش إنفجار ، شكلها بدأ وكأنها هتتنفجر في الأول وبعدين خرج منها نور شديد بيلمع زي لحظة البرق الي بنشوفها في السما ، وبعدين انقسم ضوء البرق ده لزهرتين شبه الورد البلدي ، لكن مش ورد أحمر ، دي وردتين لونهم فضي لامع ، أو يمكن شبه لون البرق الثلجي ، والغريبة إني مكنتش حاسة بأي خوف زي الأول.. المهم.. الوردتين دول طلعهم أجنحة صغيرة زي الطيور ، وبعدين طاروا من على الأرض ووقفوا على كتفي ، كنت طيارة من الفرح والسعادة ، رغم إن المكان قدامي كله حرب سودا وأتحول لمنظر مؤلم

بعد ما كان حلو أوي ، أما إحساس الخوف والفرع جاني تاني ، بس لما لاقيت طائر أسود أوي مش عارفة صقر ولا حداية ، عمال يبصلي أوي من بعيد في الوردتين الي على كتفي ، والوردتين زي ما يكونوا فرحانين وهما يطيروا حواليا ، وكأنهم بيرقصوا على كتفي ، بس الطائر الأسود هجم مرة واحدة وهو قاصدني أو قاصد الوردتين ، الي حسيت أنهم فيهم روح وخافين زي بالظبط ، طلع من الطير صوت نعيق ، صوت وحش أوي ، وهو جاي عليا حسيت فعلاً بالرعب والفرع ، ومش على نفسي بس ده على الوردتين الي على كتفي كمان“

أنهت محبة حديثها عن الحلم الذي يراودها دائماً وهي تسأل زوجها عن رؤيته ووجهة نظره فيما حكّت ، فرد عليها عماد بإبتسامة وقبله وضعها على رأسها :

“ متقلقيش يا حبيبتى ، دي رؤية جميلة من ربنا وإن شاء الله خير.. المهم أنا عايزك توعديني وعد.. عايزك توعديني إنك تخلي بالك من نفسك جدّاً ، وتخلي بالك من الي في بطنك ، عماد الصغير ، ومش عايزك تعملي أي مجهود خالص اليومين دول.. توعديني؟؟“

“أوعدك يا حبيبي....“

ألقت محبة بنفسها بين ذراعي حبيبها ، احتضنها بشدة ثم أنزل يديه ممسكاً بكفيها ، وهو يقبل واحدا يلي الآخر غارقاً في عين حبيبته ، ثم نظر في ساعته مودعاً إياها.

_ خرج عماد من الباب الخشبي الداخلي للفيلا و محبة خلفه ، عندما لقي حميه جالساً في إحدى استراحات الحديقة ، توجه نحوه باسطاً ذراعياً ، و محبة تلقي على والدها تحية الصباح وراء زوجها ، التي مازالت تتفقد خطواته إلى الباب الحديدي الخارجي للفيلا ، ولحظة خروجه من باب الفيلا حدث ما لم يكن بالحسبان حدث أمراً في غاية البشاعة.....

لفت نظر الدكتور أشرف الجالس داخل فيلته ، تحرك دراجة نارية قادمة من أول زاوية الشارع ، ومحبة لم تحرك عينها عن زوجها ، واصلت الدراجة سيرها ببطء ، شعر أشرف بالريبة ، بدأ يتحرك من مكانه ، بإتجاه باب الفيلا ، الذي يخرج منها عماد ، وعندما اقترب لاحظ عدم حمل تلك الدراجة للوحات معدنية تثبت هويتها ، شك بالأمر بسبب ندرة مرور الدراجات النارية في تلك المناطق ، وعندما دقق نظره قليلاً لاحظ إخفاء سائق الدراجة والشخص الذي معه لوجهيهما بطريقة تسير الشك والريبة ، يرتدي كلاً منهم جلباباً أبيضاً والshal الذي يخفي كثيراً من ملامح الوجه ، ثم يفاجئ أشرف من بعيد ببذوغ الشخص الجالس في الخلف وهو يخرج من جلبابه رشاشاً آلياً ، لم يلحق أشرف أن ينبه أحداً ، فقد مرت تلك المشاهد بأجزاء من الثواني ، حتى وجه هذا الشخص فوهه سلاحه بإتجاه عماد ، و أشرف تتسع حدقة عينه في ذهول ، لم يصدق ما يراه ، إنهالت الطلقات من فوهه البندقية بإتجاه عماد الذي بعد قليلاً عن باب الفيلا ، عدداً مهولاً من الرصاصات التي استقرت في ظهره و صدره ، حتى سقط في حينها ، يلتقط أنفاسه الأخيرة ، ولاذ الإثنين بالفرار.

محبة تنظر في ذهول , فمها على مصراعيه , تتسع حدقة عينيها , لم يتوقف فمها عن الصراخ , تنهمر الدموع من عيناها بهطل , بل أوشكت الدموع على الإنتهاء وسيحل محلها دماً , قلبها ينفذ دماً من هول ما تراه , وهي تفقد أول من فتح قلبها , أغلي ما لديها , تفقد حبيب عمرها ورفيق دربها , وأبو ابنها الذي ت يتم قبل أن يجي للحياة , مشاعرها تموت , عقلها يبور , قلبها يتمزق , أطرافها ترتعش , جسدها تزول منه الروح من شدة البكاء , الهواء ينتهي من رثتيها , العالم يصبح أكثر سواداً , ودماء حبيبها تسري على جنبات الطريق.

سندت محبة رأس زوجها التي دلفته في حضنها ودموعها تغرقهما , نظرت إلى عينيها , لم يقوى على المقاومة , أنفاسه توشك على الإنتهاء , دمه يتقطر و ينفذ , ورأسه يثقل بين أحضانها , لم تستوعب محبة حتى الآن ماذا يحدث..

بهذه السهولة تفقد حبيبها..؟؟!! , وأبيها الذي جلس على ركبتيه بجوار ابنته بعدما يأس من محاولة الإمساك أو معرفة الجناة , والعبارات تنهال على وجنتيه , والألم يتخلله من هذا المشهد المفزع , يري ابنته تتأوه وتتألم , تصرخ بكل ما أوتيت من قوة , لم يكن بيده شئ , يشاهد زوج ابنته الذي راح بين أيديهم , يسلم روحه باستسلام , وأثناء خيب ابنته , وقبل أن يفيق عقله نحو إبلاغ الإسعاف لإلحاق الأمر , بدأت شفقي عماد تتحرك ببطئ وهي ترسم ابتسامة طفيفة على وجهه , و محبة تصرخ :

“ لا يا حبيبي ماتسبنيش لوحدي ، أرجوك يا عماد أرجوك ماتمتش مش هقدر أعيش من غيرك ، هموت وراك والله ، إنت مش هتموت يا عماد إنت مش هتموت يانور عيني ، أنت هتعيش وهتشوف ابنك ، يارب... ، يارب...، آآآآه ه ه ه ه ”

حرك عماد يده ووضع أصبعه على شفيتها قائلاً وصوته لم يستطع الخروج :
 “ متبكيش يا حبيبي ، متبكيش ، دي إرادة ربنا ، لكن.. لكن أنا عايزك توعديني وعد ثاني ”

هزت محبة رأسها

“ دائماً افكريني ، خليني عايش وسطكوا ، انتي وابني وابقي قوليله إني كان نفس أشوفه لكنها إرادة الله ”
 ساءت الأمور جداً وبدأ عماد يسعل كثيراً ، ضاق صدره ، لفظت محبة كلماتها :

“ عمرك ما هتسيبني يا حبيبي ، هتفضل معايا طول عمري وحتى الموت مش هيقدر ياخذك مني ، انت في بطني ، انت جوايا ، وهتفضل معايا ، عماد في بطني وقلبي ونبضي ، إنت أغلي حاجة في حياتي ”

بدأت عين عماد بالإغتراب ، أصبح يصدر صوت حشرجة غريبة ، تبدو إنها مؤلمة ، تعابير وجهه توجي بذلك .

تنهدت محبة وهي تمسح دموعها بيدها ، وعيناها تلتقت آخر النظرات لوجه حبيبها ، وكأنها تتفقدته حتى لا تنساه ، وهي ترى أن روح زوجها نزول عن جسده وهو يلفظ ما تبقى من أنفاس ، وبألم :

“ عماد يا حبيبي عمر ما اسمك هينقطع ، عمري ما هبطل أقول عماد يا حبيبي ، إنت الي علمتني يعني إيه الحب ، إنت الي فتحت قلبي ، قلبي الي يصرخ عليك دلوقتي ، حرام عليك حرام.....م..”

وبعد لحظات ، عماد عماد عماد نطقت إسمه أكثر من مرة تحاول أن تجعله يفيق قليلا ثم أكملت “
قول يا حبيبي قول ورايا :

“ أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ”

ردد عماد خلف زوجته بصعوبة وبطء ، ثم غابت عيناه مرة أخرى ، وجسده يبرد ويزداد برودة ثم غاب تماماً عن الوعي ، وجهه برسم إبتسامة مؤلمة وكأنه ذهب في ملكوت آخر.

.....

_ ظلام دامس يصفو على حياة محبة لحظة فراق حبيبها وهو بين ذراعيها ودمه يتناثر على ثيابها وجسدها ، زوجها الذي فقدته في لحظة ، وابنها الذي بات يتيماً بلا أب ، وأما والدها

الذي يذرف الدمع على ابنته من هول الفاجعة ، التي ترملت بعد شهور قليلة من زواجها ، آه على حرقة قلبها ، آه على نظرة عينها التي توحى بأنها تريد الموت من أجله ، تريد اللحاق به أينما كان ، لم يردعها سوى هدية الله لها ، ابنها الذي مازال في أحشائها ، ابنها التي قررت أن يبقى بإسم أبيه كما وعدته وكما أرادت أن تشعر بوجوده حولها ، مسكينة تلك الفتاة ، لكن عوض الله خيراً وأبقى.

.....

_ كان مقتل عماد العزازي في تلك الأونة ، لم يكن هو الأول من نوعه ، تعددت تلك العمليات الإرهابية في مطلع التسعينات ، والتي عانى منها الكثير من الشعب المصري آنذاك ، تفجيرات هنا وهناك ، تستهدف أشخاص عامة ، لاسيما العديد من رجال الشرطة والأمن والذين وضعوا مؤخراً على قوائم الإغتيالات من جماعات إرهابية تنتشر جذورها خارج البلاد وداخلها.

نزل خبر وفاة عماد على عائلته وكأنه حجر من أبابيل ، إنهار والده لحظة سماع الخبر وسقط مغشياً عليه ، إنتاب والدته حالة من عدم تصديق الخبر ، أصابتها صدمة عصبية ، عبس وجه أخيه أحمد وأخذ يضرب برأسه في جدار البيت حتى تورمت جبهته ، الإنهيار نال من العائلة.

_طلب أحد الجيران الإسعاف للحاق بالحاج مجدي التي لم تجد أي محاولة نفعاً لإفاقته ، وصلت الإسعاف بعد وصول محبة ووالدها لبيت الحاج مجدي الذي نقلوه للتو إلى المستشفى ، ولا يعرف أحداً ما أصاب والدته ، أحياناً تراها وكأنها تكلم ابنها وأحياناً تبكي عليه ، لم تكن صدمتها هينة .

_دخل مُقَرِّئ² من معارف العائلة سلم على الجميع ، قدم اتعازي لأحمد الذي احمرت عيناه من البكاء ، بدأ بقراءة بعض السور من القرآن الكريم ، وصل العديد من الناس ، جيران وأصدقاء وأقارب بعد إذاعة خبر الوفاة ، تراصت المقاعد أمام بيت الحاج مجدي ، كما أقبل الناس إلى العزاء ، أما محبة ووالدها الجالسین داخل الشقة نفسها مع أم عماد ومعهم فيكتور الذي حضر على الفور حينما علم بخبر الحادثة.

دخل شاب يبدو عليه الأناقة والجدية لبيت الحاج مجدي ومعه فردين آخرين ، هب فيكتور واقفاً لاستقباله ، تقدم الشاب ليقدم العزاء للجميع وخاصة فيكتور ، يبدو عليه أنه أحد زملاءه بقسم الشرطة ، وعندما اقترب وقدم عزائه ، قدمه فيكتور لأبيه :

“عمر بيه نصر ضابط ومعاون مباحث وأخ كبير رد الحضور “تشرفنّا“.

نطق عمر نصر بجزن :

2 شيخ يتلو القرآن في الحفلات والمآتم.

“البقاء لله يا فيكتور ، ربنا يجعلها آخر الأحران“

نظر عمر نصر حوله في تفقد ثم أكمل :

“الحقيقة يا فيكتور إحنا جاين نعزي ، لكن في أمر مهم أنا جاي علشانه“

“!تفضل يا عمر بيه أوامر..... !!“

ألقي عمر نصر بعينه أسفل قدميه موطئاً برأسه :

“الجوش مناسب للكلام ، لما تنهوا العزا ابقى تعالالي المكتب ضروري“

أنهى عمر نصر جملته ، أشار لمرافقيه برأسه متجهاً نحو الباب للمغادرة وهو يلقي السلام على الجميع.

_رجعت محبة مع أبيها وأمها فيلتهم ، لم تستطع تمييز بياض عينيها الذي أصبح أكثر حمرة حول حدقتها الزرقاء ، فهي لم تتوقف لحظة عن البكاء ، لم تحف عينيها من هطول الدموع ، وبعدما طلبت أن تنفرد بنفسها وتذهب لغرفتها ، رفضت أمها بشدة لأنها لم تذق طعاماً منذ اللحظة المشؤومة ، حيث أدلت أمها وأجبرتها على تناول الطعام قبل الذهاب للنوم ، حاولت محبة قدر المستطاع أن تدخل أي طعام في جوفها حتى لا يتأثر حملها ، فقد ذبلت إلى أقصى حد ، وأوشكت على السقوط من قلة الطعام.

_دخل فيكتور من باب الفيلا متسائلاً عن محبة ، أخبره والده في الحال بأنها تسترح قليلاً في حجرتها بعد عناء هذا اليوم الشاق ، خفض فيكتور صوته وهو يحدث والده :

“ على فكرة يا بابا في حاجة مهمة جدًا ، مش عارف أقولها إزاي ، حاجة في قمة العجب “
“ تفضل قول يا بني ”

“عمر بيه نصر المعاون الي جه يعزيني انهارة“

“.. أه.. ماله..؟؟!! “ سأل أشرف

“ ده ممكنش جاي يعزي ويمشي ”

رد أشرف بعصبية على همهمات فيكتور :

“..في إيه.. ما تقول الي عايز تقوله وتخلصني “

أجاب فيكتور سريعاً :

“ عمر نصر كان جاي علشان يشوف شغله ويقبض على القاتل “

تغير وجه أبيه في تلك اللحظة ، استجمع قواه وهو يرمق ابنه بنظرة تساؤل وقبل أن يتفوه
نطق فيكتور :

“ وبعدين شاف الحالة الي كنا فيها ، وخصوصا حالة محبة ، وحالة أم عماد رفض
يستكمل الإجراءات وأجلها لوقت ثاني “

“ انتوا عرفتوا مين الي قتل عماد..؟؟؟؟!! “ سأل أشرف بلهفة.

“ للأسف يا بابا عرفنا مين القاتل ، وعمر بلغني لأنه الظابط المسئول عن القضية “

“ طيب للأسف ليه.. دي حاجة عظيمة جدًا ، علشان ترجعوا حق أختك وجوزها الي راح هدر ، ويعاقبه المجرمين دول ولاد الكلب ويعدموهم “

أخذ فيكتور شهيقاً وهو ينظر للأسفل ثم أردف :

“ أصل الي قتله.. ”

“ مين .. مين الي قتل جوز اختك..؟؟!! “

وضع فيكتور يده على فمه وهو يخفض صوته أكثر :

“ الي قتله.. هو.. أخوه “

اتسعت حدقتا عين أشرف عندما سمع ذلك الخبر , لم يصدق ما يقول ، رفعت ليلي يدها اليمنى ملقياً بها بشدة على صدرها , وجلست تتابع كلماتهم في صمت ثم صرخت :

“ يالهي يابني.. إزاي ده أخوه ، من لحمه ودمه ، باسم المسيح باسم المسيح “

تدخل أشرف في الحوار :

“ إنت يابني متأكد من الكلام ده؟ “

“ طبعا متأكد “

“ متأكد إزاي يا حضرة الظابط لو كان هو القاتل مكنش صاحبك الظابط ده سابه “

أكمل فيكتور:

“ بالظبط يا بابا إحنا متأكدين , بس التحريات لسة مكملتش , لكن كل الدلائل والأحداث بتأكد أن هو القاتل , و عمر بيه كان جاي يقبض عليه علشان يستجوبه مش أكثر.....!!!!!!!!!!!!!!“

ليس عدلاً للجاني أو المجرى عليه ، بل العدل لهذين الأبوين اليائسين البائسين ، لأول مرة يقف العدل مكتوف الأيدي ، لأول مرة يصير العدل ظلماً محضاً أياً كان الحكم ، إذا ما هو معنى العدل في تلك القضية ، أين يذهب الحق ولمن..؟ أين حق الأبوين اللذان تهالكت مشاعرهما ، لأنهما يدركان أن حكم القاضي أياً ما كان لم يغني ولا يضمن من جوع.. يا الله.. لا بد أن تتدخل عدالة السماء.

_ لا بد بأنه تم الحكم بالأعدام شقاً ، لأنه قتل مع سبق الإصرار والترصد ، كما ذكر في تحقيقات النيابة وبالفعل ملف الجاني سيحال إلى فضيلة مفتي الجمهورية ، لكن وحتى الآن لم ينطق القاضي بالحكم ، دقائق ويخرج القاضي ومستشاريه أمام الحضور للنطق بالحكم ، سينفذ حكم الإعدام في أناس آخرون دون قصد العدالة ، سيكون (أظلم حكم عادل) ، عيون الحضور تتأهب للحظة إعتلاء القاضي المنصة ، والوالدان ينتظران النطق بالحكم ، الميت لن تدب فيه الحياة مرة أخرى ، والجاني لن يفيد موته في شيء إلا قهر والديه .

" > مح_____ كمة <

صوت المنادي يزلزل أرجاء المحكمة ، محكمة جنايات الأسكندرية في يوم ١١ \ 1991 ، ساد الصمت قاعة المحكمة ، والكل يلقي بنظره باتجاه القاضي ومستشاريه ، تنحني القاضي وهو يقوم بعدول نظارته بيده اليسري ، وهو ينظر في الورق الذي ينص على حكم الإعدام ، والحشد الجالس أمامه يتابع الحديث ،

“بعد الإطلاع على أوراق القضية والأدلة التي قدمتها النيابة ، حكمت المحكمة حضورياً على المدعو أحمد مجدي العازي بالـ.....

سكت القاضي لبرهة وهو ينظر لـ أحمد مجدي في القفص , جالساً لم يتحدث ولم يتابع , ولم يعبرهم إنتباهه حتى , تبدوا البلاهة والتسليم بالأمر على وجهه البائس الحزين , ثم يحرك نظره على الحضور , لبحث عن أبويه , حدث ذلك في لحظات لم تتعدى ثوان , ثم أكمل حديثه بصور الحكم (بالسجن المؤبد)

تحول نظر مستشاريه إليه باستعجاب وحالة من الذهول , أخذ أحدهم يحرك وجهه تارة على وجه القاضي وتارة على أوراق القضية التي أمامه.

ويعلو صوت الحضور في الجلسة بعد النطق بالحكم , ظن الجميع بل تأكد أنه حكم بالإعدام شنعاً , ثم خلى القاضي ومستشاريه من مقاعدتهم باتجاه الخروج وانتهت الجلسة.

لم يستطيع أحد أن يصف ما أنتابهم جميعاً من شعور , سواء من الحضور أو من أحمد نفسه الذي رفع رأسه بعد سماع الحكم , وكأنه ردت فيه الحياة مرة أخرى , لكن البلاهة والصمت ما زالاً يرافقانه , أما عن الحاج مجدي وزوجته اللذان نظرا لبعضهما , ولم يستطيع أحداً أن يفسر ما هي حالتهم الآن , رفعت الحاجة سعاد عينيها إلى السماء وكأنها تحمد الله على ما حدث .

.....

“مش عارف إزاي قولت الحكم ده ، مش عارف فعلاً ، شيء غريب ، لساني وقف ، مكنتش قادر أنطق حكم الأعدام ، رغم إني على علم بملف المتهم وسوابقه مع الجماعات المتطرفة ، وملفه في أمن الدولة ، والأدلة الي كلها ضده ، لكني والله مكنتش قادر ، لا لساني ولا قلبي طاوعوني أنطق الحكم ده ، وأنا شايف أب وأم ميتين قدامي بالقهر، مابين ابنهم الي مات والثاني الي مستنين موته ، حسيت للحظة إني هكون قاتل وجاني ، الحمد لله على الي عملته ، الحمد لله دائماً.. الحمد لله“

ما سرده القاضي المكلف بالحكم في تلك القضية مع زملاؤه المستشارين.

.....

_أيام وبدأ تعب الولادة يزور محبة من آن لآخر ، شارف يوم ولادتها على القدم ، حسب تقدير الطبيب ، يتبقى يومان على الأكثر لإنتهاء شهرها التاسع تماماً ، كانت أمها تتأهب ليوم ولادتها كل دقيقة حتى أتاها اليقين ، صرخت محبة في غرفتها انتفضت أمها سريعاً ، فهي لم تكن معها في تلك اللحظة ، جرت سريعاً ، دخلت الخادمة وأحد العاملين بالفيلا ، وإذا بـ محبة تتلوى على سريرها من شدة الألم ، تنادي ليلى على زوجها فاستجاب بلهفة ، أخبرته ليلى بأن يجهز السيارة ، لأن محبة ستلد حالاً ، أحضر أشرف السيارة في التو ، ثم عاد ليساعد زوجته بمساندة محبة للوصول للسيارة ، ركبوا جميعهم مسرعين قاصدين المستشفى.

العمليات وهو يربت على كتف زوجته , وكأنه يقول إهدئي سأفقد الأمر , وأثناء صعود أشرف للدرج المؤدي لغرفة العمليات , أقبل عليه الطبيب الذي أنهى عملياته للتو, مد الطبيب يده لـ أشرف يهنئه بنجاح العملية , وحينما أقبل الجميع , ليلي وسارة وأسامة , لاحظت ليلي نظرة قلق تنبعث من عين زوجها أثناء حديثه مع الطبيب , ثم تلاشت بعد قليل , وهو يبشرهم بنجاح العملية بوجه بسام , لكنه أشار إلى احتمال حجز محبة بالمشفى , كي يطمئن الطبيب على استقرار حالتها , كما أشار الطبيب بالإهتمام بالغذاء الجيد والراحة التامة حتى بعد خروجها من المستشفى ورجوعها للبيت وأن لا تقل فترة الراحة عن أسبوع على الأقل .

_تبادلت دورات المكوث بجانب محبة في المستشفى مابين والدها والدةها وأحياناً سارة التي كانت موجودة في ذات التوقيت , الذي أخذ فيه أسامة الطفل ليعمه في الكنيسة , الأمر الذي لام فيه أشرف كثيراً على سارة , والتي بررت فعلتها بأنها لم تعرف , لم يمر سوى القليل , وقد حضر أسامة ومايكل حاملاً الطفل , جرت سارة بسرعة بإتجاه مايكل , انتشلت الطفل من يديه شوقاً , لاحظت وجود ورقة بين يدي الطفل وعندما ساورها الفضول , فتحت الورقة , لتجد أن الطفل قيد ...مسيحياً... , وسمي بـ (عبدالله) , وأشرف يتابع من بعيد , وهو يحاول أن يقرأ الأحداث , وقتها لفظ أسامة :

_لأول مرة يظل الدكتور أشرف خارج بيته ليلة كاملة ، حضر فيكتور الذي طمأن والدته التي مازالت تجلس في صالون فيلتها في انتظار زوجها ، حيث أخبرها بأن والده يمكث في معمله وأنه سيأتي عاجلاً ، لم يكمل فيكتور حديثه ، فتح باب الفيلا الخشبي ، دلف أشرف ووجهه يملأه الندم والخجل متجهاً نحو غرفته في صمت ، فلحقته ليل مسرعةً

.....

_تتحسس ليل مكان زوجها على الفراش بجانبها لكنها لم تعثر عليه ، فتحت عينيها لم يك أشرف داخل الغرفة ، خرجت تتفقدته لكنه اختفى ، إلي أن أخبرها البواب بخروج الدكتور أشرف بعد الفجر مباشرة ، الأمر الذي جعلها تزداد قلقاً ، فهو لم يفعل مثل تلك الأفعال من قبل ، لم يخرج في تلك التوقيات ، وعندما اقترب الظهر ولم تعرف ليل ولا محبة التي استيقظت منذ قليل أي أخبار عن أشرف ، جلسا سويا وقلقهم ثالثهم في صالون الاستقبال ، تحرك المزلاج ، وهم ينظرون في لهفة في اتجاه الباب ، ليل يساورها الشك والقلق ، ومحبة تحمل رضيعها في ذبول ، والقلق يرتسم على وجهيهما ، عند دخول أشرف من باب الفيلا محاذراً ، لأنه يحمل شيئاً ما في يده ، لربما يكن رضيعاً آخر ، يدخل موجهاً نظره نحو محبة التي اتسعت حدقة عينيها وتداخل حاجبيها في تساؤل ، وأما ليلي التي اكتسى وجهها قليلاً من الطمأنينة بعد رؤية زوجها ، إلا أن الدهشة اعتلتها هي الأخرى ، أشرف يقترب منهما دون أن يحرك شفتيه ، لم يلقي التحية على أهله مثلما اعتاد ، أخذ يقترب بصمت حتى رسي أمام قديم ابنته ، مائلاً قليلاً إلى الأمام ، وهو يزيح الغطاء بلطف عن وجه الرضيع ، وإذا بفاه محبة يفتح ويتسع على مصراعيه هاتفه :

“ باسم المسيح.. باسم المسيح————ح ”

والدمع يتساقط على رضيعها كأقطار نوه ، غير مصدقة لما تراه ، وعند نطقها بتلك الكلمات ، قامت ليلى مسرعة في فضول :

“حمدا لله على سلامتك يا حبيبي ، مين الي على إيدك ده.....؟! ”

محبة تدقق النظر ، تحديق في الرضيع دون كلام ، تحاول أن تفهم ماذا يجري.. كيف.. كيف.. هذا؟!... فقد كان يحمل أشرف بين يديه رضيعاً , لكنه ليس أي رضيع إنه شديد الجمال ، إنه يحمل ذات اللون لعين محبة ، لا... لا... إنه صورة طبق الأصل للرضيع الذي يسكن حضن محبة ، بالفعل إنه هو ، ومحبة تنظر لما في يديها تارة ثم تلقي نظرة على الرضيع الذي يحمله والدها تارة أخرى ، وكأن الأمر يحاول أن ينظم في ذهنها ، إلا أن حدث شئ أثار الدهشة أيضاً ، وهو سكوت الطفل عبدالله عن صراخه عند دخول أشرف ، ودنو الرضيع الآخر منه ، وبعد دقائق من التحريض والتفحيص في هذا الزائر الجديد الغامض من قبل محبة ، وكأنها تقارن بينه وبين طفلها ، وجدت ورقة في كنف الطفل بعدما حملته عن أبيها وناولت طفلها لأُمها ، وبعدما تفحصت تلك الورقة التي بينت أنها شهادة ميلاد ، وجدت اسم المولود كما كتب < عماد عماد مجدي العزازي > ، وعندما حولت نظرها وجدت في خانة الديانة أنه

(مسلم)..تتملك نبرة أشرف الندم حينما قطع الصمت قائلاً :

“وأنا داخل على غرفة العمليات قابلي الطبيب , وأخبرني أن الله قد رزقك بطفلين توأم متشابه , بصراحة مش عارف إيه الي خلاني أطلب من الدكتور أنه يخلي موضوع الطفلين ده بيني وبينه , وخصوصا لما قالي إن في واحد منهم محتاج الحضانة كام يوم لأنه كان نازل تعبان شوية , أكدت عليه إن مفيش حد يعرف في العيلة دلوقتي علشان في ناس أنا مش عايزهم يعرفوا الخبر ده , وبالفعل نقل الولد للحضانة وترك عبدالله زي ماهو في سريره , وأما سارة كانت هي الي قاعدة , أكدت على الممرضة أن محدش يعرف الموضوع ده غيري أنا , لكن موضوع عمك أسامة والي عمله أنا مكنتش متوقع أبداً إن ممكن يعمل أكثر من أنه يعمد الولد زي ما قال“

....قالها أشرف وهو يرفع عينه في عين ابنته بلطف ثم أكمل :

“عمك أسامة أخويا الكبير وكبير عيلة نخيلة , وأنا عمري ما رفضتله طلب , وكنت شايف أنه فرحان أنه هيبقي جد هو كمان , ونفسه يعمد حفيده زي ما بيعمل معمودية لأطفال كتير , لكن موضوع أنه يسجل ابنك كمسيحي ده في حد ذاتها ضد القانون وفيها مسائل قانونية , وأنا رغم عملته السودا دي لو فتحت بقي هبقى وديته في داهية ومرمطت سمعة عيلة نخيلة , الموضوع كان صعب عليا أوي , كنت في حيرة , لكن إرادة ربنا أقوى من كل شئ , قولت في نفسي يمكن ربنا خلاني أعمل كدة لسبب بسيط , علشان أحققلك أمنيتك وحلمك , وكمان أحاول أخليكي توفي بوعدك لجوزك , الي

وعدتيه قدامي ، وعلشان كدة كان نفسي أعمل حاجة تفرحك ، أشوف في عينيكي الضحكة الي غايبة من شهور، وأدي ابنك عماد زي ما وعدتي أبوه أنك تسميه على اسمه ، والي كمان حسيتي من جواكي إنك شايفاه وإن ربنا عوضك بـ عماد تاني بدل الي أخده منك“

سكت عن أشرف الكلام حينما وضع كفيه على وجهه وعيناه تترفان الدمع ، مما جعل ليلى تنوح في بكائها ، ومحبة تبتسم وتدمع في آن واحد ، وهي تناول عماد الذي وضعت قبلة على خده الصغير لأمرها متجهة بخطواتها نحو أبيها ، الذي ارتمى على المقعد المقابل وكفيه يلازمان وجهه ، أمسكت محبة كفي والدها في حنو وهي تقبلهما ، وهي تعتصر والدها بشدة بين ذراعيها هامسه :

“ربنا مايحرمني منك ، يا أطيب وأحن أب في الوجود ، أنا عمري مافهمتكم غلط يا بابا ، ولا عمري شكيت إنك ضعيف ، أنا كنت حزينة فعلاً على تدخل عموا أسامة الزيادة عن اللزوم ، وتمت أنه علشان يرضي غروره يزور في أوراق رسمية ، ويخلي ابني مسيحي ، كدة ده بيضرنا كلنا ، لكن أنا عمري ما شيلتك ذنب الموضوع ده ، أنا مليش غيرك يا بابا ، يارب يحفظكوا ويرعاكوا ويخليكوا ليا أنت وماما وفيكتور وولادي“

ضحكت محبة وهي تقول كلمة (ولادي) ، وهي تنظر بإتجاه أمها التي تحمل الطفلين اللذان يتوجهان بنظرهما تجاه أمهما وجدهما وكأنهما يراقبان الحديث ، وفي تلك اللحظة نظرت محبة للسماء بإمتنان وهي تشكر الرب على نعمته وعوضه ، فبدلاً من طفل يبدو

عليه منذ ولادته أنه صورة طبق الأصل لوالده ولم يأخذ من أمه إلا عينيها الزرقاوين وذقنها الفرعوني ، عوضها الله بآخر لم تستطيع عينيك أن تفرق بينهما ، مرآة لوجه واحد ، سبحان الله الخالق الوهاب .

تحولت حالة الحزن التي غمرت محبة بفعلة عمها بـ عبدالله مولودها الجديد ، إلى فرحة انتشرت في أرجاء البيت ، خصوصا بعدما حضر فيكتور ورأى عماد توأم عبدالله ، أخذ يداعهما ويلاعبهما في تودد وحنان ، وقد نوه له والده عن أهمية جعل الأمر سرّاً بينهم ، على الأقل في تلك الأيام .

.....

باتت محبة وطفليها حولها تداعبهما وتحديثهما ، وكأنهما يفقهون القول ، ولا زالت كلمات الشكر والإمتنان تتلقلق بين شفتيها وكلما كانت تسرح في ملامحهما تغني لهما ، تشعر وكأن زوجها يطوف بروحه حولهم ، يأتي من حين لآخر للأطمئنان عليها وعلى ولديه اللذان فقدوه قبل قدومهما .

(الفصل الثامن)

الأيام تتشابه وتمر دون جديد ، ست سنوات ولم يطرق على بيت أشرف سوى سقوط وريقات الشجر وإحلال المزيد ، بعض أجزاء من ألعاب الأطفال متناثرة في أكثر من جانب داخل الفيلا وحديقتهما ، ست سنوات تمر على حياة روحين جديدين داخل العائلة ، تعمل محبة على الإتقان والتفاني في تربية أولادها ، لم تك محبة كمثيلاتها ، تترك صغيرها بين يدي مربيه ، فكانت تقوم عليهما بنفسها ، بجانب إهتمامها بالمعمل ، ولاسيما حصولها على درجة الماجستير ، كما أخذت خطوات تجاه مشروعها نحو الدكتوراة ، وبين هذا وذاك لم تهمل محبة أطفالها لحظة ، حتى وهي منهمكة في عملها ، كان صغيرها يجبان أن يستمعا لحكايات جدتهما ليل سواء صباحاً مع الإفطار بعد ذهاب محبة لعملها ، أو قبل النوم بقليل بعد إجتماعهم على العشاء ، ناهيك عن الوقت التي تسترح فيه محبة بين طفليها والتي تخصصه لهما ، أحسنت رفقتها ، زرعت فيهما الصدق والأمانة والحب والإخلاص ، تأمل أن ترى فيهما يوماً شخصاً كأبيهما ، أضحت حلقة الوصل بين الأب الذي لم ير أولاده وبين الأبناء اللذان لم يحضرانه .

بدأت محبة منذ ولادتها وحتى الآن في الإطلاع على أبحاث زوجها ومكتبته ، وقراءة كتبه ، والكتاب اللذين يقرأ لهم ، تدويناته وأقواله ، عملت على إحياء روح زوجها بإحياء أفكاره وثقافته التي تعلمت منها الكثير على عين حياته وبعد مماته ، عملت محبة على تصدير ما اكتسبته من فلسفة وثقافة زوجها حتى الإيمانية منها إلى أبنائها ، وكأنها تنشيء كيان أو كيانيين من ذات واحدة ، تشبع فيهما الحب بكل معانيه ، حب الله ، حب الناس ، حب الوطن ، ولم تك تنحاز بالمرّة كونها مسيحية في التساؤلات الطفولية

التي تنتج من براءة الأطفال في حب المعرفة في الدين ، فكانت دائماً أجوبتها تنطق بكل أمانة ، ولا تفرق بينهم ، وحتى الذي تمت معموديته وهو في نظر المسيحية يعتبر مسيحياً ، لأنه بات بكنف المسيح مدى الحياة ، فلا تفضل أحدهما على الآخر ، بل كانت تتحدث مع كليهما عن النبي (محمد) ، كما تتحدث عن (المسيح) ، ولم ترغم أحدهما أو تنمي داخله تمييز إحدى الديانتين .

_عندما كانت تجلس وتذكر زوجها وهو يحدثها عن ابنه أو أبنائه المستقبلين وثقافة تربيتهم وإيمانه أن المرء حتى وإن ورث الدين فعليه أن يختاره بقلبه ، فكان يرى تطبيق هذا المنهج في دول العالم الأول والثاني هو أمر إيماني عاقل يحترم الفرد ويقدر قيمة العلاقة مع الله ، وأما عن عالمنا وضع خانة الديانة منذ الولادة هو أمر حتمي طبعاً وإحدى أسباب الفروق والطائفية ، أما عن توريث الدين في وجهة نظر المجتمع الشرقي والتوقيت الحالي بالذات يشمله الكثير من الصواب ، لأن الأسرة المصرية تحاول بشق الطرق توصيل الرسالة بأمان وإيمان إلي نسلها الجديد ، ورسوخ فكرة الله الرحمن المحب الذي يمتلك كل شيء وبيده الأمر ، والأمر سواء في الثلاث ديانات السماوية وغيرها ، يثبت أولي الأمر صورة الله وقدرته وقصة الخلق والرسول وأسماءها والملائكة والحساب والعقاب والأخرة والفوز بالجنة أو المكوث في النار وكل الأمور الإيمانية الغيبية منها والعينية ، ناهيك عن إتباع طقوس العبادة والشعائر التي يجب على النشئ أن يتعلمها ويؤديها قدر سعته ، ولذا بالفعل كان يؤمن بضرورة توريث الدين ، لأن الدين يقوم السلوك ، وعلى المرء أن يتعلم أمور عبادة آبائه وأجداده ، لكن عن مسألة حرية الاختيار

خصوصاً إذا كانت من خلال بحث فعلي عن أهمية ما يعتقده الفرد ، يكون البحث ذا منهج سليم كي يتطرق الفرد للبحث عن خالقه ، فمن باب أولى أن يبحث كل منا في نفسه وبنفسه عن الله وسوف يجده في أي سبيل.

_لم تعرف محبة أن الله قد أراد بها خيراً ، وأن القدر قد أختارها أن تصبح أمّاً لصبي مسلم مثل أبيه ، وآخر تمت معموديته وبات من أتباع المسيح ، وأن إيمانها على ألا ترغم أحدهما في عقيدته ، إلا أن أمانة تربية وتعليم كل منهما لابد أن تتركز قليلاً في أن كل منهما ينشأ على معرفة دينه على الأقل ، ما لم يمنع اشتراكهما في العديد من الأمور الدينية التي كانت تتم بحضورهما سوياً ، سواء كان نقاش أو أسئلة طفولية أو طقس من طقوس العبادة والدعاء .

_ركزت محبة كثيراً على الإطلاع على القرآن الكريم وقراءته ، ومن التكرار أخذت تحتفظ بالعديد من سور القرآن داخل ذاكرتها وحفظتها عن ظهر قلب ، كما أملت ببعض مصادر التاريخ الإسلامي والسيرة النبوية وحياة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، حتى تستطيع أن يكون لديها مخزون كافٍ من المعلومات عن أعماق الدين الإسلامي ، وعن أداء الطقوس والشعائر الدينية ، حتى تكون خير دليل لابنها عماد المسلم ، ولم تقف محبة أمام تلك الحياة والتحديات مسلوقة الإرادة في مجال عملها وبحثها بالكيمياء ، درستها في كلية الصيدلة لم تجعل منها طبيباً صيدلياً ، يؤدي مهنته في تجارة الدواء وحسب ، بل شغفها بالكيمياء جعل لديها طموح وهدف تعمل على الوصول إليه ، حزنها

على زوجها منذ سنوات بالتأكيد أحدث أثراً ضخماً في حياتها ، إلا أن أولادها الذين تراههم يكبرون أمام عينيها جعل لحياتها معنى ، رسخت فكرة الهدف والطموح داخلها من أجل صغيرها.

.....

_صوت يتردى في أرجاء غرفة تشع ضوءاً خافتاً كأنها نيران شموع ، يظهر الصوت الأنثوي البالغ ويتبعه صدى يبدو عليه البرائة والطفولية :

“ أبانا الذي في السموات ، ليتقدس اسمك ، ليأت ملكوتك ، لتكن مشيئتك ، كما في السماء كذلك على الأرض ، خبزنا كفافنا أعطانا اليوم ، واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا ، ولا تدخلنا في تجربة ، لكن نجنا من الشرير ، لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد “ آمين ——— .

ربتت محبة على كتف ابنها عبدالله ، بينما هو يمسح بكفيه على وجهه ثم أكملت حديثها بعد الصلاة :

" وكما قال يسوع ((فإنه إن غفرتم للناس زلاتهم ، يغفر لكم أيضاً أبوكم السماوي ، وإن لم تغفروا للناس زلاتهم ، لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاتكم))

يعني الرحمة والغفران والتسامح يا حبيبي صفة لابد أن يتصف بها الإنسان المؤمن ، وأن تكون متسامحاً مع نفسك ومع الآخرين في حد ذاته صفة من صفات الأقوياء ، فعيشوا دائماً بالعفو والتسامح " .

كسر عماد خلوة محبة وعبدالله ، وهو يسترق النظر من خلف باب الغرفة ، وعندما وقع نظر محبة عليه بسطت ذراعيها تلقائياً واعتلت وجهها إبتسامة براءة ، ارتدى عماد بحضن أمه وقبل أن يستطرد قائلاً بصوت خافت :

“ مامي .. عايز أقعد معاكى إننى وعبدالله شوية .. ”

“ أقعد يا نور عين مامي ”

قالتها وهي تضع قبلتين على وجهه ثم أكملت :

“ بص يا حبيبي ، إحنا كنا بنصلي أنا وعبدالله وقعدنا نقرأ شوية في الإنجيل وتعاليم يسوع .. سيدنا عيسى يعني يا حبيبي .. يلا نكمل .. يلا :

“ شوفوا يا حبايبي تعاليم الرب الإله لنا في كتابه الإنجيل قال إيه :

(((إن أحببتهم الذين يحبونكم ، فأجر لكم ، وإن سلمتم على إخوانكم فقط ، فأجر فضل تصنعون)))

يعني إيه يا حبايبي قلبي ، يعني ربنا بيقولنا أن نعيش وسط الناس بالحب والتسامح ، وإن إيه الأجر والثواب الي نستحقه من ربنا لو حبينا الي يحبونا ، عادي أكيد هنجب الي

بيحبنا ونسامح الي بيسامحنا , لكن الفضل والأجر الكبير لما نرد السيئة بالحسنة يعني نحب ونسامح حتى الي بيسيئوا لينا ويغلطوا في حقنا , مش علشان إنت ضعيف.. لأ!! , ده إنت كدة بتكون في وضع القوة , لأن الضعيف مش بيعرف يسامح أصلاً.. مش كدة ولا إيه..؟ , وبعدين الرب عايزنا نسعي نكون إنسان كامل مش الرب قال :

((فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السموات كاملاً))

ورغم أن الخطية هي أصل البشرية إلا أن الرب عايزنا نحاول تجنبها ونتوب حتى يغفر لنا

“

تدخل عماد مقاطعاً :

“عبدالله شمني يا مامي النهاردة , وأنا قولتله الله يسامحك زي ما انتي قولتيلي , لكن هو بيشمني كتير وأنا قولتله هقول لمامي , مش كدة ربنا هيزعل منه هو كمان...؟!“

ابتسمت محبة وهي تنظر لـ عبدالله في استعطاف :

“ليه يا عبدالله تشتم أخوك , مش إحنا قولنا الي بيشتم كدة يبقي بيشتم ربنا علشان هو بيزعل من كده , مش الرب قال :

((من قال لأخيه يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم)) , عايز تدخل النار يا عبدالله عارف ربنا قال أخيك مش يقصد أخوك وبس , ده يقصد أي حد , عيب ماينفعش نشتم كدة “

خفض عبدالله رأسه وهو يقول بصوت مبحوح خافت وبأسف :

“أسف يا مامي.. أسف يا رب“

“مامي في نار جهنم في القرآن برده ، إنتي كنتي بتقرأى ليا كذا مرة أسمع نار جهنم هي دي نفس النار يا مامي الي في القرآن..؟“

لم تمل محبة أثناء قضاء وقتها بين طفليها لحظة ، دائماً ما كانت تستقبل أسئلتهم ومشكلاتهم بسعة صدر حتى لو كانت تافهة طفولية ، تنفست قليلاً ثم أكملت :

“يا عماد يا حبيبي هي دي نار جهنم الي في القرآن ، زي الي في الإنجيل لأن الله واحد ودينه واحد ، زي الجنة ، زي أسماء الأنبياء والرسل وقصصهم ، وأسماء الملائكة ، لكن في ناس إختارت تأخذ دينها من الإنجيل الي هما المسيحيين ، وناس تانية إختارت دينها من القرآن الي هما المسلمين ، وسواء القرآن أو الإنجيل فالأثنين كلام ربنا ، لكن الإنجيل نزل بلغة المسيح وقومه ، والقرآن نزل بلغة محمد وقومه ، نفس المعاني ونفس التعاليم والأخلاقيات ، لأنه نفس الدين على رأي بابا عماد الله يرحمه.. دين التوحيد.. إننا نؤمن بأن الله واحد بس ، وأن فيه يوم علشان نتحاسب فيه قدام ربنا ، وبعدين مش ربنا قال في القرآن :

(((إن الله يغفر الذنوب جميعاً ، إلا أن يشرك به)))

إنسانفريديا

أحمد عماد

يعني ربنا هيغفرلنا كل خطايانا إلا إننا نؤمن بحاجة تانية غيره أو معاه.. فاهمين يا ولاد
“.....؟!“

وأثناء السؤال قطع عبدالله الحديث بسؤال تصاحبه نظرة طفولية ثاقبة :

“يعني ربنا بيحب مين أكثر..... المسيحيين ولا المسلمين..؟“

أفلتت ضحكة من بين شفتي محبة :

“ربنا بيحب الإنسان الطيب الجميل ، الي بيحب الخير لغيره وللناس ، بيحب الإنسان
الي دائماً يفكر فيه ويدعى له ، وبيحب الي دائماً يصلي له ويسمع كلامه ، لكن يا
حبيبي مسميات مسلمين ومسيحيين ويهود دي ربنا مش يبص ليها ، وهو بيشف بس
إحنا عاملين إيه من جوة ، ويحاسبك على نيتك ، لو نيتك صافية وحلوة وبتحب الخير
هتبقى أكيد أفضل عند ربنا ، وزى ما (النبي محمد) قال :
ردد عماد لحظتها عليه الصلاة والسلامثم أكملت :

“عليه الصلاة والسلام يا حبيبي.. شاطر يا عماد ، المهم سيدنا محمد قال إيه :

(((إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى))))

والنية محلها القلب , يبقى لازم ننصف قلوبنا أول بأول علشان مايبقاش فيها كراهية ولا حقد ولا غل , علشان القلب هيبقي كتاب مفتوح كدة يوم القيامة , وربنا بنفسه هيشوف القلوب , علشان كدة لازم نخليها نظيفة “

يتثنائب عماد مقاطعاً , عاقداً حاجبيه :

“ماي أنا حفظت سور كثيرة من القرآن زي ما قولتيلي , وإنتي وعدتيني إنك هتعليميني أصلي زي بابا الله يرحمه , علشان ربنا يحبني أنا كمان “
 “ يلا يا حبيبي وإنتي يا عبدالله نام , هنروح نصلي أنا وعمده وبعدين هنام كلنا “
 نوهت محبة.....

“ أجي معاكوا..؟ “
 أطلقها عبدالله باستئذان....

“ نام يا عبدالله الرب يحفظك ويحاطوك يا حبيبي “

دعت محبة لابنها عبدالله وهي ترسل له قبلة على الهواء , ممسكة بيد عماد متجهه نحو الباب , إلا أنها رجعت وكأنها تذكرت شيئاً , ضغطت على الإنارة لتكتسي الغرفة بنور أظهر ملامحها جيداً .

_ظهرت غرفة عبدالله المتوسطة نسبياً , يتوسطها سرير صغير الحجم , كومود يستقر على يمين السرير , بجواره مكتب صغير يعتليه أبا جورة ضئيلة الحجم , ومكتبة تستند إلى

أحد الجدران تحوي على بعض التحف الصغيرة وكتيبات ومجلات متنوعة ، ورف خاص يستكين فيه الكتاب المقدس ، صليب كبير نموذج للصليب المقدس والمسيح مازال عليه ، ورأسه ترتبي على كتفه ، الدماء تسيل من جسده ، معلق على الجدار خلف المكتب الصغير بجوار المكتبة ، وصورتان للسيدة مريم العذراء وهي تحمل صغيرها ، وصليب آخر يشبه المعلق قائم بمنصف سطح الكومود بجوار السرير ، وسجادة دائرية تتوسط الغرفة ، التي لا تمتلك سوى نافذة واحدة مسدلة ستائرهما ، تتطرف قليلا في إحدى الجدران .

_أشارت محبة مرة أخرى لـ عبدالله بالنوم وهي تؤكد غلق النافذة قبل أن تضغط زر الإنارة وهي تودعه ، وارتب الباب ببطء ، ثم اتجهت على خطى عماد نحو المرحاض ، وقف عماد أمام حوض الوجه رافعاً أكمام قميصه وهو ينظر ويتابع حركات الوضوء التي تكررهما له أمه خطوة بخطوة ، وبعدما تنتهي يأتي دور عماد في الوضوء بمساعدتها ، وبعد الإنتهاء من الوضوء إتجه الإثنين نحو غرفة عماد ، أدارت مقبض الباب ، تحسست أصابعها الحائط تضغط زر الإنارة ، أضاءت الغرفة ، تسلل عماد مسرعاً يلتقط سجادة الصلاة ، قام بوضعها على الأرض بإتجاه الدولاب الصغير الذي يوجد مثيله في غرفة عبدالله ، أمسكت محبة طرفي السجادة مرة أخرى ثم وجهتها في ناحية أخرى قليلا وهي تتمتم :

“ ده كدة إتجاه القبلة يا حبيبي ، من أيام النبي محمد لم تتغير أبداً ، زي المسجد الي جنبنا كدة ، بيصلوا في الإتجاه ده “
عدلت محبة عودها نحو ابنها قائلة :

“قولي بقي حفظت إيه من القرآن علشان نصلي..؟”

اكتفي عماد بتحريك كتفيه صعوداً وهبوطاً وهو يبتسم بخجل ، مدت محبة يدها إلى مكتبة الغرفة ، إنتقط المصحف ، فتحتة بقدسية وبرقه وهي تقول :

“أحفظ بعض سور القرآن ، أو حتى آيات قليلة حتى تكتمل صلاتك ، الصلاة مش حركات بس ، الصلاة دي طريقة من طرق الوصول مع الله ، فلازم نعرف نعملها إزاي ، والأهم من كل ده نيتك وقلبك عاملين إزاي وانت بتصلي ، لازم القلب يكون أبيض وسليم ومليان حب وخشوع لله ، مش كونك بتأدي حركات وكلام بتقوله وخلاص ، لازم نبقي متأكدين وعندنا يقين أننا واحنا في الصلاة بنكون واقفين في حضرة الله لأن الله قريب جداً منك “

_يسري صوت محبة في ثنايا الليل كأنه لحن موسيقي رباني شديد السكنة ، ثم يتبعها صوت ابنها ، وهو يصدي كلمات أمه ترديداً :

بسم الله الرحمن الرحيم

((قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد)))

صدق الله العظيم .

“دي حفظتها يا مامي وسورة قل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس كمان”

" تمام يا عمده يبقى نبدأ بسورة الفاتحة.. الحمد لله رب العالمين.. وبعدين نقرأ سورة من

الي سيادتك حفظتهم وأما نركع نقول إيه..؟ "

" سبحان ربي العظيم ثلاث مرات "يرد عماد

وبعدين

" ونرجع نقف وبعدين نسجد مرتين ونقول إيه..؟ "

" سبحان ربي الأعلى ثلاث مرات "

" وماتنساش تفضل تدعي لربنا بكل الي إنت عايزه وانت ساجد ، وتدعي لبابا بالرحمة

وكل الي بتتمناه ، تمام؟

وبعدين قولي.. إنت كدة خلاص عرفت عدد ركعات كل صلاة..؟ "

" أه يا مامي.. دي سهلة حافظهم من زمان ، بس يلا صلي معايا بقي ، علشان نبقى جماعة

"

_مدت محبة يدها تلتقط وشاحاً وضعتته على رأسها دون أدنى تردد ، وابنها يتبعها ،

استقامت باتجاه القبلة على سجادة الصلاة ، زحزت عماد قليلا تضبط إتجاهه بجوارها

وهو ينظر لها والسعادة تملأ عينيه ، ثم رفعت يدها ((الله أكبر)) ، فجاء الصدى مرة

أخرى خلفها ((الله أكبر)) ، فتحت محبة المصحف في يدها عند الصفحة التي قامت

بوضع علامة من قبل عند سورة مريم ، التي لطالما لقت قبول غير عادي في قلب محبة

وبعدما انتهت من الفاتحة بدأت تقرأ :

((بسم الله الرحمن الرحيم وأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا

(16) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (17) قَالَتْ

إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (18) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا

زَكِيًّا (19) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا (20) قَالَ كَذَلِكَ

قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئٌ ۖ وَلِتَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا (21)))

((الله أكرم)).....

السلام عليكم ورحمة الله.. السلام عليكم ورحمة الله .

انتهت محبة من الصلاة مع ولدها ، وهي تحتضنه وتقبله وفي تلك الأثناء لمحت محبة

شخصاً يتابعهما عند الباب ، كان عبد الله الذي جرى مرتين في حضن أمه في صمت.

كثيراً ما تسترجع محبة لقاءات زوجها ، تعيش وتستمتع بتلك الزكريات ، وتلك المرة

التي تذكرت حديث زوجها عند الآية القرآنية ((ولن تجد لسنة الله تبديلاً)) ، حيث

ذكر زوجها إحدى الشخصيات التي تركت بصمة في العالم الإسلامي الإمام

" محمد عبده " الذي أتم بحثاً مع السيد (محمد رشيد رضا) نحو نظرتهما للخالق ،

هذا الخالق العظيم القدير.. كيف يتسنى لنا أن نراه من فوهة واحدة..؟ ، كيف لنا أن

نحصره في عقل لا يقو على إدراكه.....؟ ، لكنه يستطيع الوصول إليه ، فالله يريد منا أن

نتبع سننه ، التي لم تبدل قط ، إلا أن الإمام نوه في بحثه نحو الاختلافات التي تتبناها

الأديان بأن وصفها بالبشرية ، وأن القضية المعنية بالنظر هي البحث في الكون على قدرة الله وصفاته ، وعندما طبق عماد هذه الفلسفة وجد أن هناك من يطبقون سنة الله دون معرفته ، لأن المعروف هو سنة الله ، وأن تحيا كإنسان أيضًا هي سنة الله ، والصدق والأمانة والتعامل بين أجناس البشر وغير البشر هي سنة الله ، التي وصلت إليها كل أمة ، بل وكل عقل لم تشوبه شائبة في تشويه دينه أو تشويه معاملاته ، وأن إحياء القبيلة والطائفية والعنصرية هي السلاح الأول لهدم الدين بالفعل .

لم تهدأ محبة بالبحث والإطلاع على إهتمام زوجها وثقافته ، دائماً ما كانت أن تحاول الرؤية من خلال زوايا متعددة مثلما علمها زوجها ، كانت تهتم بإهتمامته حتى نوعية الكتب التي كان يقرأها والفكر الذي يتبناه ، وحتى العلماء والكتاب الذين يقرأ لهم وعنهم دائماً ، كانت تستشعر بأن تربية ابنها المسلم هي مهمة تقع على عاتقها بالذات المسلم _ لأنها بالكاد مسيحية ، شربت الإلتزام والتدين المسيحي منذ نشأتها تعلمت وقرأت ، فكان من السهل أن تتلاقى مع عقلية ابنها عبد الله خصوصاً إنه على ذات السبيل .

أخذت تتذكر وتحديث نفسها وتلملم المعلومات التي تساعد في الرد دائماً وبإيجابية على تساؤلات ابنها ، وأنها لن تقف أمام نشأته مكتوفة الأيدي ، وتحاول مجد أن تكون عند حسن ظن زوجها في تربية أبنائه ، تمتعت محبة ببعض الصلوات ، حتى تتأقلم عليها جفنها نحو النعــــــــــــــــاس .

.....

_ انفلق الشفق وازداد إحمراراً بقدوم نهار جديد ، تسرب أشعة ضوء الصباح لغرفة عماد الذي أغفل ونام في حضن أمه على يمينها ، وعبدالله يستحوذ على جهة اليسار، تداعبهم أشعه الشمس التي مرت من ثقب النافذة وفتحاتها .

تظهر غرفة عماد التي تشبه في تكوينها الجداري غرفة أخيه عبدالله ، وأيضاً محتويات أثاثها ذات الشكل مع إختلافات طفيفة في الألوان ، فأشعة النهار أحدثت فارقاً ، تتناثر بعض الألعاب في أركان الغرفة ، سجادة الصلاة توضع على الكومود بجانب السرير ، وبجانبها أباجورة صغيرة ، برواز صغير يعتلي سرير عماد يحوي آية الكرسي ، وآخر خلف مكتبه الصغير بنقش سورة المسد ، أما عن الفرق الواضح بين الغرفتين ، في أن غرفة عماد تتوسطها سجادة مربعة الشكل .

_ فزعت محبة من نومها ، وجدت نفسها بين أبنائها بغرفة عماد ، والضوء يتخلل الغرفة وصوت العصافير يزقزق في أذنانها بسبب النافذة التي مازالت مفتوحة ، لقد راودها الحلم ذاته في تلك الليلة ما جعلها تفرع ، وأما عن اكتمال الحلم كان قبل ست أو سبع سنوات ، عندما قصته لزوجها ، عن حبة المسبحة التي تحولت لزهرتين ثلجيتين ، ذوات أجنحة ، ثم وقفا يرفرفان على كتيفها ، آمنت محبة منذ سنوات بأن هناك شئ ما يريد التواصل معها أو يريد إخبارها بشئ ما ، لكنها حتى الآن لا تمتلك شيئاً سوى إنها تعرف أن الحلم منتقص ولم ينتهي بعد ، ولايزال يرواها بين الفينة والفينة ، لكنها على يقين بأنه عندما يشاء الله ، سيكتمل الحلم .

إعتدلت محبة على حافة السرير ، بعدما أزاحت عبدالله بجوار أخيه ، وهي تحك عينيها بيدها في ثنائب ، إنتبهت محبة إلى الصوت القادم من صالون الفيلا واتجهت نحو باب الغرفة ، بعدما أغلقت النافذة المفتوحة ، وعندما أصبحت خارج باب الغرفة ، وضع لها الصوت أنه صوت ليلى تستعين بأحدهم.

نظرت محبة لتجد أمها تبكي على أطلال جسد والدها المطروح أرضاً ، وهي تحاول إفاقته ، وبجوارها زجاجة عطر صغيرة ترش به وجه أبيها ، في حين جرت محبة لتتفقد الأمر. هرولت بجانب أمها مفزعة :

“ بابا مالك يا بابا..؟! ”

إنهالت العبارات على وجنتيها ، وهي ترج في جسد أبيها ، أسرع نحو الهاتف طلبت رقم الإسعاف ، ثم أغلقت الخط وعادت الإتصال مرة أخرى ، لكنه لا يبدو أنه تستغيث بالإسعاف، رددت في إرتباك :

“ فيكتور.. مكتب النقيب فيكتور نخيلة ، أنا أخته لو سمحت ممكن تبلغه بسرعة أن والده تعبان شوية ، ومحتاجين نقله المستشفى ”

بينما تغلق محبة التليفون الذي يميزه القرص الدائري ذات الثقوب ، موضوعاً داخل قفص يزهو بالألوان في إحد أركان الصالون ، وإذا بها تستشعر حركة برأس أبيها الملقى ، ثم حاول جاهداً أن يفتح عينيه ببطء ، أسندت محبة والدها على ساعدها ، قربت كوباً من الماء من شفتيه وهو يحاول أن يرتشف منه رشفه الحياة ، أخذ رشفتين من الماء ، أسنده حتى

يستطيع الجلوس على مقعد الصالون ، و محبة تجرده من أزرار قميصه ورابطة عنقه حتى يقوى على التنفس .

بعد قليل حضر فيكتور وخلفه طبيب جاء لفحص حالة والده ، الذي أمرهم بفور نقله إلى الرعاية في المستشفى ، بعدما وضع في يده حقنة , قال أنها ستجعله على ما يرام إلى أن ينتقل للمستشفى .

“خير يا دكتور..؟“

لحقت محبة بسؤالها للطبيب بعدما وارت باب الغرفة التي يرقد بها والدها ، أخبرها الطبيب بإحتمالية تعرضه لصدمة عصبية أفقدته الوعي وألحقتها صعوبة شديدة في التنفس ، لأن التحاليل أثبتت عدم وجود أمراض مثل السكري أو الضغط وأن حالته الآن مستقرة تماماً ، وهذا لا يمنع إجراء بعض التحاليل الأخرى والفحوصات على القلب والمخ للإطمئنان فقط.

_دخل عماد وعبدالله على جدهما الذي تعافى وصرح له بالخروج من المستشفى في نفس اليوم نظراً لاستقرار حالته وهما ينطقان في آن واحد :

“ألف سلامة عليك يا جدوو“

وأشرف يتفرس حفيديه وهويبتسم بإرهاق ، ثم وضع قبلتين على جبهة كلا منهما وهو يضمهما لصدره بحنان .

.....

لم تضل محبة يوماً نهج تربيتها لصغارها ، اجتمعت بهم في غرفة أحدهما لربما غرفة عبدالله ، أخذوا يتناولوا الحديث سوياً ، وقد عملت محبة على لفت إنتباههما إلى لوحات الآيات الصغيرة التي تلتصق بجدران غرفة عبدالله أشاحت بسببتها نحو الآية
 “ هذه هي وصيتي أن تحبوا بعضكم بعضاً ” .

ثم وجهت إصبعها نحو الآية الأخرى المكونة من كلمتين
 “ الله محبة ”

والتي لم يكن لها نصيب في غرفة عبدالله فقط ، بل إنتشرت في شتى جدران البيت ، ثم أردفت :

“ عارفين يا حبابي سيدنا محمد قال إيه قال نفس كلمات يسوع نفس الآية دي ، في حديث له قال :

((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)) ، هو ده الحب وهو ده الإيمان ، وهي دي وصايا الرب وأنبيأؤه ، بابا عماد كان دائماً كل ندواته ولقاءاته يتكلم عن الحب ، وكان دائماً يقول أن الحب ده هو الحياة وفي إحدى كتاباته قال :

((دمتم خير إنسان إذا مشيتم بين الناس بالحب))

“ هو بابي كان شكله زي الصورة كدة يا مامي..؟ ” تلفظ أحدهم.....

ردت محبة :

“بإي كان أحلى راجل ممكن تشوفه في حياتك , مش بملاحه رغم أن ملاحه كانت جميلة وطيبة , إلا كان جمال قلبه ونقائه كان دائماً يزيد جمال , كان محبوب وناجح ومؤمن , ودائماً كان وجهه مبتسم , الإبتسامه مش بتفارق شفايفه حتى لو كان في ضيقه أو مزاجه مش رايق , وكان في حديث ثاني سمعته منه لسيدنا محمد كان بيقول :

((إبتسامتك في وجه أخيك صدقة))

لوفعلًا يا ولاد الإبتسامه صدقه يبقى أبوكم الله يرحمه كان أغنى الناس , وحتى يوم وفاته كان مبتسم وببيضحك.. آه...وعلى فكرة كان دائماً يقولي أنه بيحبكوا جداً ونفسوا يشوفكوا , وطبعاً مكنش يعرف إنكوا اتنين , لكنه دائماً كان مشتاق أنه يشوف ابنه , وبعدين راح للسما , وربنا علشان يعوضني , عطاني وردتين زي القمر شبه أبوهم“

وقعت كلمة وردتين على مسامع محبة رغم أنها قائلها بلفتة غريبة , ضاقت حدقت عينها وكأنها تذكرت شيئاً , ذات المشهد الذي كان يراودها في حلمها , والزهرتين الشديديتي الجمال , اللتان إستقرتا على كتفها , سرحت قليلاً بخيالها وكأنها أدركت تفسير رؤياها التي لم تكتمل بـ————د .

_وضعت سارة يدها على خصرها , وهي تميل بإخفاء , بعدما استقرت النظر في غرفة عبدالله , حيث رأت محبة تقف مغطاة الرأس , وخلفها عماد , يرددون بعض آيات

“أنا مظلوم والله.. مظلوم يا با ، أنا مش بنكر إني كنت على خلاف معاه على طول بسبب جوازه من المسيحية ، وبرده مش بنكر إني ممكن أكون سبب في الي حصله علشان انضيت للجماعة دي ، لكن دي مقصودة ، وأنا بالذات!

لأن السبحة الي كانت موجودة في الحادثة فعلاً بتاعتي ، لكن لبسوها لي صح ، قتلوا أخويا وكانوا عايزين يخلصوا مني ، حسبي الله ونعم الوكيل“

“يعني مين الي قتل أخوك...؟“سأل مجدي مقتضباً

“شوف يا بابا أكيد الي عمل كدة ، حد من جماعة الجهاد الي كنت فيها ، لأنهم واصلين....

... واصلين أوي ، ممكن يعملوا أي حاجة ، لكن مافيش دليل ، وبعدين سألت بعض الأخوة الي كانوا بيزوروني أول ما إتسجنت ، كانوا دايماً بينكروا ، والحمد لله بقا لهم مدة كبيرة علاقتنا انقطعت ولا حد بيسأل ، يلا في ستين داهية“

_جلس الأبوان قليلا مع ابنهما في غرفة الزيارات ، تفتح أمه مالد وطاب من أكلات يديها التي يعشقها أحمد ، وهو ينظر للطعام متلهفاً ، ثم استكملوا الحديث ، فأخبرهم أحمد بأنه من الممكن أن يفرج عنه بثلاث أرباع المدة ، ويجذب انتباه شديد ، دوى في الأرجاء ذات الصوت الذي إفتح الزيارة :

للمذنبين إلينا ، ولا تدخلنا في تجربة ، لكن نجنا من الشرير ، لأن لك الملك والقوة
والمجد إلى الأبد.. آمين“

_وقفت محبة تصلي في غرفتها ثم أكملت :

“ يارب حاوط أبنائي وحافظ عليهم ، واشف بابا وأعطيه العمر ، وحافظ على أُمي وارحم
زوجي واجعله بجوارك في الملكوت ، ونجني يا أبتي فيما أفعله وثبتني يا الله“

وجهت محبة نظرها نحو اللوحة المعلقة وسط غرفتها المنقوشة بخيوط من الذهب ، والتي
صنعتها خصيصاً لتجعل منها ذكرى تخلد في غرفتها ، أحد أثر زوجها ، تزيلت تلك
الكلمات الذهبية المنقوشة باللغة الإنجليزية باسم (عماد العزازی) ، تلك الكلمات التي
تسببت بنشوء العلاقة بينها وبين راحلها ، والتي استوقفتها لأول مرة على جدران
الجامعة ، صلت محبة لزوجها مرة أخرى ، وهي أمام لوحته التي صنعتها بعد مماته ، جبال
من الأوراق تعطي مكتبها ، ومكتبة زوجها التي أوجدت لها مستقر بغرفتها الخاصة ،
وتمثالين للعذراء أحدهما قديم والآخر يبدو عليه الحداثة يستقران على الكومود
خاصتها ، آية "الله" محبة

تظهر في أكثر من موضع ، ولوحة فنية في قمة الروعة والجمال للفنان الإيطالي
" ليوناردو دافنشي " في رؤيته في تجسيد مشهد العشاء الأخير للمسيح وسط تلاميذه
والتي رسمها عام 1498 ، نسخة عالية الجودة ، لوحة فنية باللون الذهبي .

.....

_ دخلت محبة معملها الكائن بالصيدلية _ الكبيرة _ ، إذا بوالدها ملقى على إحدى المقاعد واضعاً رأسه بين كفيه ، أمسكت محبة يد والدها وهي تقبله ، وتسأله عما به ؟ ، يبدو عليه الإرهاق والتعب ، لكن على كل هو يتحسن وبخير ، اعتدل أشرف في جلسته وكأنه تذكر شيئاً باغته :

“ محبة يابنتي .. كنتي قولتيلي حاجة بخصوص عماد ابنك ، لكن كنت تعبان ومش مركز ، خير يابنتي في إيه..؟ ”

بادرته محبة :

“ كل سنة وحضرتك طيب يا بابا ، طبعاً عارف إن رمضان قرب ؟ ”

“ وإنتي طيبة وبخير يا حبيبتي ، أنا عملت زي مانتي عايزة بالظبط ، حضرت الفراشة وكلفت واحد من الموظفين بإدارة موضوع مائدة الرحمن الثانية الي طلبتيها على روح جوزك ، والمائدة القديمة الي إتعودنا عليها هي هي ، في نفس المكان ، ربنا يابنتي يرحم جوزك ويجعل الي بتعمله في ميزانه ، متقلقيش يسوع مباركنا وكافينا والخير زيادة والحمد لله ، هو أنا عندي أغلى منك يا نور عين بابا ، وبعدين ده ماله هو _ الله _ ، مش المسيح قال : ((أن ما للقيصر للقيصر وما لله لله)) ، الي عنده ما يبروحش بالعكس ده بيزيد ”

حك أشرف أنفه وهو يكمل :

“ لكن في طلب أو وصية عايز أوصيكوا بيها ”

“ إتفضل يا حبيبي ”

“ أوعي يابنتي بعد ما أموت ، تقطعي أي حاجة بنعملها لله ، سواء الموائد دي أو علاجات الناس الغلبة الي معتمدة علينا ، أو أي حاجة بدأناها مع بعض وقاصدين رضا الله ومحبتة ، وأنا عارف إنك قد المسئولية ، لكن أهو.. بفضفض معاكي علشان إنتي عارفة كويس معزتك في قلبي ، وإن إنتي الأقرب لقلبي.. مش كدة ولا إيه.. ؟! ”

قاطعته محبة :

“ ربنا يدريك العمر والصحة ويحافظ عليك ويخليك لنا ، ولا يحرمنا منك أبداً ، ده أنا أموت بعدك يا حبيبي ، وتفضل وسطينا وتعمل كل الحاجات دي على حياة عينك كدة ”
ثم قبلته وهي تهتم للمغادرة ، وبعدما خطت بقدميها خطوتين أو ثلاثة رجعت قائلة :

“ آه يا بابا عماد كان نفسه يروح يوم يصلي في المسجد في رمضان ، وكان حابب الحسين أو السيدة أو أي جامع كدة من الي بيشوفهم في التلفزيون ”

“بس كدة.. من عينيا.. خلاص فيه يوم عندي نروح كلنا وناخد ماما معانا نسهر في الحسين ونتسحر سوا كمان”

صدرت ضحكة مفاجأة من محبة :

“لأ و عبدالله أما سمعنا بنتكلم في الموضوع ده عايز يروح مع أخوه يصلي وطلب مني فانوس رمضان كمان”

قهقهات تخرج بين شفتي أشرف :

“الأطفال دي ملايكة ، أحلى حاجة في الدنيا دي الأطفال ، ((إن لم تعودوا فتصيروا مثل الأطفال ، لن تدخلوا ملكوت السماوات)) ، فعلاً الأطفال نعمة كبيرة ، زي الشوب الأبيض ، رمز للنقاء ، الرب يجعل قلوبنا زي قلوبهم ، ماتشغليش بالك بالموضوع ده.. سيبهولي”

شكرت محبة والدها ثم ذهبت وقبل أن تختفي من أمامه ، نظرت خلفها :

“ماتنساش الفوانيس..”

.....

_أنهت محبة أعمارها اليومية في العمل ، وعندما رجعت البيت ، وجدت صغيرها حول جدتهم ، يتابعون مسلسلاً كرتونياً على إحدى القنوات ، يتلقفوا حبات الفستق واللوز ،

وعندما دخلت محبة ، أشارت لها أمها بهدوء ، بأنها تريدها في أمر هام ، الأمر الذي جعل محبة تبلي نداءها ، بعدما سلمت على أولادها ، فنطقت ليلى :

“ شوفي يا محبة ، أنا قلبي واكني عليكي أوي ، سارة كانت هنا من شوية وقالتي إن في عريس جميل جداً ويناسبك “

قاطعتها محبة باستهجان :

“ منك لله يا سارة ، ماما أنا مش عايزة أفتح موضوع الجواز ده تاني.. أرجوكي.. من فضلك عماد وعبدالله عندي بالدنيا ————— “

“ إنتي ملحقتيش تدخليني دنيا يا حبة عيني “

“ ماما من فضلك.. أنا قولت قبل كدة محدش يفتح الموضوع ده تاني ، دي حياتي وأنا اخترت أعيشها بطريقي ، أولاً جوزي عمره ما هيتعوض تاني ، ثانياً إني أشوف عيالي زي باباهم كدة عندي بالدنيا “

_أخذت كرة الحديث تنتقل من جانب لآخر، ليل تريد رجل تستند إليه محبة ، يكون لها ظهر وسند ، ومحبة لا ترى الحياة بتلك النظرة ، فتواجهها حول أبنائها كان يشبع كل احتياجاها في الحياة ، فضلاً عن طموحها وهدفها الذي تتخذ نحوه خطوات جيدة وثابتة ، لم تنفوه ليلى بكلمة ، بعدما هدأ الحديث قليلاً هرعته محبة نحو غرفتها عمداً لإنهاءه.

_____ “رمضان جاناااااانا وفرحناااااا به ، بعد غيابه أهلاً رمضانناااااا”

أغلقت محبة باب شقة زوجها ، التي تفوح منها رائحته وذكرياتهما ، التي لم تتجاوز الشهور ، والأجواء الرمضانية تضيفوا على الشوارع والبيوت ، رائحة رمضان تتخلل نسمات الهواء البارد في فضاء الأسكندرية ، ما أمتعته رمضان حينما يحل بالشتاء ، غادرت محبة عش زوجها الذي اعتادت على زيارته بين الحين والآخر ، وهي تسير وسط الأجواء الشعبية في إحدى حواري مدينة العجمي ، وهي تستمتع مع طفلها بالنفحات الرمضانية ، ورغم كون المناسبة دينية إسلامية ، إلا أن عادات وتقاليد المصريين التي باتت لم تفرق بين حتى إحتفالات المناسبات والأعياد ، حتى العائلات المسيحية التي تتوق لقدوم هذا الشهر الكريم ، وترديد الأغاني الربانية التي تتعلق بذاك الشهر... الأنوار والأضواء تملأ البيوت والشوارع ، ترى الزينة متراسة بين شرفات البيوت ، روائح ذات طابع خاص تتسلل بين نسمات الهواء ، لم تعرف أو تتحقق من مصدرها ، الخير يزداد والمودة تعم ، كما صلة الأرحام ، تجد الحب يفيض بين الناس ، ترى الغني يعطف على الفقير ، ترى الصدقات والخير بشق المظاهر ، موائد تنتشر بضواحي المحروسة ، الطعام بشق أنواعه على الموائد دون مقابل فقط لوجه الله ، وكأنها موائد أنزلت من السماء ، تشعر وكأن الملائكة تهفو في نهار رمضان ، والسعادة والفرح وليالي السمر تشع بالليل... حقاً هو شهر ذو طابع خاص ناهيك عن صوت (عبد المطلب) الذي ينبع من كل بيت ومتجر (رمضان

جانا) التي تستشعر حين سماعها بأن شخص رمضان ذاته هو من يغني تلك الأغنية..
عجباً ، والكل يساهم في هذا التوقيت ، مسيحيين و مسلمين في رسم تلك اللوحة
الرمضانية المصرية التي يصعب علينا أن نرها بأي مكان آخر على وجه المسكونة سوى في
مصر.

مازالت محبة تستمتع بالسير في تلك الأجواء مع طفليها وهي تشاهد الأسواق والمتاجر
من حولها تنكدس بياميش رمضان من بلح وزبيب وغيره ، وعربات الكنافة البلدي
والقطايف تقام في زوايا الطرق ، وعربات التمر والعصائر، الفوانيس تتراس بجوار بعضها
مختلفة ألوانها في العديد من المتاجر ، المرح والغناء الذي يصدر من الأطفال وهم ممسكين
بفوانيس رمضان ، تحاول محبة الحفاظ قدر الإمكان على تلك الطقوس ، لتؤازر ابنها في
تعليمه شعائر عبادته ، والصيام أحد أهم تلك الشعائر ، لم تستطع محبة أن تجعل كل هذا
دون إعلاء راية الحب بين صغيريها اللذان أدركا مؤخراً ماهية وأهمية الصلاة والصيام
وغير ذلك من العبادات ، عملت على إرساء تلك المعاني داخل أولادها ، ووضعت فيهما
معني الحب ، دائماً كانت تذكرهم بالمقولة الشهيرة أن (مقياس الحب أن تحب دون
مقياس) كما ذكر المتصوف المسيحي

(سانت بيرنارد أوف كليرفوكس).

القليل منا وصل لتلك المراحل في معاني الحب ، لكن كان هناك دائماً منبع له حتى في
فجر العصور ، انظر ما أشار الكاتب المسرحي اليوناني (سوفوكليس)

سنة (496 / 406) قبل الميلاد فقد قال :

إنسانفريديا

أحمد عماد

الزجاج الملون ، ثم أخرج علبة أخرى بها مجموعة من الشموع الخاصة بالفوانيس ، ارتسمت على وجه التوأمة فرحة عارمة ، أخذ كلا منهما فانوسه ، ثم وضعت لهم أمهما الشموع بداخلها وأضاءتها ، أخذ الطفلان يدوران حول نفسيهما في فرح وهم يغنون ويدندنون (وحيي يا وحيي) ، مسح أشرف دموع الفرح التي ظهرت على وجه ابنته ، وكأنه قرأ ماتفكره بوجود زوجها حول أولاده ثم أردف قائلاً :

“ الله يرحم جوزك يا حبيبتي ويجعله في مكانة أفضل وأعظم من ديتنا “

ارتمت محبة بأحضان والدها :

“ ربنا يخليك لينا يا أحن وأعظم أب في الوجود ، مش علشان إنت بابا ، لأن فعلاً إنت أعظم شخص شوفته في حياتي وشرف ليا إني أكون بنتك “

رد أشرف مسرعاً :

“ ده شرف ليا أنا إن إنتي تكووني بنتي “

ردت محبة :

“ فاكري بابا الحلم اللي بسببه سمتني محبة ”

“ فاكـر طبعاً ” أجابها والدها ثم أكمل :

“ قبل ما أعرف إن أمك قربت تولد , _الي فعلاً حبيتها أكثر من أي حاجة في الدنيا_ كان معانا فيكتور تقريباً كان عنده سنة وشوية , جاتي في المنام العدرا³ وهي شايلة يسوع على ايديها وحواليها طاقة من النور، وشها كله سعادة وفرح وكأنها بتقولي حاجة وهي بتبصلي أوي وفرحانة.. وبعدين تقرب مني وتقرب وأنا برضه مش سامع هي بتقول إيه ، لكن لما قربت كان نفسي أشوف المسيح وهو صغير ، أشوف ملامحه ، فعلاً بصيتله لاقيت هو كمان باصصلي وعلى وشه نفس ضحكة أمه ، لكن حصل حاجة غريبة جداً , قامت العدرا بتناولني ابنها الرضيع , أخذته منها وبعدين لقيت شعره الذهبي عمال يطول لغاية ما قرب للأرض وبدأ شكله يتغير ولامحه تقلب لبنوتة جميلة أوي , كانت السعادة مش سيعاني وطاير من الفرحة لأني حسيت إن البنوتة دي بتاعتي ، لما شرفني والله كان شكلك بالظبط علشان كدة أفكرت الحلم ده أول ماشوفتك في الحقيقة ، المهم أكملك.. لقيتك زي ماتكوني ماسكة حاجة بكفك الصغير ، حاولت أفتح كفك مش قادر , وبعدين أمنا مريم راحت تبعد عني وسابتك معايا ، وعلى فكرة كانت عينيكي زرقا زي الي قدامي دول ، المهم بعد مامشيت أمنا مريم ، لقيتك ففتحني إيدك ، كان مكتوب على إيدك ((الله محبة)) , ولأني مجبها جداً بعد ماصحيت من النوم وأنا كلي فرحة وسعادة , عرفت وقتها إن أمك خلاص على وش ولادة ، عرفت خلاص أن الي جايا بنوتة جميلة زي الي بشرتني بيها أمنا , ومن ساعتها قولت في نفسي محبة محبة من العدرا ، محبة من الرب العظيم الي غرقني بنعمه وقد كان .

³ العدرا: يقصد بها السيدة مريم العدراء

أحمد عماد

إنسان فريديا

(الفصل العاشر)

وقفت سيارة ماركة مرسيدس بالقرب من مسجد الحسين بالقاهرة ، نزل منها أشرف وزوجته يرافقهما محبة وبجوارها يترنح صغارها ، بعدما سحب كلاً منهما فانوسه متجهين نحو أحد المطاعم القريبة من مسجد الحسين ، جلسوا يراقبون ويستمتعون بالأجواء الرمضانية ، دعا أشرف حفيديه بعدما احتسى كل منهم مشروبه في كافيتريا المطعم إلى الولوج والطواف بأرجاء الأحياء القديمة ، سيراً على الأقدام ، يشاهدون المحلات والبائعين ، عقب التاريخ الذي ينبعث من المباني القديمة بذات الحي ، اشترى لهما جدهما بعض التحف الفرعونية المعروضة على حواف المحلات ، استمتع الجميع بهذه الأمسية الرائعة وخاصة عماد وعبدالله اللذان مازالا يتابعان المناظر والأجواء لساعات ، إلى أن استقر كثيراً من الناس على مقاعد المطاعم من حولهم نظراً لإقتراب صلاة الفجر ، ولأن موعد السحور قد آن ، التفت العائلة حول مائدة الطعام يتناولون السحور سوياً ، بات عشاؤهم سحوراً تشجيعاً واحتراماً لمسلمهم الذي يتوسطهم ، والذي تعينه والدته بل وعائلته على إقامة شعائر وطقوس عبادته ، والذي يشاركه فيها دوماً توأم روحه ، كثيراً ما اعتاد الطفلان بعدما نضج وعيهم أن يتشاركا في كل شئ حتى في طقوسهم الدينية ، والفضل في ذلك بالتأكيد يرجع للأم التي حاولت قدر الإمكان أن تجعلهم روحاً واحدة ، لكنها تلقن كلاً منهما عقيدته التي ورثها أو التي كتبها الله عليهما ، وقبل الإنتهاء من حصة العشاء بقليل ظفر أشرف وهو يمسخ شفثيه بالمنديل القماش الذي اعتاد عليه وهو ينظر في ساعته :

“يلا يا ولاد علشان صلاة الفجر قربت ، باقي حوالي نص ساعة ، علشان نلحق نزور مقام الحسين الي عايزين تشوفوه قبل الصلاة ، الي عايز يشرب مية قبل الفجر علشان كلنا نصوم“

نظر الطفلان لجدهما ، ثم أعادا النظر لنفسيهما في سعادة وامتنان ، وهما يحركان مقاعدهم للخلف حتى يستطيعا الوقوف .

“الله أكبر.....الله أكبر—————“

صوت الإذان يدوي في أرجاء الحي الساكن ، ينبئ بحلول صلاة الفجر والإمساك عن الطعام ، وقنينة الماء تفرقع في فاه محبة ، وإذا بها تقطع شرابها فجأه عند سماع تكبيرة الفجر، وعينيها ترصد عين أمها التي تجلس أمامها ، في انتظار أشرف وولديها من انتهاء الصلاة ، وعندما لاحظت لبلى فعلة محبة ، علا صوت قهقهات ، الأمر الذي جعل عين محبة تدمع من هستيرية الضحك التي إنتابها في تلك الأثناء.

_توجه الجد بين حفيديه خارجاً من غرفة المقام التي كانوا يشاهدونها ، ومن ثم يشرح جدهم أهمية هذا المقام بالنسبة للمسلمين ، بأنه مقام ابن بنت النبي الذي ذبحه قائد طائفة أخرى من المسلمين للفوز بالسلطة ، كما أخبرهم بالدعاء في هذا المكان وأخذوا يغوصان في الحديث مع جدهم فضولاً حتى حانت إقامة الصلاة ، كان ثلاثتهم قد توضأوا حين دخولهم المسجد ، لحقوا بالصف الثاني والآخر خلف الإمام ، جدهم يتوسطهم ، لم

يكن المسجد متكديساً بالمصلين حينها ، بعد انتهاء الصلاة خرجوا سويًا لفحتهم رياح الصباح الباردة في شتاء قارص ، ما أجمل رمضان الشتاء ولياليه ، جرى الطفلين أمام جدتهما كما أمرهم حتى يقل شعورهما بالبرودة نحو أمهم وجدتهم اللتان جلسنا بانتظارهم كما يبدو عليهما إحساس السقيع أيضًا ، نوه أشرف لحفيديه بتكرار تلك الزيارة مرة أخرى ، لكن بعد الإنتهاء من اختبارات نصف العام ، كما أكد على إقتناص أحدهما لهدية قيمة إذا ما حصل على درجات أعلى من الأخر ، تشجيعاً للتميز والنجاح ، خصوصاً ان تلك ثاني تجربة لهما بعد اجتياز الصف الأول الابتدائي بامتياز لكلاً منهما ، ركبوا جميعهم السيارة متأففين من برد ديسمبر القارص بعد يوم رمضاني غير مسبوق ، في إتجاههم لعروس البحر المتوسط .

.....

_ قدمت محبة لإحدى الصيدليات الفرعية الخاصة بأبيها ، والتي تعمل فيها سارة وصفي كمديرة لها بعد تخرجها ، كمساعدة لها على إيجاد وظيفة لبساطة حال عائلتها من ناحية ، وإنها صديقة بل وأخت لـ محبة من ناحية أخرى.

لاحظت محبة مشادة كلامية بين سارة وأحد الزبائن ، تبدوا عليه الكهولة ، سمعتها تنفوه بكلمات شاذة غير لائقة ، رغم تقدم سن الرجل الذي بدا أكبر من والدها ، كانت سارة ذو طبع حاد قاسي ، ذو وجه مقتضب دائماً خصوصاً أثناء العمل ، الأمر الذي جعل عدد من العملاء يتجنبون التعامل معها ، وليس زبائن الصيدلية فقط ، بل في حياتها

“سمعتم إنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك ، وأما أنا فأقول لكم ، أحبوا أعدائكم ، باركوا لأعينكم ، أحسنوا إلى مبغضيك ، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم ، لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات“

يقرأ أشرف بصوت رقيق لأحفاده ، ثم يتبع قرائته بتفسير مبسط ، يسهل تفنيده في عقل وقلب حفيديه اللذان يجالساه في حديقة الفيلا ثم أكمل :

“سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن ، وأما أنا فأقول لكم ، لا تقاوموا الشر ، بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً“

وأثناء استكمال شرح آيات الانجيل نطق عبدالله :

“ جدو.. من فضلك صحابنا في الفصل قالولنا إن الأجهزة والعربيات والبيوت وكل حاجة.. كل حاجة على الأرض هتبيوط ، لما عرفوا مننا إنك عندك تليفون محمول جديد ومفيش حد غيرك معاها تليفون محمول في مصر كلها.. والواد حسن أنور بالذات قالنا حتى المحمول بتاع جدكوا هيبوط يا كفاتسة ، والعربيات الي عندنا هتغرق في الميه والفيلا والبيوت وكل حاجة.. كل حاجة علشان بيقولوا السنة الي جاية سنة 2000 هنعيش تحت الميه ، وكل حاجة هتبيوط وقالنا كمان إن الكفاتسة هيروحوا النار والمسلمين هيعيشوا في الميه لوحدهم وهو أصلاً مايعرفش إن أخويا مسلم زيه وعمال يقولنا يا كوفتس يا كوفتس————س“

ضحك أشرف وهو يجذب عبدالله لصدره ويضع قبلة على جبهته قائلاً :

“ يعني انت الي مزعلك إنه بيقول يا كوفتس , وإن المحمول بتاعي والعربيات هتغرق في الميه...هههههع , عادي يا حبيبي ده لسه طفل زيك مش عارف حاجة وبعدين المسيح قال إيه مش لسة قايلك :

((لا تقاوموا الشر ومن لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر)) , يعني كلمة كوفتس هي الي هتزعلك من حسن صاحبك , بكرة تكبروا وتبقوا أصحاب وأخوات انت وحسن ده , وبعدين انتوا فكرتوني بالمدرسة , إحنا داخلين على إمتحانات نص السنة , قولولي بقي أخباركوا إيه في المذاكرة..؟

أسرع عبدالله صارخاً :

“ حلو يا جدو.. أنا جيت الدرجات النهائية في كله , وعماد كمان في إمتحانات الشهر علشان ماما بتذاكر لنا على طول “

.....

_وقفت محبة وجوارها طفليها , بعدما نزلت من سيارتها أمام أحد البيوت الشعبية, أمام البيت الذي نشأ وترعرع فيه زوجها المرحوم _ بيت العزاي _ , تحوطهم السعادة والبهجة كلما جاء ليزورا جدهما وجدتهما لـ أبيهما , اللذان لم يروه سوى في الصور والألبومات القديمة , عمدت محبة على زيارة أهل زوجها حتى تتوطد العلاقات بين أبنائها وأهل

أيهما ، ولاسيما الإفطار معهم يوماً من أيام الشهر الكريم ، حاولت محبة كثيراً أن تنسيهما ، تخفف عنهما آلامهما ولو برؤيتهما لأحفادهما .

يمسك كل من عماد وعبدالله علبة الهدايا ، كما تقدم سائق السيارة وهو يحمل أكياس وشنط عديدة بيديه ، مليئة بالخيرات ، وجهته محبة بترك حاجياتهم أمام باب منزل العازي ، دقت محبة جرس الباب ، مرت ثوان حتى فتح لها ، ظهرت علامات الشيخوخة بشدة على والد زوجها الذي فتح الباب للتو ، وهو ينظر نظرة ثاقبة متفحصة توجي بضعف نظره الذي تهالك في الأونة الاخيرة ، يبتسم الحاج مجدي وهو يضبط نظارته على وجهه حين أدرك ملامح الزائرين في نهار مضان ، جثا على ركبتيه وهو يتأمل الطفلين فاتحاً ذراعيه وهو يتمتم :

“ أهلاً..أهلاً حبايب جدو..تأخروا عليا أوي.. إزيك يا محبة يابنتي وحشتونا أوي اتفضلوا ادخلوا“

خرجت الست سعاد من مطبخها ، وهي تمسح يديها مجلبابها ، ووجهها يمتلئ بالسعادة والأمل حين رأت حفيديها بين أحضان جدتهما الذي طال احتضانه لهما ، أسرع سعاد نحو محبة التي تدفأت في أحضان الحاجة سعاد لثوان مع تبادل القبلات النسائية العديدة على وجهيهما ، ثم وجهت نظرها نحو عماد وعبدالله اللذان انتظرا انتهاء القبلات الحارة ، حتى يسلما على جدتهما التي جذبتهم بشدة نحو حضنها الدافئ في ذات الوقت ، وهي تقول والعبرات تسيل على وجنتيها :

“ وحشتوني أوي يا ولاد الغالي ، إيه يا محبة طولتي الغيبة ليه يابنتي ، قلبي بياكلني عليكوا انتي والولاد ، ده انتوا من ريحة الحبايب ، ريحة الحبايب..؟! ، ده انتوا الحبايب كلهم ، متغيش علينا كدة تاني يابنتي “

مالت محبة برأسها في خضوع :
 “ والله يا ماما مدارس الأولاد والشغل واخدين كل وقتي ، حققوا عليا حاضر ده انتوا الي من ريحة الحبايب “

إعتادت محبة دائماً عند زيارة أهل زوجها أن تدخل تمكث قليل في حجرته المغلقة كما هي ، لم يتبدل بها شيء بعد زواجه وحتى مماته ، تتفقد محتوياتها وجدرانها وهي تتلمس حاجياته بأنملها وكأنها تطلب الولوج لرؤيته ، أو تتحسس لتشعر بوجوده حولها ، لم تقو على منع عينيها من سيل الدموع ، بالكاد فعلت محبة ما اعتادت عليه ، كانت خير مثال للشريك المخلص الوفي ، وفي الخارج يمكث الحاج مجدي بجوار التلفاز ، الذي لم يعيره أي اهتمام وهو يداعب صغيريه ويلهو معهما ، ثم أخذهما سوياً بعدما أجهز على أداء صلاة العصر الذي حان وقته منذ قليل ، وقفوا الطفلان بجوار جدهما يقلدانه في أداء الصلاة وبعدما أتمها ، جلس على سجاده يدعو لابنه الفقيد بالرحمة والمغفرة ويحمد الله على العوض الجميل واللفظ الدائم عند مصيبتهم

“ صايمين بقي يا ولاد ولا زي كل سنة.. ههههع؟؟ “...سأل جدهم

“صايمين يا جدو”.... رد الطفلين

“ربنا يبارك فيكوا ويحرسكوا ويخليكوا ليا ولما الجميلة ، عارفين أنا بحسدكوا على ماما الي عمرها ماهتتعوض ، خلوا بالكوا من ماما دايماً ، مش إحنا كبرنا وبقينا رجالة..؟”

اوما الطفلين برأسيهما ثم أكمل الحاج مجدي :

“وبعدين يا عمده انت وعبدالله ، أوعوا تتأخروا على جدو حبيبكم كدة ثاني ، على طول تفكروا ماما إنكوا عايزين تروحو لجدو مجدي وتيته سعاد”

رد التوأم بابتسامة ، وعند حلول وقت المغرب ، جلس الجميع حول سفرة الطعام المتواضعة التي تحوي كل مالد وطاب ، فضلاً عن أكواب الخشاف والعصير بجوار السفرة ، ثم أردف الحاج مجدي قائلاً :

“يلا يا محبة وانت يا عبدالله وكلكوا قولوا معايا دعاء الفطور.. اللهم إني لك صمت ، وعلى رزقك أفطرت ، ذهب الظمأ ، وابتلت العروق ، وثبت الأجر إن شاء الله”

صدر حديث الحاج مجدي لحظة سماع صوت الإذان .

“الله أكبر.....الله أكبر”

(الفصل الحادي عشر)

محبة اشتد عود صغارها ، تتابعهما يدخلان عليها الفيلا ، وهي تجلس في إحدى الاستراحات بين الزروع ، تحتسي كوباً من الشاي بالنعناع ، عائدان من صلاة الجمعة التي اتفقا على أن يحضرها سوياً ، يتناقشان حول أمور قد أثّرت في خطبة الجمعة من قبل الخطيب ، إقتربا باتجاه والدتهما ، التي ألقوا عليها التحية للتو مستكملين حديثهم ، جذب إنتباه محبة كلمة اليهود والنصارى عندما أصغت لحديثهم يتناقشا في أمر شيخ المسجد الذي أثار معنى الآية :

“ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ”

والذي أكد أن المعنى الذي جاء في أكثر التفاسير ، أن المغضوب عليهم هم (اليهود) وأما الضالين هم (المسيحيين) أو النصارى كما يطلق عليهم ، وأن هذه الآيات التي تخص فاتحة المصحف _ سورة الفاتحة _ ، الأمر الذي جعل الاستنكار يتشكل على ملامح وجه محبة ، ويقتضب حاجبها فجأة وهي مستمرة في الإصغاء ، ثم أشار أحدهما بأن تلك القضية قد تم تلقيها أيضاً في كتاب اللغة العربية في نهاية المرحلة الابتدائية ، تأكيداً على كلام الشيخ مما يؤكد صحة تلك التفاسير ، وعلى التقيض مما أخطوا به علماً من والدتهما التي أشادت تفسيراً ليس كمثل تلك التفاسير المصححة على حد قولهم ، الأمر الذي جعل محبة تنساق نحو الإنضمام للحديث القائم بين صبيانها ، بما أشارت إليه في إحدى زوايا النظر لقضية تفاسير القرآن ، لطالما أنه كلام الله في وجهة نظر أبيهم في إحدى البحوث التي ناقشت عقيدة التدين وفلسفتها حين أكد أن الفرد لا بد عليه

بإكتساب المعرفة وتحليل المعلومات من خلال القراءات المتعددة والإطلاع الدائم علي المصادر الموثوقة والمؤرخة حتى يستطيع الفرد أن تكتمل رؤيته للقضية التي يتفحصها , وأن يتناول الأمور من عدة زوايا حتى يكون قادراً على الامام بكافة المعلومات والاستنباطات التي تراوده من وجهة نظره العقلية كي يقوى على الحكم لما يواجهه من تساؤلات ومشكلات ، كانت وجهته الدائمة البحث عن سبيل يعترف بالفضيلة والعرفان , بين الرسائل الإلهية وكتبها المقدسة ، بدلاً من النظر إلى الأخطاء ووضع المقارنات لمعرفة الثمين من الرث .

وإلى أن يصل الفرد بالعقل والاستدلالات عن تصحيح المفهوم عن صورة الإله اللا منتهي الكلي القدرة ، وكيف نتواصل إلى ما يقرب مع القصد الإلهي ، والرسالة البينة لا بد وأن نتفاهم النص الإلهي بقدر الإمكان ، ونحلل النقل على أقل تقدير حتى نؤكد أو نعترف بقول الله تعالى : “ ذلك الكتاب لا ريب فيه “

والتنويه من الخالق عدم التشكيك في كتاب الله ، ولكي نلتزم بهذا النص علينا وضع الريب في أي إنتاج يأتي لتأويلات كتاب الله ، لأن ما يصدر عن الله ليس كما يصدر عن البشر ، ثم أدانت فكرة التصديق على فكرة أو رؤية أو وجهة نظر بشرية تخالف الإنسانية التي تنبع من الفرد ، وتزداد بالتعقل وترسخ بعدم معارضتها مع كتاب الله الذي لا ريب فيه .

تلاقي محبة تساؤلات وفكر أبنائها من خلال وجهة نظر الإسلام ، كإنسان مسلم ذلك

لتبعية فكر لمسلم - فكر زوجها - , وذلك ليس لأنها لم تستطع الحكم أو الرؤية كالمسيحية مؤمنة.. لا.. بل أن دائماً ما تحب أن تقابل المشكلة بحلول من ذات رؤية المصدر لأن تلك الحلول هي الأقرب , وإثارة مشكلة في تفسير آية من آيات الله في القرآن , لا بد وأن تحل المشكلة أولاً من القرآن _ ذات المصدر , يمكنها من وجهة نظر أقرب للصواب منها عن وجهات عديدة .

وعندما سردت على أبنائها تلك الآية , فاتحة الكتاب كما تناولها زوجها أكدت أن فاتحة الكتاب هي عبارة عن دعاء والدعاء يكون من العباد لرب العباد , ولطالما هو كلام الله , فمن الوارد أن يكون قد نزل كوجي هكذا على الرسول (محمد) صل الله عليه وسلم , أو قد تم إلقاء تلك الكلمات على قلب الرسول عن طرق ما يسمي بالملاء الأعلى , تلقيناً للمؤمنين والعباد عن كلام الله , وهو للتضرع والتقرب لله وليس في دعاء الحمد والإمتنان وطلب الرحمة والمغفرة والصراط المستقيم , أن يشمل على عنصرية أو طائفية تخص أقرب الناس , أصحاب الكتب أو أهل الكتاب كما ذكر المولى , حيث لخصت محبة الرؤية الصحيحة لأبيهم , في أن ببساطة أن المؤمنين يصلون أو يدعون الله بالرحمة والغفران والطريق الصحيح للجنة والفوز لا طريق الشيطان , طريق من يغضب الله عليهم أو من يضلون عن سبيله , بمعنى أوضح الوجه الآخر للعملة طريق الطاغوت , طريق الشر , وأن الله إذا أراد إنكار المسيحيين أو اليهود أو حتى كتبهم , ما كان ليقول :

“وقفينا على آثارهم بعيسي ابن مريم مصداً لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى وموعظة للمتقين وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون” ثم يليها بالآية..

.... “ولكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون”

إذا كيف يعترف الإله بالتوراة والأنجيل وأهليهما ، كما يوصي على الحكم بهما وأنها إرادته أن يجعل لكل منا شريعة ومنهج ، وتلك هي إرادته أن لا يجعل البشرية أمة واحدة حتى نحتكم إليه يوم القيامة.. ثم يأتي تفسير بشري يؤكد أن أمته هي الحق وأن المغضوب عليهم هم اليهود والضالين هم المسيحيين..؟ ليس عقلاً بل نقلاً بالفعل دون وعي وإدراك .

ثم أكملت شرحها وأتمته بأكثر من مدونة وبضع كلمات لبعض الرموز البارزة في العالم الإسلامي ، “جلال الدين الرومي وشمسه على حد قوله المتصوف شمس الدين التبريزي الذي أثر بقوة في تكوين وتشكيل مدارك ووعي الرومي” حين قال :

“ربما تكون الأذنان هما القطنتين اللتين تحجبانك عن السمع”
وأيضاً :

“على المرء أن ينفذ إلى قلبه بنور العقل ويرى واقعه لا أن يكون عبداً للنقل”.

الحكمتان يؤكدان على أهمية فلتر أي معلومات على فلتر العقل ، العقل الذي نزل كلام الله عليه – أي الذي يخاطبه الخالق – وأنه كثير من الأحيان تصبح الأذن العضو الأساسي على حجب السمع عندما يحوطها معلومات مغلوطة وافترائية وخصوصا عندما يخضع للنقل .

لقد أنتجت الفلسفة والعقيدة الإسلامية العديد والعديد من الرموز التي تصدر الإسلام بملامحه الحقيقية على مر العصور ، لكنهم بمنأى متعمد عن أصداء العالم بل والمسلمين خاصة ، لأنهم تعدوا عن المؤلف ، وخرجوا عن النص ، وساروا عكس القطيع ، ربما يكون إقصائهم حفاظاً على مصالح سلطوية وسياسية والتي تفيد الدين من وجهة نظرهم ، أو ربما شطح هؤلاء بعيداً عن البشرية وتعالوا فوق تلك الصفة وأبدلوا البشرية بالإنسانية .

“على المرء أن ينفذ إلى قلبه بنور العقل“

أضافت محبة بحسن الحديث وسيرة زوجها التي لم تنساه يوماً ، ثم ذكرت أيضاً حكمة الرومي في البحث قائلة :

“ما تبحث عنه سيبحث عنك“

وبينت آنذاك أن البحث الدائم يعني التعقل الدائم ، والخسران هو أن نبحت في الأمور التافهة والإختلافات ، وأن أعلى قمة في البحث هي البحث عن الله بكل ما تحمل الكلمة من معنى ، ثم مررت لهما وصية قبل أن تعتدل في جلستها ، أن يسيروا في سبيل الخير وأن يرفصوا طريقهم بأيديهم ، وألا يتبعوا السبل الأخرى فتفرق بينهم عن دين الله الحق .

لم يرمش أحداً جفنيه أمام الشرح المطول الذى أفاضت به أمهما ، فضول المعرفة جعلهم يحسنون الإصغاء ، الأمر الذي يؤكد إثارة التساؤلات داخل عقليهما الصغير وقبل أن تستكمل محبة شرحها وحكيها ، طرح عماد تساؤل عن آيتين في القرآن ، أولهما (كفر الذين قالوا أن الله ثالث ثلاثة) ، وأيضاً (الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم) ، ثم يؤكد طرحه باستدلاء أكثر المسلمين نقلاً عن موروثهم عن الكفر لتلك الفئة التي أكدوا بأنهم المسيحيين بكل تأكيد ، الذين يؤمنون بالثالوث المقدس وبتجسيد الإله في جسد المسيح ، ولم ينكر رفعة مكانة المسيح ، لكنه ليس المتجسد وعلى ذلك يصبح كافراً من اعتقد بالوهية المسيح ، ثم ترك عماد المسألة لأمه لتوضحها ، حيث اعتادت على ذلك منذ عهد طفولتهما ونشأة وعيها الذي لا يزال يتشكل .

إنتهت الإذان مرة أخرى عند نطق محبة لأولي كلماتها عن الوضع السامي والرفعة الغير مسبوقة في القرآن عن المسيح ، وعن أمه البتول ، وكيف ناقش القرآن تلك القضية ، ثم عززت توضيحها بعدة تساؤلات عن أهل الكتاب في القرآن وكيف يذكركم الله..؟ وكيف المعاملات معهم دون المنكرين أو الطوائف الأخرى الغير سماوية أو اللادينية ، وأن القرآن أحل في مواضع عدة من الزواج من أهل الكتاب فكيف يحل الزواج منهم ومعاشرتهم ومعاملتهم ثم يذكر حرمة التعدي للزواج من المشركين ، وأن المؤمنة خير

من المشتركة ولو أعجبتكم ، ويحل التسامح والتعايش ، ثم ينعثهم آخرون بالمغضوب عليهم والضالين ، ويتزوج المسلم من كتابية لكنه مأمور بعدم حبها ... يعني نعاملهم ونأكل في بيوتهم زي ما قال ربنا :

“وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم” ،

ثم يأمرنا حديث نبوي ألا نحبهم ، ويقولون أن المعاملة واجبة أما الحب ده شيء ثاني ، وعلى ذلك فإن نقل الحديث ولحقه بكلمة قال رسول الله يزيد المعلومة رسوخاً في عقول المتلقين.. إذا كيف يدعو من أرسله الله رحمة للعالمين بكره أحد ما ، لم يك هذا مقصداً إلهياً قط ، ولا حتى حديث تم نقله عن نبي وصفه القرآن بأنه رحمة للعالمين ، إذ أن الفيلسوف (بـــــــــــــــوذا) الذي أثار على موروثات كهنة الدين ، حتى أضحي أيقونة تعبد أو يعبد فكرة ، الذي يقود لوجود إله للكون ، وأن له تعاليم سمحة تتشابه مع الوصايا العشر لموسى النبي ، والذي هم أصل الكتب السماوية وتقول إحدى حكمه :

“أنه إذا تطلب دينك بكره أحد ما فأنت بحاجة إلى دين جديد“

لم يحدث بأن يوجه الدين البشرية إلى الكراهية أبداً ، لأن رسالة الله لنا أساسها المحبة ، في كل الأديان التي تدعوا رسلها إلى الحب والتسامح والتعايش في ظل الاختلافات ، ثم دقت محبة ، على بعض الأخلاقيات التي تتحلي بها الأمة المسلمة وخاصة في مصر ، على أن كثير من المسلمين تتكون عقيدتهم من الثقافة المصرية ولم يحاول أكثرهم الولوج لنقاط الخلاف التي تفرق بين المرء وزوجه و يحسنون التدبير وصلاح العقيدة وأن المصري إنسان مؤمن بطبيعته ، محب لمن حوله ، متسامح كريم خلوق متعاون ، ولم

يتطرق أكثرهم للقضايا التي تنفر وتنكر الآخرين ، كما يؤمنون بأن الله هو إله العالمين ، وأنه رمز للخير والمحبة ويستطيعون من خلال ثقافتهم أن يفرقوا بين تعاليم الدين ، ومدخلات الشيطان التي تثير الفتنة وتزرع الكراهية بين الناس .

بعد قليل طرح عبدالله قضية أخرى عاصرها داخل الكنيسة مع أخيه ، عندما ذهبنا يتناولان في إحدى الأيام مع جدهم ، وجد القس يتحدث بحذر عن طائفة المسلمين وأتباع النبي (محمد) ، وعلى الرغم من الحب والتسامح الذي نادى به الإنجيل ، وأن يسوع تجسد ليخلص البشرية من خطية آدم الأولى ، وفدى - الحروف - المسيح البشرية جمعاء ، وهذا جائز لأن الرب قادر على كل شيء ، إذا لما ينكر أكثر المسيحيين ، على المسلمين نبينهم ، فقد التف حوله المليارات ، والذي عاش أكثر من ألف وربعمائة عام ولا يزال ، ونوه القس أن قديماً كانوا يعتقدون أن المسلمين طائفة مسيحية لكنها خرجت عن النص ، مثلما فعل نسطور في القرن الثالث الميلادي ، ونعتوه بالمهرطق ، الأمر الذي يؤكد تقارب فكر الإسلام مع المسيحية ، والذي يؤكد أيضاً الاعتراف بالعقيدة ، برغم الإخلال ببعض المعتقدات التي يرونها جوهرية بين الديانتين ، كان القس وقتها على دراية كاملة بتلك المعلومات التي أوردها عن مذهب نسطور الذي يشبه معتقد المسلمين ، وشبه النبي (محمد) بشخص نسطور المهرطق ثم برر معتقده بأنه كيف أن الرب الإله يبعث الرسل واحدا يلي الآخر ، ثم ينتهي بتجسيده للمسيح في أفتومه الثاني ، وجاء ليبشر الناس بالملكوت ، ثم فدى البشرية ومن ثم يأتي ببشر كـ (محمد) رسولاً بشرياً تارة أخرى ، وأن الإيمان يكمن في الإنهاء بالأتيان بذاته في جسد المسيح أو الناسوت..؟!

تتعجب محبة مما يثار أمامها من قضايا عقلية تكبر سن صبيانها ، لكنها تؤمن بقدرة عقل أبنائها الذي نضج مبكراً قبل أوانه ، كما أملت أن تنتقي ما يشكل وعيها ومداركها حتى يصيرا مثلاً لوالدهما وما كان يكنه من الإيمان والمعتقد ، ثم استدرجهم الحديث إلى الوجدانية ، وأن المبحث اللائق الوحيد هو البحث عن قدرة الخالق ووحدانيته ، ثم أكدت عليهما أن يكونا طليقي الفكر والعقل ، وأنه على المرء ألا يضع سقفاً للعقل ويدعه يبحث ويستدل ويناقش حتى يصل للحقيقة ، أو يصل إلى أجوبة ترضي عقله وإيمانه على أقل تقدير .

ثم وجهت مثلاً حياً إليهم و ضربت بالمفاهيم عرض الحائط ، حينما أدلت أنها إذ لربما ولدت ككثير من الناس في أسرة مسلمة ، الأمر يبدو أكثر استحالة في البحث عن الدين الصحيح أو الأصح لطالما عائلتي تؤمن بعقيدة ما وأنا كفرد ورثت تلك العقيدة منها ، إذا أولاً على المرء أن يؤمن أن يكون مصدراً للتفائل والحياة وأن يبت ثقافة الحياة لمن حوله ، والحياة تعني أن يحيا الإنسان بالحب والخير ، ودون ذلك لا تسمى حياة ، ولا يختلف الأمر حتى إذا كنت لعائلة لا تعبد ولا تعتقد في شيء ، لكن المفترض أنني مسلمة لأبوين مسلمين فنحن نعلم أن الله ، الرب ، الإله لم نره وليس كمثله شيء ، إله واحد مثلما تدعي الكتب السماوية من أيام نبي الله (إبراهيم) الذي رفعه الله مكانة عالية سواء في المسيحية أو الإسلام ، بسبب أنه بدأ بالبحث عن الله وليس فقط نبي أو رسول كلف الله ملاكه بالتواصل أو الوحي إليه ، بل تعقل وتفكر وبحث كثيراً حتى وصل للخالق ، وآمن بالتوحيد ، الإيمان الأقرب والأصوب للقلب والعقل ، وتلك هي الوصية

الأولى من الوصايا العشر لنبي الله (موسى) ، مثلما في الإنجيل ومثلما في القرآن ، هنا نتوقف عن ذكر الآية التي أدلت بكفر من قال أن الله ثالث ثلاثة ،

المسيحين يرددون في صلاتهم باسم الأب ...واحد ، والابن ...اثنين ، والروح القدس... ثلاثة ، ثم تتبعهم (إله واحد) ...آمين ، إذا هو إله واحد وليس ثلاثة ، وعندما نتعمق في العقيدة المسيحية للثالوث ، نجد أن الله يتجلي في ثلاثة أقانيم أو ثلاثة تجليات لكنهم ليس ثلاثة أشخاص بل إله واحد.

بالطبع الله قادر على كل شيء.. وهذه إحدى الخلافات القائمة بين الاعتراف بصحة الديانتين ، رغم أنه لا يوجد خلاف ، لكن أصحاب المعتقد والبشر قد ثاروا الخلاف ولم يدع أحدهم أن يترك الآخر ليري الله من منظوره...

.. ثم أكملت موضحة أنه في نظرها حتى إذا وجد خلاف لا أهمية ولا ضرورة له بالمرّة ، لأن الخلق كما ذكر القرآن ، أن مرجعهم إلى الله وأنه سوف ينبئهم فيما كانوا فيه يختلفون ، ثانياً قضية قتل وصلب المسيح ، الذي لا يؤمن به كمسلمة هل تكون القضية موضع خلاف قائم بين الفريقين ، رغم تلاقي الغاية في كلامهما ، ففي الإسلام يقال أن المسيح ابن مريم لم يقتل ولم يصلب ولكن تشابه الأمر على الناس ، ثم رفعه الله إليه ومازال حياً حتى الآن ، وفي الجهة الأخرى في المسيحية تؤكد على قتل وصلب المسيح لأنها سر العقيدة المسيحية في الصلب والصليب المقدس والفداء ، ثم بعد ذلك نحتفل بعيد قيامته بعد الموت حتى الآن وتبقي الغاية كما هي ، وهي القيامة أو كما يقول المسلمون رفعه الله إليه ، وقيامته ومجاورته للرب وأنه لا يزال موجوداً باللاهوت والناسوت أيضاً الذي هلك على الصليب المقدس .

إذا أين الخلاف....؟ لم يدرك المرء بزوغ روح الطائفة داخله وعنصرية الإنتماء التي لم يك هناك سبيل لإختيارها ، بل كل منا يورث معتقده ، ثم يبحث في خطأ معتقد الآخر ليثبت لنفسه استقامة وصحة سبيله ، ولم نتحل يوماً بإمكانية الفهم بعدم ضرورة خطأ الآخرين حتى يثبت لنا صحة ما نؤمن به،

فالكثير منا يتفهم الأمر، والأكثر لم يعرف ليتفهم ، يري الصواب من وجهة نظره فقط وأن المخالفون له على نحو آخر دون الصواب.

ثم أشادت محبة على شيء في غاية الأهمية ، ألا وهو الحزبية والطائفية وما فعلته، تعتمد محبة في لقاءاتها مع أبنائها بنبذ روح المذهبية أو العنصرية داخلهما ، حيث بينت تلك المرة أهمية نزوح المرء لروح عقيدته ، وأن الأولى من المذاهب العديدة سواء في الدين المسيحي أو الإسلامي والفرق التي تعددت من الكاثوليك والبروتستانت و الأرثوذكس والسنة والشيعة والعلوية و , أن يؤمن المرء بوحدانية المذهب , وعدم نمو روح الطائفية بين أبناء الدين الواحد ، وأن تصنيف الفرد مسلماً أو مسيحياً أو يهودياً أولى من تلك الأمور التي تفرق بين حتى أبناء الدين الواحد ولا سبيل إليهم ، كما أكدت على أن التسييس الذي أصاب الدين هو من فرق بالناس السبل .

ذكرت محبة إحدى عبارات زوجها حين قال:

“ أعبد ما شئت وكن معي إنساناً كما وجدتي ”

وكيف إنها تنادي بحرية المعتقد ونبذ العنصرية , وأن هناك من ينادي بالطائفية داخل الدين الواحد .

طال الحديث المثير بين محبة وولديها , وكان روح أبيهم تحف المكان حولهم , حين ذكرت إحدى المناقشات التي دارت بينهما عن من سيفوز بالخلود في الملكوت أو الجنة مع الله ...؟ حيث اقتصر رد زوجها على كلمات لخصت حل الإشكال القائم بأن

“ خالق الجنة والنار هو الوحيد الذي بيده أمر دخولهما , فابحث عنه فهو أرحم الراحمين “
ورغم الاختلافات والرؤية بين الملكوت في المسيحية والجنة في الإسلام , إلا أنهم تلاقوا في أنها فوز الأبدية والخلود في كنف الله ولذته رؤيته وجواره.

سحقها رد عبدالله على سؤال عماد الذي أثير أمامه عن الجنة في الإسلام وملذاتها وأنها تمتلئ بما تشتهي الأنفس من مناظر خلابة وقصور وخمور وحوار عین أي نساء الجنة كما ذكر أحد الشيوخ في جلسته , ثم ثار التساؤل كيف يحرم الله الخمر ثم نفوز بها في النهاية ؟! , وكيف يعدنا الله باللهو بالنساء ومضاجعتهم في الجنة رغم أنه حلل زوجة واحدة في الدنيا...؟ , ثم استطرد بأن كثيرًا من المسيحيين وحتى رجال الدين منهم يأخذون تلك النقطة على الإسلام وملذات الفوز بالجنة , رغم أن ملكوت السماء في المسيحية التي تقابل الجنة في الإسلام هي مكانة روحية أكثر منها حسية , وأن من سيفوز بالملكوت سيخلد كالملائكة وسيظل يتعبد بجوار الرب وليس هناك أنهار وفاكهة وخمور وما إلى ذلك .

فكان رد عبدالله أكثر فطنة وذكاء لأنه كمسيحي عندما سمع كلمات أخيه رد بتساؤل عن عدم الالتفات لتلك التساؤلات , وجعلها كما هي في علم الخالق , لأنه إذا أخذ الكهنوت المسيحي مأخذ عن وصف الجنة في الإسلام بأنها

> حسية وليست روحية < كما يعتقد المسيحيون ، سيأخذ المسلمين مأخذ عن روحية الجنة أو الملكوت عند المسيحيين رغم أن عقاب النار في المسيحية أمراً حسيّاً كما في الإسلام ، فكيف يكون هذا.... ؟

تخبطت الأفكار داخل عقل محبة بإقحام عبد الله رغم مسيحيته ، إلا أنه يتحسس طريق أبيه في فكره وفلسفته ، وأن ما أثاره من منطق يبرز التساؤل بالفعل كيف يكون الفوز بالملكوت بخلود الروح كالملائكة حول الخالق ، ثم أن العذاب يكون بالنار والجحيم ، فأحدهم روحي والثاني حسي ، الأمر الذي أقنع أخيه انه أكد كلام والده في أن الملكوت أو الجنة أو تلك الحياة برمتها في علم الله ، لم يمنع التفكير بها ، لكن علينا ترك القضية للخالق وعبادته حباً ، ليس طمعاً بدخول الجنة أو خوفاً من النار .

سرقهم الوقت بالحديث ، حتى حان موعد الغداء ، دخل الصبيين وبينهما والدتهما التي تشعر بالسعادة كلما ترى ولديها يكران أمام عينيها ، والتي تتابع نشأتهما أول بأول ، وتزداد فرحاً عندما ترى ولديها يسيران بجانبها وقد إقتربت بنيتهم حتى كتفيها ، فترى فيهما زهرتين تعمل على عنايتهما حتى يطولا ويترعرا ، فهي تؤمن بجودة طينتهما ، لكنها تحاذر على نوعية المياه التي تسقي بها زرعتهما ، حتى تجعلهما مثلما تمنى زوجها ، فكانت بالفعل خير من حمل الأمانة ، وخير من أوصلها بعدل وحكمة ، حقاً كانت خير أم....

_التف الجميع حول المائدة كالعادة ، في انتظار اكتمال سفرة الطعام ، ما أجملها وما أرقاها , إلترام العائلة على الجمع على مأدبة الطعام ولو لمرة واحدة في اليوم ، كما إعتادت عائلة نخيلة , منذ وعي محبة وهي ترى وتلتزم بموعد الغداء الذي وضع فرمانه رب الأسرة أشرف نخيلة كما رياه والده على بزوغ الروح الإجتماعية للأسرة ونزوح الترابط الأسري بينهم .

(الفصل الثاني عشر)

حفل تكريم , يقام من أجل الترقية التي حصل عليها فيكتور, بعض زملائه وأصدقاءه المقربين في إحدى الفيلات التي إعتادوا التجمع فيها في أوقات الفراغ, روائح العطور تتخلل نسمات الهواء تداعب مياه المسبح الذي يتوسط ساحة الفيلا , تتلأل زجاجات الويسكي المستوردة على البار الذي يتجنب المشهد , وكؤوس عديدة تتراس على مشارف البار لمن يريد الشراب , صوت صخب الموسيقى يملأ الأجواء , الرقص سمة الحضور الذي لا يمانع وجود بعض الفتيات ضمن (الشلة) على الساحة لترطيب الأجواء .

لم يمر الكثير عندما أقصى فيكتور نفسه بعيداً عن الأضواء , والمدعوين يلهون ويمرحون وسط صخب الحفلة وأجوائها , العديد منهم وصل إلى أماكن ما فوق السحاب بعد تناول مالد وطاب من أنواع الفودكا والويسكي المترامية زجاجاتها على بار الحفل , الأمر الذي جعل كل منهم يغني على ليلاه غير منتبهاً سوى لذاته وما يفعله , يحاولون أن يفقدوا أنفسهم الوعي استغلالاً ليوم الحفل القائم .

_ اتجه فيكتور مترنحاً نحو أحد الأبواب المتراسة في طريقة طويلة ممتدة , قاصداً ذلك الباب , وبخفه مال بأذنيه يتنصت , رسمت إبتسامة شريرة على وجهه وهو يهز خاصرته , الثقل يصيب جفنيه , حتى أنه لم يقو على فتح عينيه من نهم الشرب , ممسكاً بيده مقبض الباب , يحركه ببطء , ضوء خافت ينبعث من تلك الغرفة بعد فتحها , أجبره على انبعاث نظرة ثابتة لعدم وضوح محتويات الغرفة جيداً وهو يهمهم :

“بيبي.. انتي فين يا قلبي، وحشتيني مووووت“

تبدو الغرفة أنها ليست شاسعة المساحة ، سرير ضخم في المنتصف ، يغلفه شبكة بيضاء كالضباب ، يتفقد فيكتور الغرفة بعينه ، حتى تبين له وجود أحد ما ينتظره داخل ضباب السرير.

يظهر جسد لامرأة ، تجلس متربعة ، ظهرها مواجه لباب الغرفة ، يظهر عارياً بالكامل دون حامل ثدييها حتى ، فقد ألقت به جانباً منذ قليل ، يصدر صوت في أرجاء الغرفة يميل إلى إصطناع الأنوثة ، ينادي على فيكتور وكأن النداهة تنادي على فريستها ، يتضح صوت المرأة التي ترتب داخل حدود الستارة الضبابية والتي يظهر شعرها مترامياً على كتفيها ، وهي تداعب خصلاته المسدلة ، لم يكذب فيكتور خيراً ، عندما أجهز على الإنقضاض ، بعد غلق الباب بالمزلاج ثم حاول أن يتحسس حتى أغلق النور الخافت الذي ينبعث في الغرفة وهو يهمس مترنحاً :

“جايلك يا زناقي ،،، جايلك يا زناطي“

يتجول ضيف شرف الحفل السيد عمر نصر باحثاً ، الذي دعاه فيكتور لقضاء بعض الوقت ، تقديرًا لمسه ، خصوصاً بعد اندماج العلاقة بين عمر نصر وعائلة فيكتور ، لم يهتم عمر نصر لشر الخمر ، مالم يمنع تناول القليل من الجعة ، الأمر الذي جعل الدوار ينتاب نصر وهو مستمر بالبحث عن فيكتور ، هاتفه مغلق ، وعندما عزم على المغادرة وعند باب الفيلا ، وجد فيكتور يتحدث إلى أحد الأفراد يرتكن على سيارة فارمه ، وفي

انساف نرینا

أحمد عماد

ييده بندقية آلية ، ويبدو أنه يعرضها على فيكتور ، الذي تفاجأ بوجود عمر نصر بجواره حين أردف :

“ علی فین یا معالی الباشا..؟ مابدری ”

هنا (عمر نصر) تلميذه على ترقيته مرة أخرى وهو يبادر بالمغادرة , ينظر لقطعة السلاح بيد (فيكتور) معاتباً بانتسامة :

“لو مكنتش أعرف إنك بتحب المقتنيات وإنك ظابط شرطة ، كنت قولت إنك تاجر سلاح يا فقري“

علت ضحكات فيكتور الذي لا يزال ثملاً :

"لا سيادتك ، دي مرخصة وبورقها ، مليش في تجارة السلاح هههههههههههه"

أشار عمر نصر لـ فيكتور مغادراً ، بعدها ربت فيكتور على كتف ضيفه ، وهو يتابع إحدى السيارات التي تستقلها سيدة لم تظهر ملامحها أيضاً من بعيد ، وهي تتباعد ، على ما يبدو أنها ذات المرأة التي كانت تلازمه الفراش منذ قليل ، إطمئن فيكتور على إبتعادهما وهو يمشي نحو أذن ضيفه الذي توجه على الفور نحو سيارته الفارهة مغادراً هو الآخر ، ينظر لقطعة السلاح التي بيده متأملاً إيها ، شد أجزائها على حين غرة مباغتاً :

“الله عليك يا شعبولا، بصراحة تستاهل”

ثم قبل فيكتور ماسورة البندقية سارحاً بخياله بعيداً.

.....

__ “اتنين لمونادا إذا سمحت“

هتف مايكل لنادل الكازينو ، وهو يرجع بناظره نحو سارة التي تجلس أمامه ، ورغم عدم قابلية سارة لشخصية مايكل منذ أن كان يحوم حول محبة فترة الجامعة ، باتت تشمئذ من كينونته ، دائماً ما كانت تصفه بأنه ثقيل الدم ، أبخر الحديث ، عديم الإحساس ، وفجأة تغيرت نظرتها له مؤخراً وكأنها أعجبت به ، بعدما حول وجهته عن محبة بالطبع ، وما كان يميزه من وجهة نظر سارة أنه ابن عم صديقتها ، وإنها شعرت حينما اقربت المسافات في الفترة الأخيرة بأنه شخص طيب ، ساذج إلى أبعد الحدود .

تناول كأس العصير في جو يحفه الرومانسية ، ثم مد مايكل يده ممسكاً بيد سارة التي سحبت يدها على استحياء ، عندما لاحظت متابعة النادل لهما ، أشار مايكل للنادل ، بعدما ترك مبلغاً من المال على سطح الطاولة

.....

__ لما وصلت محبة للطاولة التي إعتادت مصاحبة سارة ، وجدتها في إنتظارها ، سلمت ثم جلست وهي تشير للنادل بإحضار فنجانين من القهوة ، والإرهاق يبدو على وجهها ، وبعد التحية ، وجهت سارة مسار الحوار ، عندما سألت محبة عن أخبار مشروع الدكتوراة

التي أخذت فيه خطوات جيدة ، وعن أحوال د. أشرف الذي قل تردده على الصيدليات مؤخراً ، وعن صحته.

ضيق محبة حدقتها وهي تتسائل :

“ بابا بخير والحمد لله ، لكنه مقضيها سفر هو وماما اليومين دول ويبستجموا شوية و لكن فكرتيني بحاجة مهمة جداً يا سارة ” :

“أكملت محبة حديثها عن حاجتها لشخص متخصص في تصميم المواقع والبرمجة ، وإشترطت أن يكون ذو خبرة وأن يكون أميناً لأبعد الحدود ، وأنه ستطول مدة عمله معها للتصميم وتنفيذ مشروع ما ، لم تفصح به لأحد حتى حينه.

الأمر الذي جعل سارة تسأل :

“ الموضوع ليه علاقة بمشروع بحثك..؟”

ردت محبة عليها إيجاباً ، هذا المبرمج سيساعدها كثيراً في إتمام ما عمدت على إنجازه في أقرب وقت ممكن ، التزمت سارة معها بأ تترك موضوع المصمم لها وأنها ستحضره في خلال أيام ، فهي على علاقة بالعديد من المتخصصين في مجال الإنترنت والبرمجة ، وأنها تضع عينها على أحدهم ، يعرف عنه الخبرة والإنجاز ، حيث أنه لديه العديد من الانجازات في العديد من شركات البرمجة ، كما أنه اشتهر بعمل العديد من برامج المضادة للفيروسات والهاكرز ، شكرت محبة صديقتها بامتنان ، قبل أن يستعدان للرحيل .

.....

_فزعت محبة من رنة الهاتف التي دوت في أرجاء البيت في وقت متأخر بعد منتصف الليل ، وإذا بـ صوت سارة يأتيها منهاراً من شدة البكاء ، تغيير وجه محبة الذي يغشاها النعاس حينما سمعت سارة تشكي لها خلافاً قائماً مع عائلتها ، لم تتوقف عن النحيب ، أبلغتها محبة أن تحضر بعدما هدأت من روعها بعد صدمة رنين الهاتف التي أزعجتها ، وهي تمسح بوجهها وعينيها التي تستلهم النعاس ، وضعت سماعة الهاتف اتجهت نحو التلاجة ، صبت القليل من الماء البارد في كأس يرتكن على إحدى الرفوف ، وهي تتوجه لحجرة الاستقلال _ صالون الفيلا _ وفي يدها كأس الماء التي أخذت تتناوله رشفه بعد الأخرى لتبلل حلقها الذي جف من فزعة رنين الهاتف في منتصف الليل .

....تقاوم محبة نعاسها على أحد مقاعد الصالون ، يتثاقل جفניה وهي تحاول فتحهما بصعوبة ، حتى سقطت رأسها على صدرها ، ثم فزعت مرة أخرى عندما سقط الكوب من يدها منكسراً على أرضية الصالون وهي تضع رسغها على طرف المقعد والآخر يسند خدها ، لم تلق بالاً للكوب المهشم على الأرض ، غاصت في النوم مرة أخرى ، وهي تستند لظهر المقعد ، هبت محبة وهي تجر قدميها بتثاقل نحو الباب في وضع ثمل ، رأت سارة والشحوب الذي بدا على وجهها ، عينيها المتورمتين ، جذبتها بين ذراعيها ، تخفف عنها ببعض الكلمات ، ثم أشارت لها أن تتجه للغرفة ذاتها التي إعتادا أن يبيتا بها سويا منذ أيام الجامعة ، وأن لا تفكر إلا في النوم الآن حتى يحين الصباح ومن ثم ينظرا في الأمر ، دخلت سارة نحو السرير المقابل لسرير محبة لتخلد في النوم ، لكن هناك ما يؤرقها

ويقلق منامها ، فقد وجدت صعوبة بالغة إلى أن غالبها النعاس ، وأما عن محبة التي ارتمت فور وصولها لسريرتها تغوص في نوم هادئ عميق .

.....

زقزقة الطيور تغزو فتحات النوافذ ، وأشعة الشمس تتسلل وتخرق بعض المواضع داخل الغرفة ، مما أجبر محبة على الاستيقاظ ، وعندما وارتب جفنيها ، وهي تتحسس بنظرها الغرفة وجدت سارة مستلقية على ظهرها تغرق في النوم ، أخذت حماماً ، رجعت غرفتها ، وجدت سارة قد استيقظت وهي تتمتم :

“ صباح الخير ”

جلس الإثنان على مائدة الإفطار ، بعدما أمرت محبة بتجهيزه ، سلمت سارة على عماد وعبدالله اللذان جلسا في انتظار جدتهما لتناول الفطور ، أخذهما الحديث مع سارة عن أحوال المذاكرة والمدرسة ، قبل نزول فيكتور قاصداً مائدة الطعام وهو يلقي تحية الصباح على الحضور دون أن يكثرث لأحد ، وبصمت اعتدل على مقعد السفرة مما جعل محبة تنظر له باستعجاب معاتبه :

“ مش تسلم على سارة يا حضرة الظابط ”

“ آه.. سارة أهلاً ”

...دون اهتمام

“مش مايكل ابن عمك اتقدم لـ سارة وهي وافقت” ... تفوهت محبة

“طب كويس ، بالتوفيق مايكل شاب جميل و سارة تستاهل كل خير ، عملتوا جينيويت ولا لسة..؟؟” ... سأل ساخراً

سخافة السؤال جعلت سارة لم ترد إلا أن لحقتها محبة :

“قريب إن شاء الله يا فيكتور.. ده لسه كلام , بس وأنا قولت اخد رأيك”

تقدم أشرف نحو المائدة وبجواره ليل ، يلقيان التحية على الحضور ، فيكتور لم يكف عن تناول الإفطار بنهم ، حتى إنه لم يستطع أن يرد تحية أبيه ، رد عماد وعبدالله التحية لجدتهما وجدتهما ، وبعد البدء في تناول الفطور كان فيكتور قد انتهى ، معتذراً عن مغادرته تَوَّماً مبرراً أن لديه كماً هائلاً من الأعمال التي عليه إنجازها وهو يتسم لـ سارة قائلاً :

“مبروك يا سارة مرة ثانية.. بعد إذنكم”

لفتت مباركة فيكتور لـ سارة إنتباه الجالسين ، وكأن عيونهم تسأل لمباركة فيكتور ، محبة لاحظت الأمر ، فأوضحت بأن مايكل يحاول تلك الأيام التقرب لـ سارة ، وقد لمح لها كثيراً بالإرتباط ، لكن وحتى الآن لم يحدث شيئاً ، وأن سارة مازالت تفكر ملياً في الأمر قبل إتخاذ أية خطوة .

تدخل أشرف في الحديث عن مايكل ورحب كثيراً بالموضوع ، وحاول أن يرشد سارة برأيه ويوجهها نحو ضرورة الزواج وإقامة أسرة وأطفال ، وأهمية الرجل في حياة المرأة ، عاونته على ذلك زوجته التي تجاربه نفس النمط وأهمية وجود الرجل في حياة المرأة ، لكنها على ما يبدو تفكر لأبعد من ذلك ، فهي تلقي بالكلام محاولة منها ليس فقط بإقناع سارة ، بل أيضاً تلمح بكلمات نحو ابنتها التي جف حلقها حول موضوع إرتباطها ، الامر الذي لم يلق قبولاً بالمرّة في حياة محبة ، التي كرثتها لتربية أبنائها ، والعمل أيضاً للوصول لهدفها العلمي الذي لطالما كانت تطمح إليه.

شعر أشرف بوخز في صدره ، وصعوبة في التنفس ، لم تكن تلك الأعراض الأولى من نوعها ، إنما تكرار تلك الأعراض مرة بعد مرة تجعل حالته أكثر سوءاً ، كانت محبة أول من لاحظت تغيير وجه والدها أثناء حديثه ، والمعاناة التي تراها أثناء تنفسه ، حتى إنتفضت وهي تقرر طلب إحضار الطبيب فوراً ، أو الذهاب للمشفى للإطمئنان على صحته .

.....

_العرق يتصبب من وجهها ، داخل معملها وهي منهمكة في عمل التجارب والأبحاث ، دائماً تميل أن تكون منفردة أثناء فترة عملها بالمعمل ، خصوصاً تلك الفترة التي عمدت فيها ألا تترك مشروعها حتى تنتهي في أقرب وقت ، تجرب وتفشل وتعاود المحاولة وتفشل ، تسجل ملحوظاتها ، تتحرك يميناً يساراً ، الأوراق تتناثر ، والمواد تتراكم حولها ، والعقاقير تملأ أنابيب الاختبارات.

_ ظل الحال كما هو لشهور , ولم يصيبها اليأس أو الملل , وضعت هدفها نصب عينها ولم تتخل عنه , تسير نحوه بخطى ثابتة , لم تجعل محاولاتها التي تفشل مرة بعد مرة أن تقف حجر عثره في طريقها , الأمل دائماً يحوطها , الإيمان والصبر خير رفيق في رحلتها .

_ دق باب المعمل الذي كسر حاجز تركيزها على الفور، عندما فتحت وجدت صديقتها وبجانها شاباً في ثلاثينات العمر ينظر لها مبتسماً ، في حين تنظر هي لصديقتها في تساؤل قبل أن ترحب بضيوفها وتدعوها للدخول ، استقر الاثنان على المقعدين اليتيمين داخل المعمل ، ومحبة تركن بإحدى فخذها على طرف المكتب القائم بجوار المقعدين ، حتى بادرتهم سارة بالحديث ، عرفت الضيف على محبة الذي لم يكتمل سعيها في التعريف حتى نطق الشاب :

“ الدكتوراة محبة نخيلة , طبعاً غنية عن التعريف و بنت الدكتور الكبير أشرف نخيلة , صاحب أكبر صيدليات في إسكندرية وفي مصر كلها.. تشرفنا يا دكتور.. مبسوط إني قابلتك ”

أكملت سارة :

“الباشمهندس (جلال الزيني) ، مهندس كمبيوتر قسم برمجة ، حاصل على العديد من كرسات البرمجة من الجامعة الأمريكية ، عمل في كبرى شركات تصميم المواقع والهاكرز في أوروبا ، وحالياً معاه شركة برمجة في مدينة نصر ، لكنه من إسكندرية ومقيم فيها“

رحبت محبة بضيفها وهي تشير لصديقتها بامتنان ، تعرض على ضيفها تناول فنجاناً من القهوة ، لم يمانع الضيف باحتساء فنجاناً ، ثم زاد عليها بإحضار كوباً من الماء ، لأنه يموت عطشاً على حد قوله.

_ غادرت سارة ومعها جلال بعدما بينت له محبة طبيعة العمل والسرية التامة والأمانة ، نوهت بأنها تعمل على إتمام مشروع في غاية الخطورة ، ولم يك مناسباً إذا إشتم أحد خبر عن ذلك البحث ، الأمر الذي جعل جلال متشوقاً لمعرفة ماهية بحثها ، كما وعدها بأن للعمل أسرار ، وأنه في خدمتها طوال مدة البحث ، ولم يدقق معها في أي مقابل مادي ، فذكر أنه شرف كبير أنه يعمل مع شخص مثل محبة ويؤمن أنها تعمل على إتمام شيء يفيد البشرية ، الأمر الذي لا بد أن يعطي له أكثر مما ينتظر منه مقابلًا ، إتفقا على بداية العمل ، ستعقد محبة أول إجتماعاً بينهما لإيضاح ما سيفعلانه في أقرب وقت ممكن .

_ عاودت محبة تركيزها في عملها مرة أخرى ، تذكرت بأن تطمئن على والدها ، بعدما أكد الطبيب منذ أيام أنه بحاجة إلى الراحة الدائمة ، وكتب له عقاقير مهدئة تساعده على النوم بهدوء ، شخص الطبيب حالته بأنها نتيجة أرق النوم والإجهاد مما يؤثر على حالته النفسية

، أما أن أشرف لم يعاني من أي أمراض عضوية قد تؤثر عليه ، إلا الأنيميا الحادة التي تصيبه باستمرار والتي تؤدي به للإجهاد ، واضطراب في التنفس وشحوب ، وأنها من الممكن أن تؤدي به في أقصى حالتها للإغماء ، وقد أكد الطبيب على إنتظام الأكل النوم كما أضاف بعض الفيتامينات والحديد التي تساعد على محو تلك الأنيميا.

(الفصل الثالث عشر)

“ قصدك إيه.....؟ دي معلومات خطيرة يابنتي “

أخرجت محبة وريقات من درج المكتب , ناولتها لوالدها الذي أدهشته تلك المعلومات , إلا أنه طلب منها قراءتها إملائها عليه ومناقشتها , لأن نظارته الطبية لم تك معه حينها , بدأت محبة بالقراءة :::

“ الطرق العلمية والأساليب الطبية للإحتفاظ بالمعلومات في الدماغ لاتزال مبهمة وغير واضحة بشكل كلي , لكن إذا قمنا بتحديد الطرق التي توصل إليها العلم حالياً والمعروفة , أن المحفز الخارجي يجمع المعلومات , ثم يتم ولادة النبضات الكهربائية بين فجوات الخلايا , التي تعرف بإطلاق ((الخلايا العصبية الناقلة)) والتي تقوم بدورها بحمل المعلومات على شكل ذبذبات أو نبضات كهربائية , ثم تؤدي باتصال خلايا الدماغ بعضها ببعض , لكن تلك الصلة تتغير باستمرار وليست ثابتة , ومن ثم تصل تلك النبضات للدماغ , فيتم ترتيب المعلومات وتخزينها , ولكن التعقيد في التركيب من الدماغ البشرية يجعل الوصول لتلك النتائج صعباً ودقيقاً للغاية , بحيث تقترب عدد الخلايا العصبية في الدماغ البشري إلى نحو مليار خلية عصبية وكل خلية صلات متعددة مع الخلايا الأخرى تصل إلى ألف صلة , مما يسفر عن وجود أكثر من تريليون صلة بين تلك الخلايا , الأمر الذي يدل على عملاقة حجم تخزين المعلومات .

وضعت محبة الملف جانبا , وهي تضغط على غلاية الماء لعمل كوبين من الشاي وأبيها يتابعها بصمت وذهول ثم إلتقطت الوريقات ثانية وأكملت :

“كما نرى أن السيترونين والدوبامين والأدرينالين وأيضاً النورأدرينالين والتي يعتبر من أهم النواقل العصبية في الدماغ ، ومع ذلك تعتبر من أهم الهرمونات التي تعمل على إعتدال المزاج ، وتقليل الإضطرابات واستقرار الحالة النفسية للفرد ، فهي تسمي بهرمونات السعادة ، وإذا حدث أي خلل في فرز تلك الهرمونات من الممكن أن تؤدي بالشخص لأمراض نفسية غير مرغوب فيها ، كما أنها من الممكن أيضاً أن تقضي على حياة الشخص المصاب في أبعد الحدود ، لأن الأمراض النفسية أخطر بمراحل من أي أمراض عضوية ، بل إنها أحياناً تكون أحد الأسباب التي تصيب الشخص وتترك أثراً أو إصابة عضوية يستحيل علاجها ، والجدير بالذكر أن التركيبة المعنية والتي تحتوي على محفزات جيدة لتلك الهرمونات ، تحتوي أيضاً على محفز لهرمون

((الأندروفين)) ، والذي يعتبر أقوى المسكنات الطبيعية على الإطلاق والتي يفرزها جسم الإنسان بطريقة طبيعية أثناء الألم والتي تمنح أيضاً شعوراً بالراحة والسعادة ، بالإضافة إلى غنى تلك التركيبة بذات المواد المذكورة سالفاً ، أي أنها تغذي وتحفز في ذات الوقت ، وبإندماج تلك التركيبة وتحويلها بعلم النانو إلى عقار يمكن حقنه للإنسان والعمل به على الصعيد الدولي ، كان من الممكن تعدي النتائج إلى أكثر مما نتوقع ، وبعد وضع العقار شبه مكتملاً على جهاز التحليل الطيفي وتحليل مكوناته والمواد والفيتامينات التي يحتوي عليها ، وبعد البحث والتدوين والإمكانيات التي حولنا قدر الإمكان أن تعطي النتائج المرغوب فيها ، توصلت إلى إضافة بعض المكونات التي تجعل العقار وبعد حقنه يعمل بنشاط زائد عن النواقل العصبية البشرية بمئات المرات ، وأصبح يمتلك قدرة عظيمة يندر وجودها في علوم الطب البشري حالياً ، وهي عند حقن

العقار المباشر عن طريق الوريد ، يتم تفاعل لحظي بسرعة غير طبيعية إلا أنه قاوم
الـ

(BLOOD BRAIN BARRIER) وتعدي هذا الحاجز الدموي الدماغي بطريقة غير مسبقة ، ومن ثم يقوم العقار وبعد تعدي الحاجز الدموي الدماغي خاصة (BBB) ، فتنحول بعض أجزائه إلى نبضات كهربائية تزيد المخ بجميع عصبونات وخلاياه بالنشاط الزائد ، ليس كهرباء زائدة تضر بخلايا المخ ، بل نبضات كهربائية منتظمة تزيد نشاطاً هائلاً غير ذي ضرر.

مثال على التجربة... عند بناء الذاكرة في أي دماغ بشري عادي ، تتوقف العملية على تكرار المعلومات ، لأن التخزين كما قدره العلماء يحتاج إلى ثمانية وأربعين ساعة حتى ينتقل من الـ Short Memory _ الذاكرة القصيرة _ إلى الـ Long Memory _ الذاكرة الطويلة _ ، كما أن عملية النوم تساعد على تكوين الذاكرة بطريقة أسرع ، لأن الدماغ يتزايد نشاطه أثناء النوم .

ف تكرار تلك المعلومات للدماغ يعمل على توسيع الطرق والمسارات بين العصبونات ، ولا يعني التكرار أي تراكم المعلومات في الدماغ ، لأن تراكم المعلومات يأتي بنتائج عكسية تماماً وتؤدي لفقد المعلومات بسهولة بسرعة ، لأنه يعتبر تخزيناً سيئاً ، فإذا مثلنا الدماغ أو منطة التخزين التي تقوم بتخزين المعلومة الحديثة فوق المعلومة التي سبقتها ، إذن بالتالي تسهل عليه نسيان المعلومات القديمة التي تتراكم عليها المعلومات الأحدث .

ـرشف أشرف رشفة من كوب الشاي الذي ناولته إياه ابنته ، وهي تقلب كوبها وتضع الملعقة جانباً ثم نظرت مرة أخرى في بحثها مستكملة :

“وقفنا عند تخزين المعلومات... آه“

“كما أن المعرفة المسبقة بالمعلومة ، كمعني آخر لتكرارها ، أي عندما تحدث شخصاً بمعلومة يعرف عنها مسبقاً ، فإنها بذلك تخزن تخزيناً سليماً وجيداً أيضاً ويكون استرجاعها في غاية السهولة .

والأن يأتي عمل محفز هرمون الدوبامين ، الذي له دوراً هاماً ورئيسياً في عملية تسجيل المعلومات ، لأنه كما ذكرنا يعتبر ناقلاً أو مادة ناقلة ، بحيث يعمل إفرازه بنشاط الغدة النخامية المسئولة على إفراز الهرمون ، والتي تكون أعلى في أعلى مراحل حيويتها ونشاطها بعد التحفيز بالعقار فيساعد بذلك على تثبيت المعلومة واستحالة محوها .

“عقلي عمال يفرز الدوبامين ، لأني في غاية السعادة ، وحاسس إنك بإذن الله هتكوني حاجة مؤثرة جداً في المجتمع ، لأنك بصراحة فخر وشرف لأي أب يتمني يكون عنده بنت زيك ، أنا فعلاً فخور بيكي ، وربنا يوفقك دائماً يا محبة القلب ويا نور عين بابا“

قالها أشرف وعينيه يحويها دمع السعادة والفرح معاً .

“ربنا يديك الصحة والعافية ويديمك علينا نعمة ، ده أنت الأب اللي أي بنت تتمناه، يا قمر انت “.....غازلته محبة ضاحكة

واستكمالاً لقراءة مدونتها عن البحث

“الصفة التي بالفعل تعتبر إكتشافاً ، هي تلك السرعة التي يتعدى بها هذا العقار للحاجز الدموي الدماغي _BBB_ ، والتي تعتبر سرعة غير طبيعية والتي تثير نشاطاً هائلاً في جميع الخلايا داخل الدماغ ، والتي منها خلايا الذاكرة بالطبع ، كما تجعل عملية بناء الذاكرة أسرع وأتقى ما يعادل آلاف المرات عن بناء الذاكرة العادي ، بحيث كما ذكرنا في المثال ، إنه إذا كان إحتياج الإنسان العادي إلى ثمانية وأربعون ساعة لتحويل المعلومات من الذاكرة القصيرة إلى الذاكرة الطويلة لإتمام عملية التخزين ، فإنه بمساعدة هذا العقار يمكن للعقل أن يقوم بهذه العملية في أقل من جزء من الثانية ، حيث تتراكم كمية هائلة من المعلومات بطريقة جيدة ومنظمة ، والملاحظة التي لا بد وأن تذكر أن هذا النشاط لم يكن له أي تأثير سلبي على تركيز العقل بل على النقيض تماماً تزيد قدرة تركيز الشخص بمئات مئات المرات والقدرة الاستيعابية أيضاً على الإحتفاظ بالمعلومات .

“أما الجزء الأهم في هذا البحث يا دكتور بابا“

نظمت محبة تلك الكلمات وهي ترشف رشفة أخرى قبل أن تضع كوبها على الطاولة ، وهي تدقق على أهمية مايلي من الاستنتاجات :

“لاحظنا العديد من المسارات بين المواد المكونة لتلك التركيبة خاصتنا ، تتراص تلك المسارات بين الجزئيات بطريقة متقاطعة وبين تقاطعات المسارات أي الفواصل الناتجة عن تقاطعات المسارات التي تظهر تحت المجهر ، والتي تستطيع بدورها أن تحدث تغييراً

جذرياً في مسار البشرية وعلوم الطب ذاتها ، لكنني حتى تلك الخطوة قد توقفتنا قليلاً للعمل على تطوير وتحسين تلك المسارات وفواصلها ، وسيكون لديها القدرة على حمل ونقل أية معلومات أو بيانات خارجية تضاف للعقار، بمعنى أن يكون العقار قادراً أو لديه الإمكانية لحمل ونقل المعلومات المرجوة والتي تقوم بتحديدتها قبل إضافتها ، ثم نمر بها من خلال الحاجز الدموي الدماغي ، قبل أن نوجهها للخلايا المراد غرس تلك المعلومات بها ، ومن ثم نصبح قادرين على زراعة ذاكرة...!!!

.... وعلى ذلك فنحن بصدد اكتشاف لم يسبق له مثيل ، ورغم تلك التحديات فقد أوشكنا على تنفيذ جواً ملائماً ، ومؤثرات تساعد على تحديد الذاكرة التي نريد زرعها داخل الدماغ من خلال هذا العقار ، وبذلك نكون قد أنهينا على العديد من الأمراض الخطيرة التي تصيب المخ والذاكرة ، كأعراض فقدان الذاكرة وأمراض الخرف - الزهايمر - وأيضاً الأمراض النفسية والعصبية كالصرع والشيزوفرنيا وغيرها“

“ سؤال يابنتي.. إزاي التركيبه هتعالج الزهايمر والأمراض النفسية والعصبية ثم إن الزهايمر هو تآكل واعتلال في العديد من خلايا الدماغ ويصيب الحاجز الدموي الدماغي نفسه..؟“

ردت محبة :

“ صحيح يا بابا لكن الاعتلال الي بيصيب الحاجز الدموي الدماغي لمادة AB أو النشواني بيتا ، هو أن المادة بتلتصق على سطح الخلايا النجمية الي موجودة على الحاجز ،

وعلشان كدة يفضل الحاجز يتحلل ويتحلل فتموت الخلايا النجمية ، لكن يا حبيبي بعد تعديل العقار وحساب الكمية الي تناسب حالة المريض ، يعتبر العقار سياف بالمرصاد لمواد الأميلويد بيتا - النشواني بيتا - وكمان بيكسب الحاجز الدموي وخلايا المخ ويزيدها نشاط في تجديد ذات الخلايا ، ومش كدة ويس دي الخلايا الجديدة المنتجة بتكون أجود وأفضل من الخلية المنتجة لها ، يشبه في تأثيره خلق خلايا جديدة مثل مشروع الخلايا الجزعية ، أما أمراض الذاكرة فهو يعمل بسرعة على تحويل واستقبال المعلومات بين الذاكرتين القصيرة والطويلة بمعنى إيه يا بابا هقولك..

تنتقل المعلومات في الخلايا العصبية بسرعة 5 م/ثانية إلى 120 م/ثانية ، ودي هي السرعة المتفاوتة بين الناس ، لكن بعد الحقن المباشر تصل سرعة نقل المعلومات في الخلايا العصبية بحوالي ما يقرب من 12000 م/ثانية ، وده بقي السر الي بشتغل عليه حالياً ، لأن تأثير العقار في نقل المعلومات يشمل الذاكرة الحسية كمان ، يعني لو مر شخص من أمامك في ثانية واحدة ، يتم تخزين صورة تفصيلية ودقيقة جداً وكمان بيسهل استرجاعها بكل سهولة .

“ وباقى جزء بسيط عايزة أسمعهولك يا بابا.. يلا نكمل “

“ وبما أن ذاكرة الإنسان تحتفظ في المعتاد ما يقارب الألف تيرا بايت من المعلومات ، إلا أن الفكرة في طريقة تسجيلها وكيفية استرجاعها ، وتم علاج تلك المسألة على النحو التالي..

تم خلط تلك المواد المحفزة المكونة للتركيبية أو العقار من جسيمات نانوية موجهة أكثر تطوراً وأقل خطورة على الشخص المحقون ، فيمكن من خلال الحقن الوريدي الموجه للخلايا المراد التواصل معها أن تعمل على خلق خلايا أكثر تطوراً ونشاطاً ، والتأثير الذي يصيب عموم فصوص المخ وخلاياه يحسن بالطبع من أداء الخلايا العصبية ، وللعلم بالشيء أن تلك الاستنتاجات حتى الآن لا تتعدى حدود المعمل وحالياً قمنا بإنهاء برنامجاً حاسوبياً قادراً على إعطاء النتائج في سرعة ووقت أفضل من العمل اليدوي .

ثانياً وما نقوم حالياً بمحاولة إنجائه ، هو المؤثرات والعوامل المساعدة على تعظيم دور العقار في زراعة الذاكرة ، وهو الأمر الذي يتبناه المهندس جلال الزيني في بناء وإكمال ما يسمى

بالـ (الغرفة الحسية المبرمجة) التي تعمل على تحسين وتفعيل دور الذاكرة الحسية في مشروع زراعة الذاكرة ، والتي تعدت تكلفتها ملايين الجنيهات ، تلك الغرفة التي تساعد العقل على استقبال أي نوع من المعلومات المكونة للذاكرة أثناء وبعد حقن العقار إلى الدماغ ، حيث أن الغرفة تكون مجهزة بشاشات عرض متتالية التي تختص بزراعة الذاكرة البصرية وأجهزة صوتية تشكل حاسة السمع ، كما يوجد بها بعض المواد ذات الملمس والتي تزيد من نشاط هرمونات السعادة في الدماغ ، وارتباط تلك الحواس بتكوين ذاكرة مفتعلة داخل الدماغ ، الذي يستطيع الآن وبعد الحقن بتخزين كم هائل من المعلومات في ساعات معدودة عن طريق تلك الغرفة الحسية المبرمجة ، والجدير بالذكر أنه لم يقف حدود ذلك المشروع على زراعة الذاكرة فقط ، بل وإمكانية تقبل تلك الذاكرة وجعلها أكثر رضائية بالنسبة للفرد ، وذلك بتفعيل هرمونات (الدوبامين

والسيترولين) اللذان يقوم العقار بتحفيزهما وتعزيزهما فضلاً عن (الأندروفين) , وعليه فيمكن تثبيت الذاكرة وسهولة استرجاعها لكن بتغيير حالة تخزينها من كونها ذاكرة تعيسة مؤلمة إلى كونها سعيدة مبهرة , الأمر الذي سيساعد من التقليل وندرة ظهور أمراض الشيخوخة , بأن يحيا الشخص باقي حياته بإحساسه بالسعادة الدائمة , مما يجعل احتمالية تزايد عمر الفرد . وكمثال على ذلك..

إذا كان أمامنا مريضاً يعاني فقدان الذاكرة , أو آخر يعاني أمراض شيخوخة مثل الخرف – الزهايمر – فيمكننا حقنه بالتركيبة النانوية أو العقار ويتم توجيه تلك الجسيمات إلى الخلايا ذات الإعتلال , سواء كان تآكل في الخلايا أو حتى إعتلال الحاجز الدموي نفسه , فيسعي العقار إلى استجابة الخلايا له , وبزيادة الكمية المراد إفرازها والتحكم فيها من هرمون (الدوبامين) وغيرها كما ذكرنا فيعمل على استقرار وتنظيم النشاط وتطويرة داخل خلايا المخ , وبالتالي يعمل على محو الإعتلال أو وقفه على أقل تقدير , ويحول الذاكرة المؤلمة أثناء فرز (الدوبامين والسترونين والأندروفين) إلى حد ما مرضية ليتقبلها الفرد ويرأها بزاوية أخرى – كحالة فلسفية حياتية – , وعلى ذلك تبين أن القدرة على محو تلك الذاكرة المؤلمة وتحويلها لأخرى سعيدة , ممكنة عن طريق (الغرفة الحسية) , وأنه يتوقف على حجم النبضات الكهربائية التي يستقبلها الدماغ بمساعدة تلك المؤثرات الأخرى داخل (الغرفة الحسية) .

وإذا وقفنا قليلا عن مرض الخرف - الزهايمر- الذي يصيب الأفراد ما فوق الخمسة وستين عاماً , حسب تقدير العلماء لبداية بزوغ مرض الزهايمر أو بداية نشاطه المؤثر , فيمكننا تحسين النشاط الدماغي للفرد وإذا تقدم به الإعتلال لمراحل ميؤسه، فمن الممكن وقف الاعتلال على أقل تقدير وتحويل أو زراعة ذاكرة سعيدة مرضية تساعد على إستكمال حياته بقليل من السعادة دون البؤس من المرض الذي يقصف عمر المريض .

_ قطع دق الباب شوق الحديث الذي طال كثيراً وباستفاضة تلك المرة ، والتي كانت الأولى من نوعها بعدما شارفت محبة على الإنتهاء من مشروع (إنسانفريديا) , كما أطلقت عليه ، وإذا — سارة تدخل عليهم , ووجهها يعتليه بسمه إخراج من قطع حديثهم وهي تتفوه :

“ أنا قطعت عليكم ولا إيه... أنا أسفة ”

لحقتها محبة وأبيها بذات الكلمة : “ لا أبداً... اتفضلي يا سارة ”

ثم أردفت محبة :

“ ماتدخلي يابنتي.. هو انتي هتعملي نفسك غريبة.. أقعدي ”

أغلقت سارة خلفها باب المعمل ثم ارتكنت على إحدى جدران المعمل بعدما سلمت علي د. أشرف وهو يهم بسؤال :

“ في سؤال يا محبة.. الكلام الي إتكلمنا فيه ده جميل ، لكن مشروعك ده سلاح ذو حدين ، وإذا نجحتي وإن شاء الله هتنجحي بموضوع زراعة الذاكرة ده ، فبالتأكيد من

الممكن إذا شاع الأمر أن يستخدمه ناس تانيه في زراعة ذاكرة بس تكون ذاكرة مكذوبة داخل الدماغ ، ويستغل الأمر أبشع استغلال “

حركت محبة عينها على سقف المعمل ، وهي تحك جبهتها بسبابتها في حالة شروذ ذهني ، أما سارة فقد أصابها الذهول وهي تقضب جبينها في عدم إدراك ، وعينها تحركها بين محبة وأبيها ،

“

طبعاً يا بابا.. للأسف مش لاقية مبرر غير إنه طالما قدرنا نوصل إننا نزرع أو حتى نحول ذاكرة فمن الممكن استغلال الوضع استغلال سيء... عندك حق لكني فعلاً تعبت جداً ، من سنين والفكرة إتولدت عندي ، فضلت وراها لحد ما قدرت أنميها وأحقق اللي فعلاً بتناه.. إني أعمل ثورة في عالم الطب والكيمياء.. وعمري ما جه في بالي إني أكون بضر مش بنفع “

“ شوفي يابنتي دايماً الإنسان صاحب الفطرة السليمة بيوجه نشاطه وعقله في حياته باتجاه الجانب الإيجابي ، لكن أوقات كتير بتتحول الإيجابية لسلبية ، وده أسهل بكثير من تحول السلبي لإيجابي... يعني إيه..؟

يعني (ألفريد نوبل) مثلاً لما اخترع الديناميت كان هدفه إنه يساعد بيه البشرية ، كان هدفه إنساني نبيل ، يقوم الإنسان بحول خدمة البشرية لدمار البشرية ، يبقى هو هو نفس الإختراع اللي يبسهل علينا إزالة الجبال ، وبالتالي يساعد في التنقيب والبحث وصناعات

كثيرة ، الأسمت والحديد وغيرها ، تحول إنه بدل ما يدمر الإنسان به الجبال ويستغله في خدمته ، يبقى يدمر بيه نفسه واستخدموه العسكرية في هلاك ملايين البشر ، وبعد كل ده نقدر نقول على (ألفريد نوبل) إنه ضر الإنسانية..؟!

ده حالياً أكبر جائزة في العالم باسمه ، وبتربها دولته ، جائزة نوبل الي أخذها (أحمد زويل) في العلم والكيمياء وأخذها (السادات) في السلام و (نجيب محفوظ) في الآدب ، وأكيد إنتي عارفة الكلام ده ،....

انتي تستاهلي كل خير ، وأنا هفضل طول عمري أفتخر ببنتي الي وصلت لمراحل أنا عمري ما قربت منها ، ربنا يحفظك برعايته وأحب أقولك إني أول واحد هكون سند ليكي وفي ظهرك ، وعلى قدر استطاعتي هساعد إن مشروعك ده يظهر للنور “

ظلت سارة تتابع بصمت وذهول ، وهي مازالت تحرك ناظريها بين هذا وذاك ، تحاول أن تتفهم موضوع النقاش ، ورغم فضولها البين وعدم الشعور بتركها سويًا وانسحابها من بينهما ، إلا أن صلتها — محبة وعائلتها هي من أعطتها القدرة على البقاء على نحو لم يكثر له الآخرون .

“ فاضل على الحلو تكة ، شدي حيلك يا قمر وانجز مشروعك لأنه يستحق التعب والعناء ، فاضلك كام خطوة ، احسبها كويس وابدأي تجارب حية واكتشفي الآثار الجانبية للدوا ، وأعتقد إنك أنجزتي 90% من مشروعك ، ومن ناحيتي أنا فعلاً متفائل بيكي يا أعظم دكتورة يا حبيبة قلبي “

“وأنا كمان متفائلة بيكي ، رغم إني مش فاهمة حاجة ، لكن متفائلة.. المهم يا دكتور أنا كنت جاية علشان عرفت إنك هنا في المعمل ، وكنت عايزاك في الصيدلية في مشكلة في الحسابات“

نظر أشرف لـ سارة نظرة يشوبها السخرية :

“ حسابات.. هههههه.. الله يجازي شيطانك هو أنا بقيت أقدر أخرج برة البيت لما تقوليلي حسابات.. كان زمان وجبري يا فخرية“

توجه أشرف مستنداً على ابنته نحو الخارج ، وسارة تتبعهما ، وصل لسيارته ، فتح بابها في الحال من قبل السائق ، أشارت محبة لـ سارة أن تغلق المعمل وتتابع عمل الصيدلية بقية اليوم ، حيث أنها سترافق والدها إلى البيت ، كما أنها تشعر بقليل من الإعياء والدوار كما ذكرت ، أغلقت محبة الباب الخلفي للسيارة، والتفت من الجهة الأخرى لارتباد السيارة من الباب الآخر بجوار والدها .

(الفصل الرابع عشر)

سنوات تمر ، أيام تتلاشى ، ومحبة ما بين تربية أبنائها وبين معملها الذي أخذ طبقات من جلدها رغم تواضع إمكانياته ، إلا أن والدها أخذ بتطويره وتزويده بالمعدات والإمكانيات حتى تساعدها على إتمام ما تصبو إليه ، رغم المنح التي انهالت عليها من قبل العديد من الجامعات في أمريكا وأوروبا وغيرها ، إلا أنها عازمت على المكوث وخوض تجربتها في حدود الإمكانيات داخل بلدها ، بالفعل لم تكن الكيمياء رسالتها الأولى ، لكنها وضعت رحلة علمها وتحقيق مشروع عمرها بعد رسالتها الأولى في تحسين وتربية نشأها ، كما أمل أبيهم أن يراها ، كانت تمتلك من الوطنية مالم يكفي جيل بأكملها ، تعشق تراب بلدها ، كانت دائماً تقول رغم نفورها من العنصرية والطائفية إلا أن كون الإنسان مصرياً ، تتيح له الفرصة بأن يكون عنصرياً لمصريته لأنها بالكاد تستحق ذلك على رأى زوجها وبالأخص مصر.

_ اتضحت ملامح مشروعها - إنسانفريديا - ، وضعت قدمها بين عظماء العلماء ، سيذكرها التاريخ ، بأن تلك المصرية قد شرعت للعالم بمشروع تنتظره الإنسانية منذ الأزل ، توالى الاجتماعات والجلسات العلمية لمناقشة المشروع أو الجزء الخاص بالعقار وحده وآثاره دون البوح بسر (الغرفة الحسية) حتى يكتمل ، أو تظهر ملامحه ، فقد أجريت بعض التجارب والأبحاث على العديد من الحيوانات وتم تسجيل وتدوين النتائج والملاحظات ، رغم إبداء النتيجة الحاسوبية مقدماً إلا أن للتجارب الحية أهميتها التي لا يمكن إهمالها .

لم تكن سارة لتترك صديقتها في تلك الأثناء والأوقات العصيبة ، لمؤازرتها على تكملة عملها ، كما كان مايكل يرافقهما في شق الأماكن وحضور الاجتماعات بالطبع ، ليس لأنه كيميائي ماهر بل لإرتباطه بـ سارة دائماً ، قلما يرافق ابنة عمه في غياب سارة ، لكن سارة لم تكن لتترك صديقتها آنذاك ، تبدو العلاقة بين مايكل وسارة وكأنها تنمو بسرعة السلحفاة ، وقد أخذت سارة حذرهما وشرطت عليه أن يتم عمل جبنيت مؤقثاً ، بشرط يكون مفتوح المدة حتى تقرر موعد نصف الأكليل ، لم يمانع مايكل ما أمرت به سارة حتى لو طال مدي الحياة على حد قوله!!!

.....

(جلال الزيني) ينتهي من تصميم وبرمجة (الغرفة الحسية) على الحاسوب ، كما أنه يساعد محبة بتنفيذها على أرض الواقع حتى اكتمال المشروع ، ورغم أن تنفيذ (الغرفة الحسية) في حدود الإمكانيات المتاحة لم يكن على القدر كما تصورته محبة أو كما صممه جلال ، إلا أنها ستكون مبشرة بنتائج أولية تساعد على استكمال المشروع ، اختارت محبة إحدى مخازن الصيدلية الكبيرة لقيام الغرفة الحسية ، وعلى ذلك أوشك المشروع على الإنتهاء .

.....

_شتاء عام 2007 مليئاً بالأحداث ، تطورت بشكل سريع وغير طبيعي ، بعدما انتهت محبة مشروعها الذي اقترب العمل عليه ما يقرب من عشر سنوات وبقي العمل به ، فقط يتبقى الحقن البشري المعلوم النتائج مسبقاً ، أفندت مشروعها بتفاصيله الكاملة

وخطواته منذ عشر سنوات على فلاشة صغيرة الحجم ، تلك الكائنات التي لم يكن لها وجود منذ سنوات قليلة ، تطور فيها العلم بطريقة غير مسبقة ، منذ مائة عام فقط .. مائة عام ، كانت تقام الحروب على الخيل والجمال وعندما صنعت السيارات والطائرات ، أصبح المستحيل ممكناً ، تم إختراع البريد ثم الهاتف المنزلي الذي اعتبره جيله إحدى المعجزات كالتلفاز أيضاً ، ثم الأقمار الصناعية بعد صناعات كثيرة لم تذكر مثل الراديو وقبله الجرامافون ، كيف خلع هذا الجيل رمز الملكية ، _ خلع الطربوش عن رأسه _؟

_ومنذ الخمسينات وحتى الآن والعلم يركض بطريقة غير مفهومة وغير منتظمة ، هل يتخيل أن شاباً لم يتعدى الثلاثين من عمره يعاصر تكنولوجيا سنوات مريرة وكأنه يحيا ثلاثمائة عام وليس ثلاثين ، لم تسأل نفسك أيها الثلاثيني.. كيف كانت طفولتك بدون الهاتف المحمول..؟ بدون الإنترنت..؟ بدون مواقع التواصل الاجتماعي..؟ بدون شاشات التلفاز ذات تقنية الـ 3D وأكثر..؟

هل سألت نفسك إذا حدثك أحدهم في بداية تسعينات القرن الماضي عن ذلك التطور التكنولوجي الرهيب ، فهل ستصدق أنك ستعاصره بعد سنوات قليلة؟ ، هل نظرت إلى التقدم الطبي في خلق أعضاء جسدية عن طريق الخلايا الجذعية؟ ، لم نعد بحاجة إلى الأعضاء المصابة.. فالآن بكل سهولة يمكن إلقاء العضو المصاب في صندوق القمامة واستبداله بآخر أجود وأكثر تقنية من ذي قبل..؟

بل ومن الممكن وعن قريب أن يتوصل المرء إلى نقل رأس كاملة لجسد أو جسد كامل لرأس حية إن جاز التعبير .

نري الآن من مات من سنوات أمامنا عبر شاشات التلفاز ومن الممكن أن تجسد شخصية عزيزة وقريبة لقلبك أمامك رؤية الأعين عن طريق تكنولوجيا الهولوجرام ، لم يعد العلم ليقفقه أحد ، وهنا يأتي السؤال الذي يطرح نفسه دائماً العلم إلى أين؟ ولماذا نضج كل هذا النضوج في الأونة الأخيرة..؟ هل لأن الإنسان يحتاج لهذا..؟

مثلما إحتاجت البشرية لثورة زراعية حتى تكفي المليارات اللذين ينهشون في خيرات الطبيعة ، وعندما توصل الإنسان للهندسة الوراثية وخلق أصناف وأنواع جديدة من الخضروات والفاكهة وفي غير أوانها ، كي تكون الزراعة قادرة على كفاية فاه الإنسان الذي لم يغلق قط ، ورغم ذلك كانت هناك آثار أكثر سلبية ومرضية على صحة الإنسان ذاته ، انتشرت الأمراض السرطانية بسبب هرمونات الطعام وتلك التكنولوجيا التي ظهرت ، فكان الإنسان أحد خيارين آنذاك ، إما أن يموت جوعاً ولم تصل إليه ذرة غذاء ، وإما أن يزيد الغذاء مصاحباً للأمراض القاتلة فأيهما تفضل..؟ أن تموت أنت وزوجتك وأبنائك وجميع أفراد عائلتك بسبب نقص الغذاء..؟

أم يزيد الغذاء ويكثر لكنه يصاحبه أمراضاً قاتلة قد تميته أنت وأسرتك أيضاً لكن بشكل أبطء قليلاً..؟

ألدريك رد لتلك الأسئلة.....؟

_والجدير بالذكر أن كل تلك الطفرات والتطورات في شتى المجالات ، أتت مع الزيادة السكانية أيضاً الغير مسبوقه ، انظر لحجم السكان في أوائل القرن الماضي حوالي 1.650

مليار نسمة على وجه الأرض ، وأما الآن مايقرب من الـ 7 مليار نسمة بل ونتعدي ذلك العدد بكثير ، فهل الحل الأمثل قيام قيامة ويوم هلاك يتم فيه تدمير نصف ما تحمل الكرة الأرضية ، حتى يستطيع النصف الآخر العيش بسلام وبكرامة أم سقوط لأمثال هيروشيما ونكازاكي على أكثر من بقعة للخلاص لمن يملأون الأرض دون إفادة ، هل نملك من الأمر شيئاً.....؟

هل نعيش كما كتبت لنا الحياة العيش أم نرفض ونبدي آرائنا..؟.

قديمًا قيل ارتقي لأعلى ، القاع قد يكون مزدحمًا ، لكن الآن القاع ليس مزدحمًا بل إنه يستغيث ، ينحب ، يعيش ويحيا بالصراخ والألم ، تتلاشي الحياة من الدول ، تنهار أساسات الشعوب ، تختفي الطبقة المتوسطة شيئاً فشيئاً ، التي تحمل على عاتقها عبء تكوين وإصلاح وقيام الدولة بأكملها ، لأنها تمثل أكثر من ثلاثة أرباع الشعوب ، بدأت في الإنقراض بالفعل ، وإنقراضها لم يمثل إختفائها تمامًا بل يمثل إنتقالها إلى وعاء أكثر معاناه .

_بحوي ذلك الإختراع الذي لم يتعدي إصبع اليد المسمي (بالفلاشة) ، بحثًا أكثر أهمية للبشرية ، يحمل آلاف الكلمات المدونة والتي ستحدث تغييراً جذرياً وتحويلاً في مسار الإنسانية ، لم تدرك محبة حينها أن (إنسانفريزيا) تعدى أكثر من أن يصير مجرد بحثًا تحصل بسببه على درجة الدكتوراة ، لكنه بالتأكيد سيحدث تأثيراً أكبر من (بركان توبا) على جزيرة (سومطرة) الذي حدث منذ أكثر من خمسة وسبعون ألف عامًا تقريباً مع الإختلاف في النتائج بالطبع .

.....

_تقف سارة مع مايكل وبجوارها محبة أمام يافطة كتب عليها (د. هاشم سند)
 دكتور أمراض نفسية وعصبية ، أشهر أطباء مدينة الأسكندرية آنذاك ، دخل ثلاثتهما ،
 سلمت سارة على الدكتور هاشم بعد الإنتظار قليلاً ، أشار الطبيب لهما بالجلوس ، تجلس
 محبة على المقعد المقابل لمكتب الطبيب ، وأمامها سارة تعتلي المقعد الآخر ، أما مايكل
 كانت قدماه مستقرة وسط المكتب ، وقبل أن تنطق سارة بالحديث عن محبة التي طال
 صمتها لثلاثة أيام متواصلة بسبب العديد من الأحداث المريعة التي دارت الأيام الماضية ،
 بعد المشادة الكلامية التي حدثت بين أبيها وأخيها فيكتور عن بعض المسائل المادية
 والمالية ، فقد باع أشرف بعض الأصول التي يمتلكها وتبرع بجزء ضخم منها لإحدى
 الجمعيات الخيرية ، وجزء آخر لم يدخل حسابه البنكي ولا يعلم أحد أين تم صرف ذلك
 المبلغ ، وذلك بعيداً عن الممتلكات والأموال التي ناصفها بين ولديه ، مما أثار الذعر
 والغضب لدى فيكتور للمرة الثانية ، فقد ظهر وجهاً غليظاً غير الذي اعتاد عليه ، إنهار
 بالسباب والألفاظ القبيحة على والده الذي تعجب من أمر ابنه ، لم يكن يراه أو تراه
 العائلة بأكملها بهذا الوجه البشع والسلوك الحضيض ، لم تستطع حتى أمه أن توقف هذا
 السيل العرم من الكلمات والتفوهات التي تسقط كالسكين على مسمع أبيه ، الذي لم
 يصدق حتى الآن أن هذا الذي يقف أمامه هو فيكتور صاحب الوجه الجميل والإبتسامة
 الرائعة.

تدخل عماد وعبدالله اللذان كانا يحضران المعركة ، وخصوصا عندما هدد فيكتور أباه أثناء نعيقه بالحبس ، تلك كانت الطامة الكبرى التي أثارت شعور من حولهم ، وقف الشبان بين جدهما وخالهما ، الذي أصبح صراخه يسمع خارج البيت بأميال ، ليلي و محبة ينتابهما حالة من الدهشة وعدم التصديق لما يفعل هذا الثور الهائج ، نزلت صفقة شديدة على وجه عماد ، تألم له أخاه ، كما ارتجف لها قلب أمه ، حين تدخلت لتنقذ ابنها ، وإذا بأخيها يدفعها دفعة قوية ، اصطدمت بمقعد الصالون ، جرى نحوها عبدالله بلهفة ، ليطمئن عليها ، وأمها تلحق بها ، وعيناها تغرقان بالدموع ، رمق فيكتور عائلته بنظرة يملأؤها الغل والخبث ، قبل أن يتوجه نحو باب الفيلا مغادراً ، وهو يتلفظ بكلمات غير مفهومة .

_ انقطع فيكتور أيام لم يأت فيها لمنزل والده بعد فعلته ، غيم الحزن والبؤس على بيت أشرف نخيلة بعد ذلك اليوم ، مما أسفر من تعب أشرف ومرضه بسبب ابنه ، وعندما كانت تجلس ليلي و عبدالله في حديقة الفيلا سمعت صوت سيارة تصطف أمام بوابة الفيلا ، بعد ثواني معدودة ، فيكتور يدخل من الباب الحديدي للفيلا و ووجه يملأه الإرهاق ، السواد ينتشر أسفل عينيه ، ترسم على شفثيه إبتسامة مصطنعة ، وعندما وجد والدته وعبدالله يجلسان في حديقة الفيلا ، اللذان ردا عليه التحية دون إلتفات ، أكمل طريقة ممزقاً نحو الباب الخشبي ، وجد والده جالساً ، يضع يديه على جبينه ، لم تكن محبة بجواره حينها ، كانت ربما منشغلة بسقي الورود في حديقة الفيلا أو شرفاتها كما اعتادت كل صباح ، جثى على ركبتيه بين يدي والده الذي أخذ يقبلها وهو يطلب العفو والسماح

والندم يظهر على وجهه ، وحين ظهرت محبة أقبل عليها ، مقبلاً رأسها ، يتأسف محاولاً أرضاءها ، تحجج ، بأنه يواجه مشكلات ضارية في عمله وضغوط لم يسبق لها مثيل ، وإنه لم يكن في وعيه وقتها ، بعد النواح والعيول ودموع التماسيح التي تفرقت في عين فيكتور ، كرر علي والده ذات السؤال ، الذي تسبب لما حدث تلك المرة ، لكن بطريقة يشوبها الخوف على والده وممتلكاته ، وعلى إسم عائلة نخيلة كما كان يبدي كل مرة ، وأنه يعمل قصارى جهده لإبقاء اسم نخيلة عالياً بين عائلات الأسكندرية .

نظر أشرف لولده نظرة يشوبها عدم الرضا قائلاً :

“ أنا أبوك يا ولد.. يعني أما أموت هتعمل إيه في أمك وأختك.. أوعي تكون فكرت نفسك كبرت عليا ، وعايز تحجر عليا ولا تحبسنى زي ماقولت ، أنا أبوك مش موظف عندك ، وعموماً هقولك لآخر مرة فلوسي دي وأنا حر فيها.. ولا عايز تورثني بالحيا... يا... يا فيكتور بيه “

يعلو صدر أشرف ويهبط كأنه يقوم بمجهود شاق أثناء الحديث ، وأخذ السعال في مصاحبته لكل كلمة يتلفظها وهو يستكمل :

“ وعايز تعرف الفلوس راحت فين.. أقولك “

أخرج أشرف ورقة من جيبه ، يشير لـ عماد ويخبره أن يناولها لأمه ، وهو يثبت بها شراؤه لقطعة أرض باسم محبة لإقامة مشروع الدار التي أملت محبة ، عندما حدثت

والدها منذ فترة عن فكرة زوجها عماد في إقامة تلك الدار التي أفندت تفاصيلها لوالدها ، والذي أعجب بها في الحال ، ولم تختفي الفكرة عن مداركه منذ سنوات ، حتى جاء اليوم ليضع أول خطوة نحو تنفيذ مشروع ابنته الذي أقام وعداً بينه وبين نفسه على أن يتم تلك الفكرة دون أن يخبرها .

رمقت محبة والدها وهي تحاول أن تتذكر ، حتى استرجعت فكرتها من كلمات والدها وهي تبتسم له في حنان وامتنان وهي تتفوه :

“بيت الله.. بيت الله“

وقع رنين كلمات أشرف على مسامع ابنه وكأنها أسهم مسمومة تخرق رأس ثور أسباني هائج ، إنهاالت اللعنات والسباب والقذف مرة أخرى ، أخذ يلقي ويحطم كل شيء يقابله ، ولم يحرك أحداً ساكناً ، إلا عندما حاول الإقتراب من محبة لإلتقاط الورقة التي ناولها عماد إياها ، وجهه يزداد إحمراراً ونفوراً ، أوجس في نفس عماد أن خاله يحاول التعدي على أمه ، الأمر الذي جعله يقف سداً بينهما ، يحاول إبعاده و عبدالله يمسك بمعصمه يحاول ردعه هو الآخر ، إلا أن صدرت من عماد دفعة قوية في صدر فيكتور طرحته أرضاً ، وهو ينظر له باستعطاف وكأنه يقول لم اقصد هذا ...، إزدادت عين فيكتور إحمراراً ، الغضب خيم على وجهه وهو ينظر لما فعل به هذا الصبي ذا الستة عشر عاماً ، هب واقفاً ، وفعل ما لم يكن بالحسبان ، الجميع تتسع حدقة عيناه من هول ما يحدث ، الأفواه تنفرج على مصرعيها ، القلق والخوف يدب أجساد الحاضرين ، الذعر ينتشر في المكان ، عبدالله لم

يصدق ما يراه ، الخوف يشع من بين عينيه وهو يستمع لكلمات خاله ، التي تنهال على روحه الثانية - أخيه - حين صرخ :

“ آه يا أبن الكلب ، مانت شبه أبوك ، يابن الشحاتين ، دي أخرة إننا نأوي أشكال وسخة زي الي خلفك ، أهو غار في داهية ، يا ولاد الكلب يا زبالة ”

ثم دس يده ليخرج سلاحه الخاص ، يوجه فوهته نحو عماد الكائن بجوار أمه وجدته ، إلا أن الدم قد غلى في عروق عبدالله لحظتها ، وهو ينقض على يد خاله بسرعة ، ممسكاً بيده ، يوجهها لأعلى ، خرجت رصاصة بالخطأ ، اخترقت إحدى التماثيل الزينة التي كانت تستقر على السور العلوي لدرج السلم ، سقط التمثال لتوه رأسياً ، لاحظت محبة التمثال الذي يسقط على رأس عماد ، وهي تدفعه بعيداً عنه إلا أنه إصتدم برأسها ، سقطت على حين غره مغشياً عليها في الحال ، والدماء تسري بجوار رأسها كالنهر الجاري ، لم تلحق بها ليلى التي تعثرت قدمها عندما سمعت دوى الرصاصة ، حينها وضع أشرف يده على قلبه ، ووجهه يوجي بألم شديد حتى إرتطمت رأسه بالأرض هو الآخر.

بعد محاولات داخل المستشفى دامت لأكثر من ثمانية وأربعون ساعة ، بدأت تتحرك أجفان محبة بعد وقف النزيف ، الذي أدّى إلى شبه إرتجاج في المخ ، فتحت عينيهما في إعياء وألم ، المحاليل والأسلاك الطبية تنغرس بجسدها ، شحب وجهها ، ذبلت واصفرت

عينها ، محبة ترقد في غرفة رعاية المستشفى في حالة يرثى لها ، وعندما بدأ لسانها بالنطق ، لم تسأل سوى عن أبيها :

“ فين بابا..؟ ”

فقط هاتين الكلمتين التي تردهما دائماً بصعوبة ، حتى وهي في غياهب غيبوبتها تتفوه

“ بابا ”.

حرص الطبيب المعالج على عدم الخوض معها في الحديث ، حتى لا يرهقها ، كما أكد على عدم لزوم معرفتها بخبر وفاة والدها ، الذي لطالما لم يسكت لسانها عن نطق اسمه ، حاولت ليلي ألا ترتدي الأسود حتى لا تلفت نظرها ، كما حاول أبنائها طمأننتها على جدهم بأنه بحالة جيدة وأنه كان متواجدا معهم الأيام السابقة ، كذباً وخوفاً من تدهور حالتها الصحية الغير مستقرة بالمرة ، إلا عندما حضر مايكل مع سارة لزيارتها وهي ما زالت تتفوه :

“ بابا.. فين بابا ”

حتى صدمت بإجابة مايكل البلهاء عندما قال :

“ شدي حيلك يا محبة الله يرحمه.. أكيد هو في مكان أحسن دلوقتي ”

نظر الجميع لمايكل نظرة تدل على حماقته ، الأمر الذي جعل العبرات تنهال على وجنتيها دون إيماءات من وجهها , فقط أخذت الدموع تسري على وجنتيها في صمت ملامحها حتى تورمت عينيها من كثرة الدموع ، وازداد الأمر سوءاً.

_سأت حالتها، زبلت تماماً، انتهى إشراقها، وجهها يظل جامداً، عينيها تهيم في الفراغ , تسيل الدموع في سكون علي وجهها , صدمتها كلمات مايكل , هذا الأبله الذي أثرت كلماته أكثر من صدمة رأسها بالتمثال مئات المرات , وحتى أمر الطبيب بعد الإطمئنان على حالتها الصحية والجسدية وملازمة الفراش والراحة والإنتظام على الدواء , كما نصحهم أن تتوجه إلى طبيب أمراض نفسية وعصبية حتى يكون قادرا على معالجتها لما تعانيه من مشكلات , فقد تدهورت حالتها النفسية وأثرت على الخلايا العصبية , بمصاحبة ذلك الخبر السيء والأحداث المشؤومة لخبر وفاة والدها التي لم تقو على استيعابه وتصديقه .

.....

_وصلت محبة مع أمها ولديها مطار القاهرة في عودة من رحلة استجمام وتغيير جوفي أماكن نائية , تملأوها المناظر الخلابة والجديدة على عينيها كما أشار الطبيب النفسي , بعيداً عن أجواء الحياة التي تذكروها بصدمة وفاة والدها سواء البيت أو المعمل أو الصيدلية أو الأسكندرية عموماً , قضت الأسرة ما يقارب من الأسبوع في الأراضي اللبنانية , لمساعدة محبة على استعادة نشاطها العقلي واستقرار حالتها النفسية , كانت صديقتها

سارة أول المنتظرين لعودتها في ساحة المطار وقت وصولها ، كما رافقتها إلى البيت بمصاحبة أمها وولديها اللذان مازالا يتألمان لألمها ، كما يتوجعون لفراق رب عائلتهم جدهما أشرف الذي لم يتعدي على وفاته أربعون يوماً ، وعندما استقروا بين جدران الفيلا التي تفوح من أرجائها رائحة مفقودهم وذكرياته ، قامت سارة بمساعدة بعض العمال المتواجدين أثناء غيابهم بفتح النوافذ ، كما أمرتهم بمحاولة تغيير ديكورات الأثاث وتغيير وضعيتها تماماً عن زي قبل ، وإعادة تهيئة الصالون، وتحديد سفرة الطعام ونقلها إلى مكان آخر، حتى يقل شعورها بفقدان والدها ولا تتذكر مشاهد له داخل الفيلا كما أمرها الطبيب النفسي محاولة منه لاستقرار حالتها في استعادة وتشكيل إدراكها ، حتى يستطيع تشخيص حالتها ، التي كانت كاللغز أمامه بسبب عدم قدرتها على الكلام أو النطق ، أو مسابقة الواقع الذي تهمله أو يعمد عقلها على إهماله تماماً .

ابنها عبدالله هو المكلف بمهمة متابعتها أثناء السفر ، وتدوين ملاحظاته عن أفعالها والقيام بتلبية طلباتها والإهتمام بمواعيد العلاج والنوم والأكل ، حيث اتفق مع سارة التي امتنعت عن ملازمتها في السفر لإنشغال وقتها على الالتزام بتعليمات الطبيب، حتى يتثنى لهم الإقتراب من نسب شفائها وعجلته .

إنسانفرييا

أصمر عماد

لم تجدي ملاحظات عبد الله نفعًا عندما تناقش مع سارة بعد عودتهم من لبنان ، كانت نفس الحالة التي لم تتغير منذ أكثر من شهر ، يلزمها الصمت والزيول يرافقها، عينيها متورمة من كثرة الدموع .

(الفصل الخامس عشر)

تدخل عمر نصر في محاولة منه لتحسين العلاقات بين فيكتور وعائلته ، أحدث أثراً إيجابياً بسبب المكانة التي كان يحتلها بين أفراد عائلة نخيلة ، سواء مع دكتور أشرف رحمه الله أو مع محبة التي كان يحمل على عاتقه كشف قضية مقتل زوجها ، عندما كان ضابطاً في قسم سيدي جابر منذ أكثر من ستة عشر عاماً .

كرر عمر نصر تردده على فيلا نخيلة بعد أول مرة تخطاها بمصاحبة فيكتور لمحاولة إرجاع المياه لمجاريها خصوصاً بعد تدهور حالة فيكتور وصحته وإهماله لعمله ، كما برر لوالدته سوء حالته التي وصل إليها قبل وفاة أبيه مما أسفرت عن تشويه سلوكه ، ليس فقط في البيت بل تعدت الأضرار لعمله أيضاً ، بسبب إقباله على إدمان الكوكايين منذ مايقرب من ستة أشهر ، كما حث عمر نصر والدته التي ناقشها سراً ، عدم لزوم البوح بهذا السر حتى لا ينفر من حوله ، وخصوصاً أنه تعافى في فترته الأخيرة وترك ذلك السبيل ، وبدأ إهتمامه بعمله يتزايد ، كما استرجع شخصية فيكتور الناجحة الحازمة بين زملائه ، ثم أخبرها بضرورة تحسين الأوضاع واستكمال المسير ، وعدم إلقاء اللوم عليه في تلك الفترة ، حتى لا تسوء حالته ويقوى على مداومته لعمله ، لأنه بالكاد مرشح لمنصباً لا يستهان به داخل مديرية أمن الأسكندرية ، وذلك بسبب تاريخه المبهر والمشرف داخل الوزارة .

هدأت الأمور واستقرت الأوضاع إلى حد كبير داخل بيت نخيلة ، في حين صرح فيكتور في إحدى المرات التي حضرها عمر نصر ، أنه على إستعداد تام بالتنازل الفوري عن كل

نصيبه من ورث أبيه لأخته ، التي تسبب لها العديد من المشكلات ، وأنه لم يرى أبداً الأمور بتلك النظرة المادية السقيمة ، وأن مشكلاته التي توالى في أيامه الأخيرة قد حدثت رغماً عنه ، كما أودت به إلى الخسران المبین كما وصف على حد تعبيره ، وأن الندم يتخلله بسبب ما فعله وما تسبب به لعائلته ، كما تصاحب إعتذاراته وكلماته سيل من العبرات التي تنهال على وجهه ، فقد تبين أنه تغير مائة وثمانون درجة عما كان .

بدأت حالة محبة تتحسن شيئاً فشيئاً ، لكن بعد وضوح الصورة أمام الطبيب هاشم سند ، فقد صرح بأنها تعاني من مرض نادر نسبياً ، يجعلها تبدو ليست كما هي ، تبدو كطفل يعاني من التوحد ، ورغم إحلال عقدة لسانها وتمرنه على النطق بالكلمات وتحسن إدراكها لمن حولها ، إلا أن كلماتها تعتبر محدودة ، وتفاعلهما مع المجتمع أضحى أبسط مما كان ، مما جعل الطبيب يؤكد على محاولة ممارسة بعض الأعمال التي اعتادت عليها ، وملازمة أشخاصاً قريبين منها حتى يسهل رجوع حالتها ، والإكثار من نسب شفائها ، لأنها لم تك لتبدأ بالتفاعل مع من حولها ، تظل صامتة دوماً ، قل إهتمامها بنفسها ، كما قل إهتمامها بصبيانها اللذان إعتبرتهما هدف حياتها ، ذهب عنفوان شبابها ، لم تكثر لمهمتها في العمل والمشروع الذي انتهت منه ، ولم يبق سوى خطوات قليلة حتى يخرج للعالم ، على ما يبدو أنها باتت شخصاً آخر غير محبة.

أشار الطبيب لـ سارة التي كانت تلازمها أينما كانت بمصاحبة توأمها اللذان تأثرا كثيراً بحالة أمهما ومما تعانیه في تلك الفترة العصبية ، بأن محبة تعاني من (فقدان ذاكرة نفسي حاد) ، وهذه الإصابة تندر في حالات الإصابة بأمراض فقدان الذاكرة ، لأن تلك الحالة يعتمد مخها على إخفاء وتلاشي بعض الذكريات ، كما تأتي بعض مشاهد الذاكرة من حين لآخر مما يجعلها تبدو طبيعية للحظات ، ثم يعمل الدماغ على إخفاء ذكريات عديدة عن عمد وقصد ، حيث أنه لا يستطيع تنفيذها للعقل أو التصديق بها ، وأن فقدان الذاكرة النفسي من الممكن أن يتم الشفاء منه خلال أسابيع ومن الممكن أن يطول لسنوات ، كما ضرب الطبيب مثلاً لمن يصابون بهذا الداء ، كالجنود العائدون من معركة أو حرب ضارية ، كثيراً ما يحدث لديهم تلك الحالة بإخفاء بعض من الذاكرة والمشاهد القاسية التي يعتمد الدماغ على إتلافها أو حتى إخفاءها مؤقتاً ، أو من يتعرض لصدمة شديدة تؤثر على الذاكرة فتجعل منه شخصاً آخر غير الذي عاصر ذلك الحادث المؤلم ، أما الأمر المختلف في حالتها أنها تبدو في أوقات عدة وكأنها تتحدث مع والدها وكأنه أمامها ، يجالسها ، يرد عليها الحديث ، دون أن يشعر من يراقبها أنها تهلوس أو تجن ، ثم تصبح طبيعية في أحيان أخرى ، تجلس تتذكر والدها ، تصلي من أجله ، تدعوله بالرحمة والغفران .

.....

استقرت قدما محبة أمام سيارتها وهي تتحدث في هاتفها المحمول إلى صديقتها سارة التي كانت تتابعها وهي في طريقها إليها ، لم تشر إلى السائق بالانتظار كما اعتادت ، بل تركته وهي منتبهة لـ سارة ، وهي تشير لها من خلف زجاج المقهى حتى تلفت إنتباهها ،

لم يكن مكان المواعدة بالجديد على الصديقتان بل كان دائماً ما يترددان على ذلك المكان ، لكن أخذت سارة حذرهما في عدم ترك محبة بأن تأتي بمفردها ، حيث أوصت سائقها بذلك الذي اصطف بالسيارة بعيداً قليلاً عن المقهى ، فكانت أماكن انتظار السيارات ممتلئة أمامه .

وفي لحظة وقوع نظر محبة على صديقتها وبعد غلق الهاتف دون عمد ، مازالت سارة تشير لها حتى تلفت إنتباهها من خلف الزجاج لمكان طاولتها ، بادلت محبة ذات الإبتسامة التي إرتمت على وجه صديقتها ، وفجأة تحولت الإبتسامة إلى نظرة فزع وقلق ، عندما لمحت سيارتين من نوع الجرانند شيروكي قد وقفا فجأة في منتصف الطريق ، _كصف ثاني_ فتحت أبواب إحدهما ، نزل منها شخصين مسرعين يقصدان محبة التي أوشكت على الدخول من باب المقهى _الكافيه_ ، أسرع سارة في لهفة وقلق ، للممت حاجياتها مسرعة ، إنطلقت بإتجاه محبة حيث تقابلت في ذات اللحظة التي وصل فيها ذات الشخصين اللذان يرتديان بذات ونظارات سوداء قاتمة كلون السيارتين ، وقبل أن تتفوه سارة بكلمة تسم الشخصان وهما يلتفتان للسيارة الأخرى خاصتهم ، ينزل منها شخصاً آخر يشبههم في الزي لكن ما يميزه هو شعره الطويل الذي يعقده من الخلف ، ربما استوقفهم هذا الشخص من خلال السماعات التي تحيط بأذنه ، تقدم الغريب حتى استقر أمامهم ، ووجهه يعلوه إبتسامة متحذقة ، وعندما بدأ حديثه بدا أنه كمن لا يتحدث العربية بطلاقة ، إلا أنه أخبر محبة أنه يريد في أمر هام وعاجل ، حيث طلب منها مرافقته في الحال ، وعندما تدخلت سارة وسألت عن أمرهم ، أشار أنه سري للغاية ، الأمر الذي جعل الشك يتخلل لقلب سارة حتى لفظت بعنف :

“دكتور محبة مش هتتحرك لأي مكان إلا وأنا معاها.. حالتها ماتسمحش“

أماء الرجل بوجه علامة عدم الإعتراض ، ثم ساقهم الرجلين الآخرين نحو السيارة .
اصطحب الرجلين محبة وسارة إلى سيارة قائدهم ، ثم رجعوا إلى السيارة التي تلحقها
وقبل التحرك ، ضغط السائق الذي تلقي إشارة من القائد على زر قام بتعقيم زجاج
السيارة بالكامل ، فلا يستطيع من في الخارج أن يرى ما في داخلها ، ولا يستطيع من فيها
أن يبصر خارجاً ، ثم طلب منها السائق أن يسلماه هواتفهما المحمولة ، وبعد ثوان تحرك
فاصلاً زجاجياً يفصل المقعد الأمامي عن المقعد الخلفي ، فأصبحت المقاعد التي تقل
الصديقتان منفصلة تماماً عن العالم الخارجي ، وبعد قليل ظهر ضوء خافت قليلاً
يساعد على الرؤية داخل المقعد لكنه لايمكن تحديد ملامح من يجاورك ، حاولت سارة
الاستفسار عن وجهتهم وكأنها تتحدث في الفراغ ، فلم يجيب أحد .
ظل الصمت قائد للحوار ، والقلق والتوتر يتملكان سارة ، إلا أن محبة تبدو من ملاحظها
وكانها لم تستوعب ماذا يحدث ، ظلت ساكنة ، تنظر إليها سارة من حين لآخر ولكنها لم
تكن حاضرة رغم مكوئها بجانبها .

طال الإنتظار داخل السيارة والأوهام تجوب عقل سارة ، والعجيب في الأمر أن سارة لم
تعد تشعر بحركة السيارة ، رغم مرور مايزيد عن الساعة والسيارة كأنها ثابتة مكانها ،
حتى جاء صوت القائد بإبلاغهم بالوصول للمكان المرتقب ، حين فتحت نافذة صغيرة بين
المقعدين ، تناولت من خلالها سارة هاتفها وهاتف محبة بصمت ، أخذت سارة تتلفت
يميناً ويساراً ، وهي تتابع بتركيز ممسكة بيد صديقتها أثناء مغادرتهم السيارة .

حالة محبة تسوء , بدا عليها ظهور بعض الأعراض التي تساورها من حين لآخر، أخذت تتحدث مع نفسها وكأنها تحدث زوجها ، ثم تغير وجهتها وكأنها تتحدث إلى والدها المرحوم ، بدت الدهشة على الأفراد الذين يحاطونهم ، وهم يختلسون النظر بينهم ويدارون إبتسامتهم الساخرة , تحاول سارة قراءة الموقف ، المكان الذي يقفون فيه يبدو عليه أنه معزول عن الكرة الأرضية ، تظهر صحراء ورمال من نافذة المكتب الشاسع الجالسين بداخله ، رأت رجالاً ذوي الزي البدوي يسوقون أغناماً ، وهم يحملون أسلحة داخل ملابسهم ، صوت الأغنام يسري حول المكان ، لم يمر سوى القليل و سارة تتفقد أشكال الحراس ، يحملون أسلحة آلية بين أيديهم ، وسماعات حول أذنينهم ، لكن ما أكد لها ما يدور برأسها حول عدم مصريتهم ، بعض الألفاظ التي استرقتها أذنها ، كما أن مظهرهم يوحي بأنهم أوروبيون أو شيء من هذا القبيل ، شعرهم أصفر ناعم و عيونهم لم تظهر من النظارات الشمسية التي يرتدونها دوماً .

الواضح من الأمر أن هؤلاء ينتمون إلى جهة هامة وسرية في غاية الخطورة ، ذلك الأمر الذي استشفته سارة عندما سمعت صوت طائرة هليكوبتر تهبط بجوار المكان ، جعلت إنتفاضة تنبعث من وجوه الحراس وتوتر ، حيث حاول كل منهم الإلتزام بثباته وكأنهم فرقة عسكرية.

_دخل شخصاً تبدو عليه الهيبة يحوطه أربعة أفراد بأجساد عملاقة ، يبدو أنهم حراسته الخاصة ، يتحدث هذا الشخص إلى القائد الذي اصطحب الفتاتان إلى هذا المكان ، وهو في خضوع تام ، لم يبدو على محبة أي إنطباع عندما عرض عليها هذا الشخص بتسليم

الفلاشة التي تحوي تفاصيل بحثها مقابل ما تطلبه من ملايين الدولارات ، بل ووصلت الصفقة كما أخبرها إلى ثلاثة مليار دولار ، الأمر الذي جعل سارة تحاول أن تفيق من الصدمة التي انتابتها عند سماع حجم المبلغ المعروض ، اتسعت حدقة عينيها ، الدهول والدهشة يرافقانها ، لم تستطع أن تنطق ولو بحرف ، كما أنها لم تقاوم فمها على الإغلاق أو حتى تقاوم حلقها الذي جف فجأة .

(الفصل السادس عشر)

ذات العام الأليم الذي يمر على بيت أشرف نخيلة بعد وفاته ، والذي بات فيه الحزن والأسى روتين ، ليس فقط بوفاته بل والحالة التي وصلت لها محبة بعد حادثة فيكتور التي كانت كالقشة التي قسمت ظهر البعير ، فقد مات أشرف كمال نخيلة بعد الحادثة بلحظات أثر أزمته القلبية ، كما تأثرت محبة بإصتدام التمثال برأسها حيث أودت صدمتها إلى إرتجاج بالمخ ، ولم تكتفي بذلك بل أن سماع خبر وفاة والدها قد زادت الطين بله ، تدهورت حالتها إلى أبعد الحدود ، إلا بعض التحسينات الطفيفة التي بدت على حالتها في الأونة الأخيرة ، حيث بدأت بالتفاعل المحدود مع من حولها ، بدأ لسانها بالنطق منذ أيام إلا أن كلماتها نادرة إلى حد كبير، الأمر الذي جعل طبيبها النفسي مدير مؤسسة هاشم سند للطب النفسي قد أمر بملازمة إحدى الممرضات لها في تلك الفترة للعناية بمحالتها والدوام على علاجها بانتظام ، كما أنه أشار لصديقتها سارة في آخر مقابلة بأنه سيرسل لها ممرضة خاصة تلازمها البيت .

.....

_هل الربع الأخير من عام 2008، والخريف يعلن عن قدومه ، وحتى الآن لم تأت ممرضة هاشم سند إلى البيت ، إلا أن الخبر الذي وقع على مسامع أعضاء عائلة محبة أربك الجميع ، يعتبر أول خبر سار يدخل بيت نخيلة بعد وفاة رب الأسرة ، كان سبب السعادة وسبب الفرح التي عمت المكان رغم عدم وجوده ، حيث استلم عماد خطاباً موجهاً

لوالدته , في مفاداه .. ترشيح السيدة الدكتورة محبة أشرف كمال نخيلة لجائزة نوبل في الكيمياء نظرا لإختراعها عقاراً بإسم :

(**Brain eternity**) الذي كان الأول من نوعه في القضاء على العديد من أمراض العقل , وذلك بإدماجه بتقنية النانو التي تجعل منه عقاراً طبيّاً ذا تأثير بعيد المدى دون مصاحبة أي تأثيرات جانبية , قد تؤثر سلباً على حياة المريض , كما أنه خطوة للأمام نحو مشروعه في زراعة الذاكرة.

غمرت الفرحة أرجاء البيت , بكت ليلي لسماع حلو الخبر من حفيدها خصوصاً بعدما أخبرها بأن جده هو من قام بتقديم البحث إلى الجهات المعنية لترشيح محبة لجائزة نوبل , ورغم السعادة والأمل بالخبر إلا أن محبة لم تبدي أي ردة فعل نحو سماعها للخبر , بسبب حالتها المرضية التي تجعلها بلهاء , الأمر الذي جعل الجميع يفكر في أمر حضور حفل استلام جائزة نوبل الذي تبقى عليه نحو ستون يوماً , لا بد وأن تكون حاضرة بمدينة ستوكهولم بالسويد قبل الحفل على الأقل بأيام , مما جعل عماد وعبدالله يعمدان على إخبار سارة بالنظر في الأمر ومصاحبتها , وعدم تفويت تلك الفرصة .

.....

أبدت سارة بعض المبررات أثناء وقبل الحفل على حالة محبة ومرضها , السبب الذي جعل سارة أحد مرافقيها , كما تسلم الجائزة ابنها عماد المرافق الثاني لها , إعتذرت سارة للحضور عن الكلمة التي يجب أن تلقيها محبة نظراً لحالتها الصحية .

.....

_مشروع محبة (إنسانفريديا) لم يسلم كاملاً , ولم يعرف أحدهم بأمر زراعة الذاكرة التي توصلت له بالفعل بمعاونة (الغرفة الحسية المبرمجة) للعقار , مما جعلها تشك في أمر المشروع , فكانت تسأل نفسها مراراً.. لماذا د. أشرف لم يقدم المشروع كاملاً.....؟! وبالطبع لم تجد أي إجابة , لأن تلك الإجابة قد دفنت معه في قبره ولم يستطع أحد أن يتوصل فيما كان يفكر..؟ ,

لم تدرك محبة حينها أنها أصبحت أيقونة للعلم ومثال للمرأة العربية والمصرية , فقد كانت أول امرأة مصرية تحصل على نوبل سواء في الكيمياء أو في أي مجال آخر , لمع اسمها , ذاع صيتها , ليس في حدود الأسكندرية ومصر بل تعدت أسوار العالم , قدمت لها المنح والبعثات من كبرى الجامعات العالمية , عروض لا تنتهي بتولي مناصب ليست هينة في أكثر من دولة , حصلت على الدكتوراة الفخرية من أغنى الجامعات الأمريكية , ومنحة بالتدريس بذات الجامعة , لكنها لم تدرك ما وصلت إليه , لم تدرك أهمية ما أنجزته , لم تعبأ بكل تلك المغريات , حيث أنها باتت داخل حجرتها بعدما وطأت قدمها أرض الوطن , ولم تعد تغادرها إلا نادراً , ورغم الفخر لأبنائها وأمها بل وكل من يعرفها , إلا أن مرضها وحالتها لم تتجه نحو التعافي بل بالعكس , أخذت تسوء حالتها يوماً بعد يوم .

.....

دق جرس الباب في إحدى الأيام وإذا فتاة بديعة الحسن والجمال ، تقترب ملاحظها إلى حد كبير من ملامح محبة في ريعان شبابها ، أو ربما تقول أن التشابه يتمثل في كمية البراءة التي تنبعث من وجهها ، كانت ذات عينين عسليتين ، يميلان إلى الخضرة ، يستقران وسط وجه دائري أصغر حجماً من وجه محبة ، ذات أنف مستقيم وشفتان صغيرتان يحتضن كل منهما الآخر في أغلب الأحيان ، يغلب على وجهها الحمرة أكثر منه بياضاً ، وتزداد حمرة عندما تضحك ، شعرها يميل أيضاً للحمرة عنه إلى الأصفرار ، يميز شعرها فالق في المنتصف يظهر مقدمته من حجاب يتمثل على رأسها ، متوسطة القامة ، نحيلة الجسد ، ليست متفجرة الأنوثة تراها بنت مابين الطفولة والبلوغ ، لإمتلاكها حيوية وكمية من البراءة لو وزعتها على بنات جيلها لكفتهن .

(عائشة) كما أخبرت ليلى عند ظهورها على حافة باب المنزل ، الممرضة المعنية لحالة محبة ، والذي أرسلها الطبيب هاشم سند لمتابعة الحالة على حد قولها ، ثم تذكرت أن تبدي أسفها الذي بعثه الدكتور هاشم نظراً للتأخير ، كما أرسل برقية تهنئة للدكتورة محبة نظراً لحصولها على نوبل ، أقامت عائشة في الغرفة التي حددتها لها ليلى ، حيث انتقت واحدة تكون قريبة من غرفة محبة ، حتى تحوطها برعايتها ، وبجوار غرفتي عبدالله وعماد اللذان اكتسبا إنطباعاً حسناً لـ عائشة من أول لقاء بينهم ، ولاسيما محبة التي ترسم على وجهها ابتسامة عريضة كلما وقعت عينها عليها ، والتي باتت لها كملاك رحمة ، تعدت أعمال عائشة من كونها ممرضة ترعى مريضاً إلى اختاً لأبنائها وابنة بارة لـ ليلى التي أحببتها كثيراً أيضاً ، نظراً لهدوء طباعها ، وتعاونها داخل البيت كأحد

أفراد الأسرة , فقد كانت تبالي دائماً لمتطلبات ليلي وإحتياجات البيت , كما أنها تركت إنطباعاً أكثر من جيد لدى الخدم , تساعد الصغير والكبير , حملت أكثر المسئولية عن ليلي والأولاد تجاه محبة , وضعت على عاتقها أحمالاً أشد من طاقتها .

.....

_وبعد حلول عام 2009 بشهور قليلة , تم الإفراج عن أحمد مجدي العزازي بعد العفو الذي صدر لصالحه بمضي حوالي سبعة عشر عاماً أو يزيد , كان العفو بناء على اكتمال ثلاثة أرباع المدة , وذلك بسبب ما أحواه ملفه الذي اشتمل على حسن السير والسلوك , لم يصدق أحمد خبر العفو رغم معرفته المسبقة , أصبحت علاقته بزملائه وبضباط السجن علاقة جيدة يضي عليها الأدب والإحترام والتعاون , حتى تمكن من وضع إنطباعاً جيداً لدي مديري السجن وعناصره , الأمر الذي ساعده على صدور قرار العفو .

_خرج أحمد من باب السجن , لباسه مهترئ , الشعر يغزو وجهه , لحيته تكاد تصل إلى صدره , ورغم البؤس الذي بدا عليه , إلا أن إرتسمت إبتسامة أمل على وجهه أمام باب السجن , أمام حريته التي سلبت منه منذ سبعة عشر عاماً أو يزيد , لاحظ شاباً يحملق به من بعيداً مبتسماً , أخذ يدق النظر , وجد الشاب يقترب عليه رويداً , وهو يرمقه بنظرة إفتقاد , لم يستطع أحمد أن يتعرف عليه إلى أن اقترب الشاب متعاطفاً :

” حمدالله على سلامتك يا عمي“

رمى أحمد الشاب نظرة استفهام ، ورغم أن الشاب يقف أمامه مباشرة ، وهو باسط ذراعيه ، وضحت ملامحه التي تبدو مألوفة له ، لكنه في حيرة من أمره ، إلا عندما نطق الشاب مرة أخرى :

“أنا عبدالله عماد العزازي.. ابن أخوك!!!!!!”

وفي تلك اللحظة سقطت دمعة تقف على حافة عينيه ، ثم توالى دموعه وهو يجذب عبدالله بين ذراعيه بشدة محتضناً إياه ، حتى بللت دموعه لحيته التي تخللها بعض الشعيرات البيضاء ، طال احتضان أحمد بابن أخيه وكأنه وجد طوق نجاه ، لم يرد إفلاته من بين ذراعيه .

أمسك عبدالله يد عمه متجهاً نحو السيارة التي تصطف على الجانب الآخر والسائق بانتظارهم ، لم يحرك أحمد عينيه عن عبدالله الذي تبدو الدهشة على وجهه وهو يقول في نفسه يالها من سنوات ، فقد أصبح أولاد أخي رجلاً ، وقلبه يعتصر حزناً وألماً على سنوات عمره التي ضاعت هباءً ، وعلى ما تسببه من ألم لزوجته أخيه وأبناء أخيه اللذان جاءوا الحياة أيتاماً بسببه ، رغم علمه أنه ليس الفاعل الحقيقي للجريمة ، لكن تواجهه وتفاعله مع تلك الجماعة التي لازمها منذ سنوات ، ما يشعره بالذنب نحو ما حدث لأخيه وأولاده .

سارع عبدالله مصطحباً عمه بيده حتى إرتادا السيارة ، وأحمد يحاول إسترقاق النظر للحياة التي تطورت ، التي أغفلها أثناء مكوثه داخل السجن ، و أثناء سير السيارة في طريق العودة ، يري أشكال السيارات الأنساوية الجديد ، والهواتف المحمولة بين يدي أفراد

الشعب ، حتى موضة اللباس تغيرت ، أشكال الناس تبدلت ، اللغة تطورت حيث أصبحت أكثر ركاكة وبذاءة ، البيوت والمعمار ، الزحام والضوضاء ، شعر بأنه ضيف غريب كائن بدائي بين البشر ، يحاول أن يتعرف على ماهو جديد ، ينظر باستعجاب لـ عبدالله وهو يتحدث في هاتفه المحمول الذي لم يعاصره ، يشعر بأنه فاته مايزيد عن مائة عام ، كان آخر ما حضره قبل دخوله السجن في أوائل التسعينات ، التلفاز الذي اشتراه أبيه بالتقسيط والثلاث قنوات التي كانت بمثابة إعجاز تكنولوجي ، أما عن الأمر الأكثر كوميديا عندما سأل عبدالله عن الأطباق المتراسة فوق أسطح البيوت والعمارات حيث أنه سمع كلمة (دش) ، أول ما خطر لذهنه (دش الحمام) ، الأمر الذي جعل عبدالله وسائق السيارة يضحكان بطريقة هستيرية ، إلا أن شرح عبدالله ماهية طبق الإرسال والاستقبال المسمى بالدش ، حيث أنه بمثابة إريال التلفاز مستقبل الإشارة القديم لكنه أكثر تطوراً ، ويستطيع بث قنوات غير مصرية عن طريق الأقمار الصناعية .

أحمد يستمع لـ عبدالله في دهشة وبذهول ، حتى وصولهم الفيلا ، وعند دخولهم من الباب الخشبي ، أخذ الجميع ينظر لمظهر أحمد المريب ، رمقت ليلي حفيدها نظرة استفهام ، حتى لاحظ بعض العاملين داخل الفيلا شكل الضيف المريب المزعج ، إلا أن تقدم عماد بحيث اقترب من عمه مرحباً وبتودد إلتمح بحسده شوقاً وعطفاً ، كان هذا متفق عليه بين التوأم منذ شهور ، عندما أخذوا يتابعوا أخبار عمهما داخل السجن ، واستقباله ساعة خروجه ، ناول عماد باشكير – فوطة استحمام – لعمه وطاقم من الثياب الجديدة وهو يوجهه نحو المرحاض ، ويشير إليه باستعمال ماكينة الحلاقة للتخلص من الشعر الذي

غزا وجهه حتى يستعيد نشاطه ، دخل أحمد الحمام وهو يستشعر إفتقاده للأدمية والنظافة ، أغلق أحمد باب الحمام في شوق وكأنه لم يأخذ حماماً منذ أن خطت قدماه السجن .

_خرج أحمد من الحمام على استحياء ، قد مكث مايقرب من ساعة ونصف ، توجه نحو أبناء أخيه الجالسان في صالون الفيلا ، يعتلي وجهه ابتسامة يصاحبها الخجل بعدما تخلص من لحيته تماماً وقضي على شاربه المتهدل ، أصبحت ملامحه أكثر وضوحاً ، إقترب من أحد المقاعد بجوار الفتیان ، وكانت أول جملة نطقها بعدما استقر على المقعد وهو يحرك ناظريه بين التوأمين فخرّاً وافتقاد :

” كان نفسي أشوفكم من زمان.. وحشتوني قوي.. وأبوكم الله يرحمه كمان وحشني قوي.. أنا.. أنا اظلمت ، بس مش زعلان على العقاب الي ربنا كتبولي ، تمتاشر سنة وأنا في السجن ، دموعي بتنزل على فراق أخويا ، مكنش فارق معايا أّسجن أو حتى أّعدم... يمكن...يمكن ربنا إدالي العمر عشان أشوفكم رجاله ، وأشوف أخويا فيكم.. وعلشان كمان أثبتلكم إني عمري ما فكرت في جريمة بشعة زي دي.. أنا يا ولاد برئ من قتل أبوكم.. لأنني والله ماعملت كدة وفعلّا اّظلمت.. لكن الي مش مسامح نفسي عليه.. إني كنت سبب من أسباب قتله علشان الجماعة المجرمة الي كنت معاهم.. الي كانوا بيكفروا أي حد لمجرد إنه يخالفهم في الرأي.. وبسهولة جدّا يهدره دمه ويقتلوه.. أسهل حاجة عندهم القتل.. القتل الي بيقرّبهم من ربنا.. حسبي الله ونعم الوكيل.. حسبي الله ونعم الوكيل“

لمعت عين أحمد أثناء حديثه وشارفت الدمعة على السقوط ، إلا أن قاطعه أحدهم بلطف وهما يحملقان في عمهما والإبتسامة تعتلي وجهيهما :

“ هو بابا الله يرحمه.. كان شبهك كدة يا عمو ”

ذهب أحمد بنظرة بعيداً ، ثم حاول عماد أن يلطف الجو قليلا ويبعدهم عن تلك الذكريات المؤلمة ، إلا أن تذكر أحمد أمه التي انقطعت عن زيارته منذ مدة ، وأنه في شوق لرؤيتها واحتضانها ، أردف عماد قائلاً :

“ لما كان عبد الله في طريقه ليك بعثلهم السواق يجيبهم ، علشان عاملين لهم مفاجأة ، أصل هما لسه ما يعرفوش إنك خرجت النهاردة ”

نظر أحمد لأولاد أخيه بفرحة عارمة ، يصاحبها دموع إشتياق لوالديه ، حيث شعر أحمد بملاكين يقف أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره ، يشعان طاقة حب وألفة وحنان ، لم يشعر بهما من قبل إلا بحضن أمه ، حتى أردف أحدهم :

“ إحنا عيلتك يا عمي ، إنت زي بابا اللي ماشوفنهوش ”

مسح أحمد دموعه ، غمره شعورين متضاربين ، ندمه وشوقه لأخيه ، وجمعه بأبناء أخيه اللذان خيبا ظنه بأنهم لن يسامحاه على فعلته تلك ، بعد أن تدخل عبد الله وأخبره بما لقنته لهم والدتهم ونفيها لقتل عمهم لأبيهم ، وأن كل ما يحمله عمهم على عاتقه من مقتل أبيهم هو إنضمامه لجماعة سرية تدعي أنها إسلامية وأنها تطبق شرع الله ، مما طال الأذى جسد عائلة العزازي بأكملها ، فقد قضت تلك التعاليم التي بثتها الجماعة في أعضائها

على عائلة بأكملها ، ليس على أبيهما فقط الذي مات غدراً ، بل والسنوات التي فقدوها
 عنهما بسبب قضية لا دخل له فيها.. أو بمعنى أدق أنه شارك فيها سلباً ، لم يك يعي
 خطورة إنضمامه لجماعة تحرم وجود من حولها ، فبالفعل أنهت تلك الجماعة التي تعلم
 وتبث ثقافة الموت على عائلة برمتها ، أحدهم قتل في ريعان شبابه ، تيتيم طفلين قبل
 وصولهما للحياة ، ترملت زوجة لم تكمل شهوراً على زواجها ، ضياع سنوات من عمر
 شاب في مقتبل العمر ، مرض وأسى أبوين لم يحتملا ما حدث لولديهما ، فقد مات
 أحدهما والثاني يقبل على الموت ، فما الأمل الذي بقي لهما؟

أفاق أحمد لبرهة وهو يمسح عينيه من الدمع ، سكت الجميع عند صدور صوت السيارة
 التي تقل الحاج مجدي وزوجته الحاجة سعاد ، الأمر الذي جعل أحمد يهرول خارجاً ،
 ليلقى والديه بلهفة وشوق وحرمان ، أرتى أحمد في أحضان أبويه ، انهالت الدموع من
 أعينهم من هول اللقاء الغير متوقع ، الفرحة تغمرهم ، بعد قليل لاحظ أحمد عدم وجود
 زوجة أخيه ، يريد أن يسلم عليها ، يرجو منها العفو والسماح لما اقترفه ، باغته عماد قبل
 أن يستكمل سؤاله عن محبة ، بأنها تقيم دائماً وحيدة بين جدران غرفتها ، تعاني من مرض
 نفسي حاد - فقدان ذاكرة نفسي - كما أنها وصلت لحالة يرثى لها ، بدا الحزن على وجه
 أحمد لما سمعه عن حالة محبة ، حتى قطع حديثهم صوت مكبر صوت المسجد القريب
 ليعلن عن موعد صلاة المغرب ، حتى استأذن ليتوضأ ، ثم هب مع الصبيان .

_توجه أحمد للغرفة التي عينها له عبدالله بجوار غرفة أبويه ، بعدما أقنعه الفتيان أن
 يقيم معهم تلك الفترة حتى تستقر حالته ، بدأ عماد يردد إقامة الصلاة ، فقد عمد أن

يصلي في حضرة عمه سويا كجماعة ، أشار عماد لعمه بإمامة الصلاة ، وبعد البدء ، انسحب عماد للوراء قليلاً ، بعدما كان يقف بمحتذاة عمه ، وعندما أنهى أحمد صلاته وهو يلتفت للخلف ، ليجد عبدالله يجاور أخاه في الصلاة ، ورغم حكي عبدالله وعماد لقصة ولادتهم وأن عبدالله تعمد في الكنيسة حيث بات مسيحياً مثل أمه كما تراه عقيدته بأنه في كنف المسيح طالما تمت معموديته ، إلا أن سأل أحمد بسذاجة وهو يتسم :

“ انت أسلمت يا عبدالله..؟.. ما شاء الله ؟

ضحك الشبان ضحكات متقطعة ، ثم أردف عبدالله :

“ أحي علمتنا إننا كلنا موحدين بالله ومسلمين لله ، وكل منا يختار الطريق الأقرب لقلبه ، علشان يقوى علاقته بربنا ، وأن العبادات والطقوس في الدين تعتبر وسيلة للتواصل والقرب من الله ، دائماً بنصلي أنا وعمدة مع بعض ، علمتنا كمان أن طريق الله بإختيارنا ، ولم تجربنا على الإلتزام بعقيدة ، علمتنا تعاليم الدين الإسلامي بروحه وعدالته ، وعلمتنا الدين المسيحي بحبه وسماحته ، وبعدين لما كبرنا حاولت تدينا حرية في اختيار الدين ، وعرفتنا إزاي الي حصل ، إن جدي أسامة هو الي قام بمعموديتي وأجبر جدي أشرف على إني أكون مسيحي زيه ، ورغم إن الموضوع كان فيه تزوير قولت إنها إرادة ربنا ، وبعدين ده كلام على ورق “

تنهد عبدالله ثم ابتسم إبتسامة عريضة وكأنه تذكر موقفاً مضحكاً أو ما شابه ثم أكمل :

لإنعدمت القبلية إلى الأبد ، ولاقترب الفكر العقائدي في جميع الديانات السماوية ، فالمذهبية جعلت التشتت داخل المنهج الواحد ، ومع ثقافة رفض الآخر أصبح الأمر أكثر عدائية وتطرف .

ذكر عماد وعبدالله العديد من المواقف التي واجهونها داخل دور العبادة ، سواء من شيوخ المساجد أو من قساوسة الكنائس ، وجدوا الكهنة يبنون التعاليم وكأنهم موكلين عن الله بحماية الدين وتعليمه ، ودائماً يعتقدون إنك إذا ولدت مسلماً فأنت تكرمتم وولدت على دين الحق ، كذلك في المسيحية ، إذا ولدت في أسرة مسيحية فأنت على دين الحق ، كل يرى نفسه صاحب الدين الحق ، فبالتالي الآخر في ضلال وعلى خطأ ، ولم يستوعب كل منهم أنه ورث الدين ، ولم يك بيده شيء ، ذكر عبدالله عماد بالقس الذي كان يتحدث في إحدى المرات عن حرمة مجاورة الطائفة الإنجيلية – البروتستانت – ، وأنه سيحرم أي فرد يتعامل معهم من التناول والمباركات هو وعائلته كاملة ، وأخذ يتلفظ بتراهات ، ويقول أنهم يعبدون إله غير إلهنا ويسوعهم غير يسوعنا ، ورغم أنهم مسيحيون إلا أنه كفرهم ووجهم وذم عقيدتهم .

الطائفية والعنصرية بل والدوغمائية بعينها ، صحيح لم يمثل هذا الكائن المسيحية أو الأرثوذكسية لكنه يسئ لها ، أصبحت الدوغمائية تتمكن من عقول البشر ، بل وعقول كهنة الدين ، فتنمو الدوغمائية بطريقة شرسة بين الكهنوت..

وإذا كانت المسيحية تتصف بالكهنوت ، فقد وضع المسلمين أيضًا كهنوتًا لهم ، رغم رفض العقيدة الإسلامية لتلك الفكرة إلا أنها تخللت بكثرة ، ولم يعد يتقبل أحدنا الآخر ، ولم تقتصر تلك الدوغمائية بين الأرثوذكس والبروتستانت والكاثوليك ، فنراه وبشدة بين السنة والشيعة ، الذين يشتركون فقط في الأفعال الشيطانية.

يتابع أحمد الذي انتقل لصالون الفيلا محبة وهي تستند على عماد ، ينزلان من أعلى الدرج ، تعني أحمد إبتسامة يصاحبها الخجل والخوف ، لم يحرك عينيه من على محبة حتى اقتربت ، وهو يقف باسطاً يده ليصافحها وعماد يحاول نكز أمه لتدفع يدها ، سلمت محبة على أحمد بفتور ، لم يدرك أحمد الحالة التي وصلت لها زوجة أخيه ، إلا أنه عاجله عبدالله بنظرة تبرر موقفها ، وأنها تمر بأزمة صحية وحالة نفسية غير مستقرة ، أحياناً يبدو عليها التحسن وأحياناً كثيرة تسوء حالتها ، الأمر الذي جعل عبدالله يشرح معاناة أمه التي دامت شهور ومازالت ، حتى نفى عنها عدم استقبالها لأحمد استقبلاً يليق ، تفهم أحمد الأمر بحزن داعياً الله لها أن يتم شفائها على خير .

ظل أحمد وأبويه أياماً بمنزل نخيلة بين أولاد أخيه ، حتى زاد شعوره بالثقل والخجل ، وكلما كان يحاول المغادرة كان يوقفاه الولدين ويبديان سعادتهما بوجودهم ، وأنه لم يكن ليزعجهم ، اعتادت ليل وجود أحمد ووالده بينهم ، رغم معارضتها في أول الأمر ، لكن عند معاشرتها لـ أحمد وجدت فيه إنساناً مغائراً لما احتسبته ، بدأت تستلطف وجوده خصوصاً بعدما بدت شخصيته ، كان دائماً ما يضع يده بيد عائشة في متابعة حالة محبة ،

اهتم لحالها ، أصبحت شغله الشاغل في تلك الأيام ، يسهر بجانبها ، يلبي إحتياجاتها مع عائشة المريضة ، لدرجة أنه أصبح يدير حياتها العلاجية حتى في عدم وجود عائشة .

الغريب في الأمر تلك الملاحظات التي كانت تعمل عائشة على تدوينها عن حالة محبة والتي استعجب أحمد و ليلى لها ، كثيراً ما كانت تفتعل أشياء لم يفسرها أو يفهما أحد منهم ، فقد كانت إحدى تطورات حالتها ، أنها كثيراً ماتقوم في ثنایا الليل عند سماع صوت إذان الفجر خاصة ، فتتجه نحو المرحاض ، ثم تخرج وكأنها كانت تتوضأ ، وبالفعل تمكث في غرفتها على سجادة الصلاة وتصلي ، ثم تفتح المصحف بعد الإنتهاء وتقرأ فيه بصوت جهور ، بل أنها في ذات الليالي قد مكثت حتى ختمت المصحف كاملاً ، وأحياناً بعد صلاة الفجر تجلس تقرأ في الكتاب المقدس ، ثم تمتثل أمام تمثال العدرا ، الذي يستكين بجانب فراشها وتصلي بصوت جهور أيضاً ، وكأن لم يك حولها أحد ، بدا الأمر غريباً جداً لمن يراقبونها ، لكن كانت تعليمات عائشة التي نقلتها بناءً على أوامر الطبيب في عدم معارضتها في أية أفعال ، أو حتى إنتقادها حتى لا تصدم فتسوء حالتها ، بل أكد على الدقة في ردود أفعال من حولها ، لأن مريض فقدان الذاكرة النفسي قد يصاب في كثير من الأحيان بـ (نوستاليجيا) ، فيحن إلى بعض ذكريات الماضي ، لذلك على من حوله عدم إبداء أي تعليق أو ردود فعل تناقضية .

لم يتوقف الأمر على تلك التصرفات العجيبة ، طلبت ذات مرة من والدتها أن تتناول في الكنيسة التي إعتادت إرتيادها والصلاة فيها ، وبالفعل لم يستطع أحداً أن يعارضها ،

اصطحبها ولديها مع أمها وذهبوا جميعاً للكنيسة ، وبعد تناولها بدت ملامحها تتغير ، سكت لسانها ، إلتفتت حول ذاتها ، أخذت جنباً في ساحة الكنيسة ، بعيداً عن الجمع ، عدلت الشال الملفوف حول كتفها إلى رأسها ، ثم وقفت تصلي صلاة كالمسلمين داخل الكنيسة ، الأمر الذي أزعج القس ، إلا أن ليلى قامت بشرح حالتها ، ورغم ذلك لم يوقف نهيق القس إلا بعض الحضور التي وتجهت كاميرات هواتفهم نحوها ، حيث التقطت بعض الصور لها أثناء فعلتها ، مما أثار الريبة في نفسه فأراد تحسين صورته ، لأنه تأكد من زيع صيت ما يحدث ولم يرد إظهار صورته بطريقة غير مرغوب فيها .

_زادت الأمور تعقيداً بعد تسريب ونشر تلك الصور ، وكتابات الصحافة ، كما تصدر ذلك الخبر الذي أثار صده أبعاد مما يتصور البعض ، عن امرأة مسيحية تصلي صلاة المسلمين داخل الكنيسة ، ويزيد على ذلك شهرتها وصيتها الذي زاع على الصعيد المصري والدولي بعد حصولها على نوبل ، فأضحت محبة حدوتة الشارع المصري ، حتى رشحت الكنيسة الأرثوذكسية بعض العناصر لمتابعة حالتها ، ومعرفة هل قد أسلمت تلك المرأة بالفعل..؟ ، أم أنها تحتلق قضية مرضها النفسي حتى تستعطف الكنيسة ولا تحاسبها ، وما سر تلك المرأة التي أحدثت جدلاً في الرأي العام المصري..؟

وعلى ذلك كانت ذات الرؤية التي نظرت لها الجهات الإسلامية والأزهر والعناصر التي تدخلت أيضاً لحماية المرأة المسيحية التي إهتدت للإسلام ، وضروة حمايتها تحت المظلة الإسلامية ، وبكل أسف تحولت حياة محبة لصراعات ومداولات ، كل فريق يريد الفوز بلاعب جديد ، الكنيسة تريد إثبات أمر مرضها وأن الأمر لن يتعدى المرض النفسي

بشهادة أهلها وأنها مازالت مسيحية ، والأزهر يتردد في عرض الحماية لها ولعائلتها ، إذا كانت تنتوي إشهار إسلامها خصوصاً بعدما علموا بأن زوجها كان مسلماً .

صراعات ومداهمات ولم يفكر أحداً في مصير أيقونة مثل الدكتورة محبة نخيلة المرأة المصرية الوحيدة التي حصلت على نوبل ، بل أن الجميع يريد الفوز بشخصية عامة مثل محبة ، ولم يشعر أحد بمعاناة تلك العائلة ، لم تكن محبة لتدرك تلك الصراعات والأحداث العصبية التي تمر بها ، فهي في عالم استثنائي ، بعيداً تماماً عن عالم هؤلاء .

_توالت الزيارات ، وكثر الزوار من شيوخ وقساوسة وصحافة وإعلام ، إلا أن توجت الزيارات بالزيارة الأهم من نوعها ، زيارة عمر نصر الذي جاء خصيصاً للإطمئنان على حالة محبة ، لمؤازرة العائلة في محنتها ، مما سمع عنه في الأونة الأخيرة عن أخبار محبة نخيلة التي تصدرت الجرائد والصحف وجميع وسائل الإعلام .

اطمئن عمر نصر على حالة محبة ، كما أبدى بعض النصائح ، بعدم تواجدها كثيراً أمام الرأي العام لأنها أصبحت شخصية أكثر شهرة ، ثم حاول تلطيف الأجواء عن فيكتور والحالة التي وصل إليها ، وضرورة رجوعه للبيت بين أحضان أمه و أخته ، ونسيان الماضي الأليم ، وأثناء حديثه في الحديقة مع ليلي وأحفادها ، خرج أحمد مجدي الذي اصطدم بوجود عمر نصر في الفيلا ، بدا عليه التوتر والقلق ، إلا أن كسر عماد النظرة الثاقبة التي تنبعث من عين عمر نصر تجاه أحمد ، حتى أزال التوتر القائم بينهما ، ثم بين لـ عمر عن سلوك أحمد وأهمية وجوده بينهم ، وأنه أصبح شخصاً غير ذي قبل ، وبالفعل تلاشى الإرتباك والتوتر اللذان يبديان على أحمد بشكل واضح ، وتحسنت

العلاقات بين عمر نصر و أحمد مجدي ولم يجد عمر سبيلاً لمعاداة أحمد لأنه ورغم عنه يعتبر عمّاً لأبناء محبة ، وإنه بالكاد يعتبر ضعيفاً وسط العائلة ، قطعت سارة حلو الحديث القائم بين العائلة و عمر نصر الضيف الذي حضر خصيصاً ليس فقط لمحاولة تحسين العلاقات بين فيكتور وعائلته ، بل ولإطمئنان على محبة التي تزداد أهمية لديه يوماً بعد يوم ، رحب الجميع بـ سارة التي طال غيابها منذ رجوعهم من ستوكهولم بعد حفل تسليم نوبل ، إلى أن لفت نظرها الشاب الذي يجلس جانباً ، وهو يحملق بها مبتسماً ومرحّباً ، تغيرت ملامح وجهها عندما تأكدت من شخصيته ، أنه شقيق صديقها عماد زوج محبة ، وهي توجي ببعض الكلمات التي لم تلق قبولاً لدى أحمد ولدى الجميع ، وهي تومئ بشفتيها دليلاً على السخريّة والنفور.

_ انتهى اليوم الحافل بالزيارات ، رافقت عائشة محبة لغرفتها حتى تتناول دوائها الذي حان موعده قبل النوم ، وفي تلك الليلة جلست عائشة بجوار سرير محبة تمازحها حتى غلبها النعاس ، فكانت تراودها العديد من الكوابيس والمنامات التي تقلق راحتها وتوقظها مفزوعة في الأونة الأخيرة ، إلا أنها قد غاصت في تلك الليلة التي طالت مجاورة عائشة لها في نوم عميق ، حيث ارتسمت ابتسامة طفيفة على شفتيها وهي يغالبها النعاس ، كانت آخر ما تراه هي عيون عائشة التي تبث عطفاً وحنان .

(الفصل السابع عشر)

فتحت محبة عينيه في صباح يوم مشرق ، ظنت أنه طال رقدتها منذ شهور ، تتأثب وهي تطق ذراعيه ورقبتها ، حتى تطرد الكسل والخمول الذي كسى جسدها ، لكن تلك النظرة التي تنبعث من عينيه في إشراقة الصباح توحى بتحسّن حالتها بالكاد ، لربما كانت تراودها أحلاماً سعيدة تسببت في تلك الابتسامة التي ارتسمت على وجهها ، أو أنها ذات الابتسامة التي أنهت يوم أمس بمرافقة عائشة ، تلتفت يميناً ويساراً ، تبحث عن شيء ما ، ربما تبحث عن الجندي المجهول أو ملاك الرحمة الذي كان يلازمها منذ وعكته التي مر عليها شهور عديدة ، عانت فيها محبة كثيراً من هذا المرض النفسي الذي أصابها ، كانت نظرة توأميه هي الأمل التي تحيا به حتى أثناء وعكته ، إلا أن هناك سبباً رئيسياً غير تلك العقاقير أدى لتحسّن حالتها وانتشالها من غياهب المرض ، فرداً لعب دوراً أولياً بارزاً في استعادة وعيها وذاكرتها بل وشفائها ، يبدو أنه ما تلتفت عليه الآن بحثاً عنه ، هتفت محبة بصوت عال بإسم رفيقتها عائشة ، كانت أول مرة تنطق اسمها منذ تواجدها معها ، كررت نداءاتها على عائشة لكن لا أحد يستجيب ، تلك المرة الأولى التي يعلو فيها صوت محبة حد النداء منذ إصابتها بهذا المرض .

_دقات على باب غرفة محبة وإذا بأمرها تدخل عليها ، السعادة والأمل يعتليان وجهها ، حاولت أن تدرك التحول الجذري الذي تراه أمام عينيه لحالة ابنتها ، لم تبدي ليلي إهتماماً بسؤال محبة الملح عن عائشة ، كان يشغلها تعافي حالة ابنتها بعد صراع من المرض والألم ، أجابته ليلي مؤخراً على سؤالها ، وهي تمسك وجه ابنتها بين كفيها ، بأن

عائشة لربما تكون في غرفتها أو في المطبخ ، إنهاالت القبلات والصلوات على محبة وأمها
تعتصرها بشدة بين ذراعيها من فرحة عودتها من المرض ، والعبرات تسيل على وجنتيها
من شدة السرور والسعادة ، لم تصدق ماتراه عيناها .

.....

“ يجب أن أرحل ، قد حان الوقت ، وتمت مهمتي ، أريد أن أبوح لك بما يحوييني ، إني
أحببتك بطريقة تجاوزت كل الحدود ، وسأشتاق لكم جميعا ، لكن مع رحيلي هذا
تأكدي أنني لن أتركك ، فأنتي معي دائما ، وستظلين تحت رعايتي ، مهمتي الأكبر هي أنتي ،
فقد أدركت هالة الحب التي تحوطك رغم سقمك ، والتي تكفي من حولك وأكثر ، أنت
إنسان بالمعنى الألهي ، أنت أقوى من مرضك ، فمن يملك السلاح الذي تحوزينه يكون
قادراً على مواجهة العالم ، سلاح الحب الذي أصاب من حولك كما أصابني ، مخلوق رباني
يستحق كل التقدير ، الآن أدركت لماذا أمر الله الملائكة أن تسجد لبني
البشر.....!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!

تحياي لك ، وأتمني لك دوام الصحة والعافية ، حتى تستطيعين أن تكلمي رسالتك، تحياي
لمن أشرف على نشأتك ، تحياي لمن تشرفين على نشأتهم..
عائشة.....”

_تقرأ محبة رسالة عائشة التي وجدتتها على الكومود بجوار فراشها ، بعد البحث عنها في أرجاء البيت ، لم تدرك محبة الأيام والشهور التي قضتها معها عائشة وهي في غياب المرض ، لكن ذلك اليوم الأخير وبعد يقظتها من نومها شعرت وكأنها تعانق عائشة ، تلك الممرضة التي باتت لها ملاك الرحمة ، ودائمًا ما تراودها تلك الكلمات التي تركتها لها على قصاصة الورق .

أما الأمر الغريب تلك الرؤية التي لطالما تراودها منذ سنوات ، فقد اقتحمت عائشة تلك المرة _ ذات الليلة _ رؤياها ، ظهرت عائشة تشبه طيف مريم العملاق الذي يقطن وراء الشجرتين العظيمتين ، وكأن العذراء تهمس في أذن عائشة ، فظهرت حقنة في يديها ، تحاول مداعبة محبة لتناول حقنة الدواء ، ثم غرستها في رقبتها لكنها لم تشعر بأي ألم ، ثم بدأت تذوب في الأفق حتى تلاشت وهي تباد لها نظرة استحسان وعطف .

كثيرًا ما يساورها التفكير بعائشة قبل نومها ، كانت تريد أن تراها مرة أخرى في الحلم الذي يراودها ، لكن دون فائدة ، لم تنس محبة عائشة قط ، لكن مرور الأيام تجعل من ذكرانا صورة أو ملامح مشوشة ، نسترجع فيها ذكرياتنا مجلوهها ومرها ، نبتسم لها ونضحك ، نحن ونئن ونبكي ، لكنها في الحقيقة تبيت كالسراب في أذهاننا.

تعافت محبة كلياً من مرضها ، تحسنت ذاكرتها ، تقبلت وفاة والدها الذي كان السبب الرئيسي في تدهور حالتها ، ناهيك عن الحادثة ، عمدت على إكمال مسيرتها ، وأبنائها

للذان شرفا على دخول الجامعة ، بعد حصولهما على تقدير ودرجات عليا في الثانوية العامة ، وضعت كل طاقتها وهي تنظر لشهادة التقدير والميدالية التي حصلت عليها من نوبل في إكمال مشروع بيت الله التي باحت بسر لوالدها والذي أخذ خطوة نحو المشروع بشراء قطعة أرض شاسعة المساحة ، يمكن أن ترفع أسوار مدينة كاملة عليها ، والتي كانت السبب الرئيسي في الخلاف بينه وبين فيكتور ، أجلت نقاش موضوع (الغرفة الحسية المبرمجة) مع سارة بعدما أخبرتها أن والدها لم يذكر هذا الجزء ضمن المشروع (إنسانفرينيا) ، زادت حيويتها ورغبتها في إقامة (بيت الله) ، وبالفعل أخذت الخطوة الأولى في طريق الألف ميل .

جلست تتذكر آمال زوجها في تنفيذ مشروع (بيت الله) كما كان يتصوره ، بأن يضم المشروع مركزاً تعليمياً وثقافياً ، يمد النشء الجديد بمناهج أخلاقية وسلوكية وإحياء روح المعاملة والوطنية وكسر شوكة العنصرية والمذهبية ، بحيث أن يتسع للجميع ، بجانب مركزاً صحياً متطوراً يقوم بمتابعة حالات الأطفال ، والإهتمام بالصحة العامة ، والتدقيق على إعطاء وجبات صحية تساعد على إقامة جيل نقي صحياً وعقلياً ، ومن ثم إقامة بناء ضخم يضم مسجداً وكنسية لممارسة الشعائر الدينية والصلوات تحت رعاية الأزهر والكنيسة ، وتقريب روح الدين بين الأطفال ، وعدم ترسيخ فكرة الانفصال الديني ، وثبوت ثقافة التعامل وتقبل الآخر، وأن يقوم أساتذة متخصصين مثقفين بنشر دعوة الله ودين التوحيد على منابر دور العبادة ، كما يشمل المشروع أماكن مخصصة لتنمية مهارات الأطفال ، ولاسيما الترفيه بين نشء ونتاج الشعب بجميع أطيافه ، ثم يتم تصدير هؤلاء للمدارس في السن المعني لذلك _ الست أو السبع سنوات _ ، بعدما يكون

قد قضى الطفل ما لا يقل عن سنتين أو يزيد داخل المجمع ، الذي لا يمانع إصطحاب الأباء في الكثير من الأحيان وممارسة شعائر العبادة والعلاج والترفيه ، حيث تتم جميع تلك الخدمات مجاناً.

كما تقوم ميزانية هذا المجمع من خلال جمعيات رجال الأعمال ورؤوس الأموال داخل المحافظة ، وانتشار ذات النهج في المدن والقرى وفروع صغيرة تمتثل حول مركزاً رئيسياً ، يضم مراكز الصحة والترفيه ، وللرجوع له في أي ملاحظات ، حتى نكون قادرين على إنشاء جيل يتمكن من إقامة رفعة الوطن والدين ونبذ العنصرية والتطرف ، لأنه بالكاد بذرة التطرف تكون في الفكرة ذاتها ، وهكذا نقاوم بزوغ تلك الفكرة وإقتلاعها من جذورها ، وزرع الحب والخير والوطنية بشكل يبث روح الحياة ، فلنفرح ونسعد سويّاً ونحيا سويّاً .

كان يرى زوجها في نظره لذلك المشروع الأفلاطوني ، أنه يحاول بقدر الإمكان محاربة (الديستوبيا) التي تصيب المجتمع بمفهوم الـ (اليوتوبيا) ، كان يأمل بدحض الرزية ، وإبدال مجتمع يسوده الفقر والجهل بمجتمع آخر فاضل ، يأمل في تحقيق مدينة فاضلة تقوم على المساواة والحب والتعايش ، والتي تؤدي بالتالي إلى تحول المجتمع من مجتمع عبيد يشبه في تصوره الشيوعية التي عملت في ماقبل التاريخ وإعلاء رتبة كهنة الدين وأنهم مكلفون بنشر الدين من الأله مباشرة وأن باقي أفراد الشعب من العبيد الذين يتلقون دينهم من هؤلاء ، إلى مجتمع يؤمن بالإنسان وبالحرية ، يقوم على الكفاءات وتسكينها في أماكنها المناسبة في الحكومات التي تمتلك مصير شعوبها كحكومة تكنوقراطية حتى

ولو على حساب الحياة السياسية ذاتها ، مما ينبئ بزعج مجتمع واع مثقف ، قادر على مواجهة الحياة ، مجتمع متكاتف يسوده المؤخاة والحب والعمل ، لم تدرك البشرية تلك الأحلام التي سردها العديد من العلماء والحكماء ، بل وتعتلي وتتصدر فكرة صراع البقاء بزوايتها السلبية ذات العنف والصراعات ، لكن صراع البقاء من الممكن أن يكون منافسة شريفة بين بني البشر والطبيعة ، لما سخرت له في خدمة الإنسان ، وحتى لو تعدت نسمات العالم أضعاف ، لم يكن الحل في قلة الإنجاب وتحديد النسل بل الحل موجود في فرص لتوظيف العنصر البشري مع الطبيعة ، وهذا ما أثبتت حكومات العالم فيه فشلاً زريعاً ، ليس فقط العوالم النامية ، بل وحكومات الدول المتقدمة أيضاً ، لا يتقبل البشر فكرة التزحزح قليلاً ، حتى نتمكن من التعايش السلمي الإنساني ، كما تعتمد الحكومات في إشاعة الفوضى والكوارث وخلق النزاعات والحروب بين الناس ، حتى يتخلص الإنسان من الإنسان ، يعيش البشر بعيداً كل البعد عن السمة التي تميزه - الإنسانية - فالأرض تتسع للجميع ، ليس فقط مايقرب الثمانية مليار نسمة بل وأضعاف أضعاف ، لكن يعشق الفرد كونه يعيش أعلى من بقية البشر ، يريد أن يصبح إله فوق البشر ، فيحدد مصائر شعوب ويدمر أخرى ويمحو آخرين حتى تستكين الحياة له كما يريد .

وعلى كل فالشعوب التي اعتلت أعلى المراتب في تنفيذ الخطط الصادرة عن حكومة العالم ، هي الشعوب العربية بعينها ، تم خلق الصراعات الإيدلوجيا كالطائفة والمذهبية ، تم استخدام جهل عناصر المجتمع عديم الوعي حيث جعلت منهم أجيالاً متشعبة بثقافة القتل والفناء وليس ثقافة الحياة والبناء ، فقد جعلوا شعوب العرب خاصة ، تقضي على نفسها بنفسها دون أدنى تكلفة ، فنحن ندفع للغرب لشراء الأسلحة لندمر به ذاتنا

ومجتمعنا ، وبالتالي جعلوا من الجهل ملحقاً لزوم كل الأطعمة ، تخلل الجهل بين طبقات المجتمع ، فالجهل مع الدين ينتج تطرف ، الجهل مع السلطة ينتج طاغية ، والجهل حق مع التعليم ينتج << حمير سلبنطح >> ، والجهل مع الحرية ينتج الفوضى ، ومع الفقر إجرام ، ومع الثراء فساد ، فالجهل يجعلنا نجهل أننا نجهل..

بالفعل أصابونا بداء الجهل.. فهل من مقاوم..؟

كما كان يقول زوجها دومًا أن الإنسان كونه أقوى مخلوق في الكون ، إذاً لديه القدرة على تنفيذ تصورات الإنسانية وإعلاء ثقافة الحياة والإنسانية ، فإن لم يقوم الإنسان بتنفيذ ذلك.. فمن سيقوم إذن..؟؟

_واجهت محبة العديد من الصعوبات والتحديات في تنفيذ تلك الفكرة التي سيطرت على كيانه ، والتي أملت أن يتم تنفيذها كما يجب أن يكون ، أن تكون قادرة على تغيير الواقع ، تحول الفكرة التي سيطرت على العديد من الحكماء والعلماء والمفكرين إلى واقع ، ولو بخطوة ضئيلة في طريق إصلاح الإنسانية ، بذرة في أرض المدينة الفاضلة (يوتوبيا) ، لكن تصدى لها أشخاص وكيانات بل وتصاريح قانونية تحاول إحباطها ، وموروثات تحاول دحضها ، سواء على الصعيد السياسي والاجتماعي بل والديني ، لم تسلم من النقد والنقض والجهل والعنصرية على الصعيدين المحمدي واليسوعي ، لكنها لم تتوقف ، لم تأخذ الدعم إلا من عائلتها ، سواء أمها التي شجعت فكرتها وأبناءها اللذان بذلا قصارى جهدهما بالوقوف والثبات في خلفها ، وحتى أحمد مجدي الذي بدت عليه المعارضة في بادئ الأمر ، إلا أنه أصبح وبعد وضوح الفكرة لديه إصراراً على تنفيذ الفكرة

، ووضع كتفه بكتف محبة كي يشدد أزرها ، لم يك أحمد له نصيباً بإكمال تعليمه ، وعلى مقدار تفهمه بدأت تنفتح بصيرته وتوجهاته ، لقد تمكنت محبة بغرس العديد من المفاهيم والمبادئ لتوأم لم يفصل بينهما شيء سوى إختلاف العقيدة ، بثت لكلاهما مقاصد الدين الألهي من زوايا أكثر منطقية وإيمانية ، أكثر عدلاً ورحمة ، أكثر عقلانية وتسامحاً ، حتى أنتجت مختلفين يتشابهان بالحب والحياة ، فهل ياترى من تستطيع أن تحيا بهذه الإنسانية.. غير قادرة على غرس تلك البذرة في مشروعهما الإنساني هذا..؟

بالفعل محبة فاجأت العالم بما وصلت إليه ، هذه الباحثة المصرية الجليلة ، التي أصبحت فخر عائلتها بل وفخر المصريين ، حيث أنها أثبتت للعالم أن المصري عرق من أرقى العروق البشرية ، وحضارة ليست تاريخ مضى فقط ، بل وحاضر ومستقبل ، كما أثبتت للعالم أيضاً أن المرأة هي ركيزة الحضارات ، وهي رحم الحياة ، هي أساس البشرية ، هي الأم والعائلة والمربية والمعلمة ، هي التي أنجبت الرجال ، هي الوجه الآخر للعملة الذي لا نستطيع أن نغفله أو نهمشه ، فالمرأة نبع الحياة ، و أساس الحضارات ، غير ذلك فهو من > فلس السلف < أثبتت أن المرأة هي الحياة برمتها فسلاماً على من بث ثقافة الحياة ، سلاماً على منبعها ..

.....

_عبدالله كثيراً مايشبه أباه في طريقة حديثه ومنطقته للمعلومات خصوصاً بعد إرتياده لكلية الآداب قسم الفلسفة ، فقد حذى حذو والده ، قرر أن يدرس تخصص والده الذي أحبه وعشقه من قراءاته واطلاعه على مكتبته بما كانت تحويه من كتب فلسفية

وتاريخية ورويات عربية وعالمية ، أصبحت المكتبة التي كونها والده هي ورثه الذي ورثه ،
يا للعجب..!

رغم ذلك فهو يسير بخطى إيمانية نحو عقيدة والدته المسيحية ، فقد أخذ من أمه سبيلها
العقائدي وأخذ من أبيه فلسفته وطريقه العلمي ، وعلى النقيض عماد الذي أحب كثيراً
الحياة العسكرية الفدائية ، حيث ذهبت رغبته في الالتحاق بالكلية الحربية ، أراد أن
يصبح جندياً يخدم الوطن ويفديه ، ولم يعوقه عائق أمام تحقيق رغبته في إرتداء البزة
العسكرية المصرية التي تمثل شرفاً وكرامة ، لكن الطريق لم يك بالسهل واليسير فبعد
تقدمه لاختبارات الالتحاق بالكلية الحربية واجتيازه لمعظم مراحلها ، جاء وقت
التحريات العسكرية ، وبعمل مستند القيد العائلي الذي أربك بعض عناصر أمن الدولة
في تحرياتهم عن عماد الشاب المسلم المتوفي عنه والده ، والذي يعيش بين عائلة مسيحية ،
كما أن لديه عم قد إتهم في جريمة قتل ، كما حكم عليه بالسجن ، إلا أن جذور عائلة
نخيلة التي تتضح أنها عائلة ذات جذور نبيلة ، إقطاعية ، ذات تاريخ ، وأن العديد ممن
ينتمون إليها يتقلدون الآن من مناصب مرموقة وحساسة داخل الدولة ، جعلت الأمر
يبدو أكثر غرابة ، حتى علم بتلك التحريات السيد عمر نصر الذي يشغل منصباً ليس
بالمهين داخل جهاز أمن الدولة ، وحين فتح ملف عائلة نخيلة بسبب شخص عماد الشاب
الذي اجتاز كل مراحل الاختبارات في الكلية العسكرية ، توجه شخصان بمصاحبة عمر
نصر الذي أصر تكون الأمور في نصابها ، صاحب فردي التحريات لمنزل نخيلة ، حيث
حضر الفتيان ، ثم قام أحد أفراد أمن الدولة ، باستجوابه ببعض الأسئلة التي حالت دون
هدف قبوله بالكلية ، وآلت أكثر إلى إهتمام بكيفية العيش بين أسرة مسيحية

والإطمئنان عليه كمواطن ، لأن من عادات الجهاز الأمني هو متابعة من بدل أو أعتنق ديانة أخرى حتى لا يكون هناك معاداة بينه وبين أهله ، والتي تصل لحد القتل أحياناً ، خصوصاً في البلاد العربية ، وكما توصلت الفكرة بأن الشاب المذكور عماد مجدي العازي مسلم كما أن أباه وعائلته مسلمين ، وهو يعيش بين أسرة مسيحية ، كما أن لديه أخاً مسيحياً ، فأراد الجهاز وضع تلك الحالة تحت النظر لما لها من حالة نادرة لم تثار من قبل .

وبعدها تم قبول عماد عماد مجدي العازي في دفعة الكلية الجوية المصرية ، مما زاده سعادة وشعر حينها أنه حقق أول ما يتمني .

.....

_العميد مدحت درغام ، إحدى العناصر الهامة التي تعمل لدى جهاز أمني مصري، عرف عنه الوطنية والعدل وحبه الشديد لوطنه ، صديق دفعة لـ عمر نصر الذي أصبح مديراً لأمن الإسكندرية ، ومساعداً لوزير الداخلية ، بعد نقله من جهاز أمن الدولة الذي قضى فيه سنوات عدة ، واعتلائه منصباً كمديراً لأمن مدينة الإسكندرية نظراً لولائه وإتقانه وتفانيه في عمله ، لم يك ظهور مدحت درغام في حياة عمر نصر قبيل الصدفة ، فكان لابد من التعاون بين الأجهزة داخل وزارة الداخلية ، فحانت نقطة تلاقى فيها عمر نصر ومدحت درغام ، تشاركت الأهداف ، توحدت المقاصد في سبيل أمن ورفعة الوطن من قبل رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه .

رن هاتف السيد اللواء عمر نصر ، وإذا بصديقه مدحت درغام يخبره بضرورة مقابلة غاية في السرية والأهمية ، وبرغم حفاوة لقاءهما الذي ندر في الأونة الأخيرة بسبب إنشغال العمل ، إلا أنه لم يستعجب بدخول درغام في لب قضية هامة ، فبعد التحية واللقاء الحار، سأل درغام عن شخصية هامة ومرموقة تقيم في حي سيدي جابر بالأسكندرية ، تدعي د. محبة نخيلة ابنة الدكتور أشرف نخيلة الحائزة على نوبل في الكيمياء ، كما نوه درغام عن أخيها فيكتور نخيلة ، الذي بات مساعداً لـ عمر نصر كمدير أمن في الشئون الأمنية ، شعر عمر نصر بشكوك تداعب مداركه ، بسؤال درغام عن عائلة نخيلة ، الذي بات لها صديقاً منذ أكثر من عشرون عاما ، حتى أنه وحتى الآن لم يستوعب ما يثير درغام من أسئلة حول تلك العائلة ومحبة بالذات..؟

وبعد مجارات الحديث باح درغام بسر لقاءه بـ عمر نصر كمديراً للأمن ، اتسعت حدقتا عمر نصر عندما سمع بالصفقة المليارية التي عرضت على الدكتورة محبة من قبل إحدى الجهات داخل حدود جمهورية مصر العربية ، وأنه عرض عليها مبلغ ثلاثة مليارات من الدولارات مقابل تسليم فلاشة تحوي على جميع المعلومات عن التركيبة التي حازت بسببها على نوبل ، وأن هذا البحث الذي حصلت بسببه على تلك الجائزة لم يقدم كاملاً ، حيث أن هناك جزءاً ليس بالهين يعمل بجانب هذه التركيبة أو هذا العقار ، يكون قادراً على محو وزراعة ذاكرة جديدة داخل مخ الإنسان ، ثم أكد درغام في نهاية حديثه على

أهمية سرية القضية ، لتكون الجهات المعنية بالبحث قادرة على أن تعمل بحرية تامة ، حتى يتمكنوا من الحصول على أية خيوط تساعد على الوصول لتلك الجهة .

ثم أشار درغام في حديثه إلى أن التحريات حول تلك الجهة التي توصل إليها عناصر الجهاز الأمني ، لم تتعدى شكوكاً ، وإحتمالية أنها ربما تكون جهة إسرائيلية ، وليس فقط الكفاءة العالية والتكنولوجيا الغير مسبقة وتحري الدقة في أخذ خطوات نحو الحصول على تلك الفلاشة .

“ جهة إسرائيلية.....؟! ”

لفظ عمر نصر أنفاسه وهو يعيد تلك الجملة ، أثناء رقع باب مكتبه ، فأمر حارسه على عدم قطع تلك الزيارة مهما كان الأمر ، وهو يستأذن بالدخول لتقديم فنجاني القهوة التي طال إنتظارها حتى نسيت .

وضع الحارس فنجاني القهوة مسرعاً بمغادرة المكتب ، بعد نظرة عمر نصر له التي توحى بالإسراع والمغادرة في الحال ، ثم أكمل درغام موضحاً دافع تلك الجهة في الحصول على بحث السيدة محبة نخيلة كاملاً ، وأن تلك السيدة وعائلتها بالكامل معرضين لخطر داهم ، لأن الوضع سيتفاقم ، وأن الجهة لا مانع لديها بالحصول على هذا البحث بأي طريقة كانت ، ومستعدة بدفع مليارات الدولارات ، وأما عن الدوافع أو بالأخص الدافع الأولي أن يوضع بالإعتبار والذي يظهر ظهوراً بيناً ، أنه من الممكن استخدام هذا المشروع وبالأخص جزء زراعة الذاكرة في غير حاجته ، فمن الممكن خلق وعي بشري

بتكنولوجيا ومنظور جديد ، ترسيخ وتشكيل عناصر مجندة وجنوداً فعلية ، لطالما كان هناك طريقة لمحو ذاكرة إنسان وملئها وحشوها بذاكرة محددة .

....طبعاً حسب دوافع الجهة التي تعمل ، وبمعنى أدق هو التحكم في العقل البشري واستغلاله لصالح من يمتلك تلك التقنية ، كما اتضح الأمر أكثر ، عندما أحضرنا مهندساً في مجال التكنولوجيا والمعلومات يدعى جلال الزيني وبعد استجوابه وإجباره على البوح بما يكتمه ، وبدون توتر وقلق ، حاولنا إخباره بمساعدتنا حول ماهية مشروع محبة ، في زراعة الذاكرة ، قضى بأن هناك جزءاً هاماً لم يخرج للنور ، لم يتم التنويه عنه حتى في حفلة تسليم نوبل ، لم يكن الأمر بيد محبة آنذاك ، لأنها كانت تعاني من مرضها النفسي ، ولم تكن وقتها قادرة على إتخاذ أي قرارات ، وأما عن الجزء الهام الذي لم يذكر ، ما يسمى بتقنية (الغرفة الحسية المبرمجة) ، والتي تكون معنية بمساعدة هذا العقار بمحو وزراعة ذاكرة ، كما أن تلك الغرفة تحول الذاكرة المؤلمة ، ليس لذاكرة سعيدة بالمعنى الحرفي ، لكنها تحول بالشخص دون اليأس والقبول على الإنتحار ، بحيث تجعله في حالة أكثر رضائية وتقبل لذاكرة سيئة تمكث بين خلايا دماغه ، عن طريق إفراز غدة من الغدة بعض الهرمونات التي تعادل وتحسن من مزاج الفرد ، وعلى ذلك فالأمربات أكثر أهمية ، لأنه من الممكن أن تزيد عدد ضحايا هؤلاء ، بخلق أناس لا يمتلكون من الأمر شيئ ، سوى الذاكرة المحولة أو المغروسة بالعمد داخل جهاز حفظ الذاكرة بالعقل ، فيجعل من الشخص مالياً كيفما يشاءوا ، يجعل منه قاتلاً محترفاً ، متطرفاً ، جاسوساً يجعل منه مالياً إذا أراده ، الأمر الذي بات جريمة في حد ذاته .

لم يكتمل لقاء درغام ، بعدما نظر في ساعة يده ، وهو يرشف آخر رشفة سريعة من فنجان القهوة ، ويضعه مسرعاً ، وهو يؤكد على عمر نصر أن يضع محبة وعائلتها نصب عينيه ، ويشدد على الحالة الأمنية ، وبعد أن هب درغام واقفاً ، ربت على كتف عمر نصر وهو يخبره بأمر في غاية الأهمية :

“ في واحدة اسمها (ناهد علام) ، معاها تليفون ، إتصنع مخصوص لها داخل مصر ، قيمته جوالي نص مليون دولار ”

“ نص مليون دولار.....؟؟ ” سأل عمر نصر بدهشة.

“ أيوه... نص مليون دولار ، عملت الشركة المصنعة له عدم إختراق نظامه بأي طريقة ، لكن موضوع النص مليون دولار ده مدخلش دماغي ، أكيد التليفون ده فيه خواص تانية ، مش بس عدم إختراقه .. أكيد فيه شيء تاني .. المهم يا عمر بيه همتك بقي معانا علشان نوقع الشخصية الي اسمها ناهد علام دي ”

رمش عمر نصر في تساؤل :

“ وهل يخفي عليكم ، إحضار الي اسمها (ناهد علام) دي يا باشا..!! ”

ضحك درغام وهو ينحني يللمل حاجياته وأغراضه من على المنضدة ، ثم اعتدل وقدماه تتجه نحو باب المكتب رداً على سؤال نصر :

“ ناهد علام ، الاسم الأكثر بحثًا في الجهاز في الأيام السود دي ، بعيد عنك ، مفيش شخصية بالمواصفات الي وصلت لنا عن ناهد دي على أرض الواقع ، أيوه مش موجودة على أرض الواقع ، حصرنا كل واحدة اسمها ناهد علام ، فعلاً مش موجودة ، علشان كدة إحنا متأكدين إنها تبع الجهة إياها ”

يغمز درغام بعينه اليميني ، لـ عمر نصر إشارة عن عدم سهولة القضية ، وأنهم يواجهون عدوًا محترفًا تتخلل أصابعه داخل الوطن ، وهو يفتح باب المكتب مغادرًا هاتفًا :
 “سلام يا صاحبي”

“ دلوقتي إبتديت أفهم ، (ناهد علام) شخصية وهمية ، زج بها كمعلومة للأجهزة الأمنية ، هناك تلاعب أمني ودولي شديد الخطورة ، هناك حرب ويلاتها تتعدى حتى الحروب المقدسة ، حرب البقاء ”.

همس نصر لنفسه تلك الكلمات ، وعقله يبحث عن اسم ناهد علام وما أخبره به صديقه ، ردد عمر نصر الأسم مراراً بعد مغادرة صديقه للتو .

(الفصل الثامن عشر)

أصبحت بداية عام 2010 تمتلئ بالأحداث والتغيرات ، بعد ارتياد عماد للكلية الجوية ، وقبول عبدالله بكلية الآداب قسم الفلسفة ، وتنصيب عمر نصر مديراً لأمن الأسكندرية ومساعداً لوزير الداخلية ، وترقية فيكتور الذي تحسنت علاقته بعائلته في الفترة الأخيرة والفضل يرجع للسيد عمر نصر الذي جاهد معه حتى تصالح معهم ، رغم قلة تردده على البيت وحب الإقامة في عزلة في أحد أوكاره الخاصة ، إلى مساعداً لمدير أمن الأسكندرية ، ولم شمل المعلم والتلميذ كل في منصبه ، وانشغال محبة الدائم في مشروعها الجديد بيت الله ، كما عمد عمر نصر بتشديد الحراسة على محبة وعائلتها دون إزعاج ، بعدما أخبر فيكتور بتلك القضية والتي يأمل جانيتها التوصل لأخته الدكتوراة محبة بسبب بحثها ومشروعها الهام للغاية .

.....

_مؤسسة هاشم سند للأمراض النفسية والعصبية ، تلك الياطرة المضيفة المعلقة على مبني المشفى ، دخلت محبة وبجوارها أحمد الذي اعتاد مرافقتها ، تقدم الأثنان على قسم السكرتارية في محاولة بالسؤال عن ممرضة تدعى عائشة ، وبعد المداولات ، دلتهم السكرتيرة المعنية باستقبال المستشفى على (العمة فاطمة) أقدم ممرضات المستشفى ، والتي بدورها دلتهم على عنوان عائشة في أقصى ضواحي الأسكندرية .

لم تكذب محبة خيراً ، أسرع نحو سيارتها وخلفها أحمد ، سويكات قضت في طريقهم ، وبين البحث عن العنوان بين حوارى الأسكندرية ، حتى اطفأت محرك سيارتها التي

تقودها بنفسها تلك المرة أمام بيت عائشة كما أخبرتهم تلك الممرضة التي تعتقت من العمل داخل مؤسسة هاشم سند منذ سنوات مريرة.

_دق أحمد باب منزل يقطن في إحدى الشوارع المتواضعة بأول دور ، فتح الباب لتظهر امرأة عجوز تحملق بضيوفها باستغراب ، وبعد سؤالها عن عائشة ، رحبت بهما ودعتهما للدخول ، ثم أخبرتهما بقرب وصول عائشة التي ذهبت لشراء بعض الحاجيات من السوق القريب وأنها بالكاد في طريقها للمنزل .

مر القليل حتى دق جرس الباب ، الأمر الذي شد الإنتباه ، بعدما أكدت تلك العجوز الذي أخبرتهم أنها أمها بأن تلك الرقعة تخص عائشة ، وعندما أشار أحمد للعجوز بعدم إرهابها وأنه سيفتح الباب ، إذا بفتاة في متوسط العمر، يبدو على رداؤها التواضع ، فزعت عندما فتح الباب من قبل شخص غريب ، أعلنت أمها العجوز لها حين تقدمها ، بأن هؤلاء الضيوف في إنتظارها ، دخلت الفتاة ، صافحتهم في تسائل ، نظرت محبة لـ أحمد في ذهول ثم أردفت بنبرة خافتة :

“ لا.. لا.. تقريباً في سوء تفاهم يا أمي .. أنا أقصد (عائشة عبدالسلام الجندي) الممرضة التي كانت بتشتغل في مستشفى هاشم سند رحمة الله عليه ، التي مات من حوالي كام شهر ، أنا جيت عنوانها من واحدة اسمها فاطمة ، تقريباً رئيسة الممرضين في المستشفى “

ردت الفتاة في توتر وقلق :

“أيوه يا فندم أنا عيشة الجندي ، وكنت شغالة في مؤسسة هاشم سند الله يرحمه فعلاً قبل ما يموت ، وكان بيعاملني زي بنته بالظبط ، لكن أنا مقدرتش أكمل في عدم وجوده الله يرحمه ، وسبت المستشفى “

رد أحمد لـ محبة ذات النظرة التي تصاحبها الدهشة ، ثم انتهت محبة بذات النبوة :
 “أنا اتشرفت بيكي يا عيشة ، وانتي كمان يا حاجة أم عيشة ، لكن فيه سوء تفاهم.. أنا أقصد عيشة تانية..”

أشار أحمد بوجهه بابتسامة مجاملة وهو يستأذن للمغادرة ، أخرجت محبة من شنطتها كارت شخصي ، عرضت فيه عنوان الصيدليات إذا إحتاجت العائلة لأي دواء فهو يصرف مجاناً لغير القادرين ، وبجانب الكارت أخرجت مبلغاً من المال وضعت على حافة الطاولة الفقيرة التي تستقر في منتصف صالون ضيق متواضع ، شعوراً منها ولطفاً بحال تلك الأسرة ، الذي بدا الفقر على جدران منزلهما ، وهي تتوجه خلف أحمد نحو الباب مغادرين ، ولم تترك الدهشة وجهيهما ، لسببين أولهما العممة فاطمة التي أكدت على أنه لم يك لدى أرشيف أو تاريخ المستشفى غير عائشة واحدة عملت تلك الفترة في المستشفى ، وكانت المقربة لدى الدكتور هاشم سند ، ولا يوجد اسم آخر في أرشيف الموظفين كله غير اسم عائشة عبدالسلام الجندي ، وثانيهما الرؤية التي سبقت يوم شفائها كلياً ، والتي ظهرت بها عائشة كأول ظهور لها في ذلك الحلم ، التي إعتادت رؤيته والتي باحت به لـ أحمد الذي زاغ بصره وعقله بعيداً .

ابتسم أحمد إبتسامة رقيقة قبل أن ينطق :
 “ممكن تيجي معايا .. نوصل مشوار مهم يا محبة..؟“

“أوك.. فين يا أحمد....؟“ سألت محبة

“ اخرجي على الشارع الرئيسي ، وخليكي معايا وأنا هوصفلك الطريق ، وهتعرفي كل حاجة “

_استقرت السيارة بإحدى الحارات التي تتشابه أكثرها بضواحي الأسكندرية , أمام منزل متواضع متهدل المظهر , يقطن بجوار مسجد متواضع الحال أيضًا ، تقدم أحمد وتخلفه محبة نحو باب منزل وقبل دق الباب هتف أحمد :
 “ هنا بقي مكان الأب الروحي لجوزك الله يرحمه “

لفظ لسانها : “ الشيخ عبد المحسن سلامة.....؟؟!! “

“مانتي عارفة أهو ، مكنش فيه عمار بيبي وبينه ، إلا أنه وقف جنبي واعتبرني زي ابنه بعد ماخرجت من السجن ، وهو ده اللي كنت ببات عنده أما كنتوا بتسألوني ببيت فين ياسقي ، راجل صالح ، يحب الناس والناس بتحبه “

فتح الباب شاب صغير ، أشار أن الشيخ يهتم قليلا لقيلولته ، بعدما رحب بهما ودعاهما بالجلوس في غرفة الاستقبال حتى يوقظ والده ويخبره بقدوم أحمد ، تركه الشاب ، فجلسا الإثنين ينظران لبعضهما في انتظار حضور الشيخ في شغف ، خصوصا محبة التي سمعت وقرأت عنه في مذكرات زوجها ، لكنها لم تره قط ، تقدم رجل متوسط القامة يميل جسده إلى الطول قليلاً ، عريض المنكبين ، يبدو على بشرته ولون شعره الذي غزاه الشيب أنه كهل ، لكن جسده يوحي بالقوة ، فهو منتصب القامة ، الشعيرات البيضاء غزت حواجه أيضاً ، يرتدي جلباباً يميل لونه إلى البني ، دخل موجهة نظرة مع ابتسامة طفيفة على محبة مرحباً بحفاوة :

“ يا مرحب يا مرحب ، الدكتورة محبة بنفسها ، بنت الراحل الطيب والإنسان العظيم.. يا مرحب يا بنتي ، مرحب يا أحمد يا بني طولت الغيبة “

استعجبت محبة عند سماعها لاسمها وأنه يعرفها ووالدها ، هبت واقفة تمد يدها لتصافح الشيخ ، الذي سلم عليها بحفاوة وكأنها ابنته ، أشار لهما بالجلوس وهو يتمتم بكلمات الترحيب ، ثم جلس واضعاً يديه على مسندي المقعد ، وبعد المجاملات وذكر الشيخ لما يكنه من حب ومودة لزوجها رحمه الله ، الذي كان يعتبره كإبن له ، حيث تعلم منه الكثير كما أثر في مداركه بشكل مختلف ، ثم تذكرت محبة كتابات زوجها عن شيخ صوفي يدعى عبدالمحسن سلامة ، إحدى المعلمين الروحيين الذين وجد فيهم زوجها تماثلاً للشخصيات والنماذج التي يهتم لها أمثال (جلال الدين الرومي) مولانا الجليل

كما كانوا يلقبونه ، ووجد فيه أباً ومريباً فاضلاً ، ينشر السلام والحب ، فقد راودها كثيراً هذا الاسم في كتابات زوجها ، وقبل أن يخرق أحمد الحديث ، جلست محبة تتفرس بوجه الشيخ سلامة بابتسامة عريضة وكأنها تتأمل ملامحه ، وهو يخبر الشيخ عن مرض محبة ورحلة علاجها التي طالت شهور وأسباب مرضها ، ثم جاء اسم الطبيب هاشم سند على سبيل الحكي ، وعن الممرضة التي تدعى عائشة والتي باتت لغز لـ أحمد قبل محبة خصوصاً بعدما علم موضوع الرؤية ، فربط الأحداث ، ثم توجه بفكره لنصائح شيخ الشيوخ ومربي الأجيال الشيخ سلامة ، حتى يسأله فهو أقرب ما يكون للأخذ برأيه في تلك التساؤلات التي يتخللها الغموض ، تنظر محبة لوجه الشيخ الذي يبعث إطمئناناً ، فشعرت أنها تريد البوح بما يؤرقها ، وعن لغز هذه الرؤية التي لربما شعرت أنه لديه إجابة ترييحها ، كما لم يمل الشيخ أو تتغير ملامحه حتى بعدما طال حديثهما ، ذات البسمة الحنونة التي تبعث الحب في وجهه ، وشفتيه وكأنها تمتم بكلمات غير مسموعة .

ساد الصمت قليلاً عندما دخل ابن الشيخ أو ربما حفيده ، يللمم الأكواب الفارغة ، ويستبدلها بشطيرة فلاحي وقطعة جبن وعسل أسود ، ومحبة بإمتنان :

“ كتر خيرك يا شيخ ، ملهوش لزوم التعب ده ”

نظر أحمد وهو يهمس لها بلطف :

“ لازم تأكلي في بيت الشيخ سلامة ، أحسن بيزعل أما حد يرفض يأكل عنده ، ده خير ، دي لقمة من الجنة ”

مدت محبة يدها تقتطع قطعة من الشطيرة الفلاحي وهي تغمسها في طبق الجبن مرة وأخرى بالعسل ، شعرت بلذة غير عادية بذلك الطعام المتواضع ، أبدت إعجابها بالطعام ، كما ذكرت أنها لم تتذوق ألد منه من قبل على حد قولها .

همهم الشيخ ببعض الكلمات ثم هم قائلاً :

“ يقول الله عز وجل بسم الله الرحمن الرحيم.. > > ولله جنود السماوات والأرض وكان الله عزيزاً حكيماً .. << ”

كما قال >> وما يعلم جنود ربك إلا هو وماهى إلا ذكرى للبشر << .

فالله سبحانه وتعالى بيده مقاليد السماوات والأرض ، يسخر جنده كما يشاء ولمن يشاء وعلى من يشاء ، اسمعي يا بنتي ، إنني إنسانة نقية ، قلبك يتملكه الحب والرحمة واسمك على مسمى ، فأنتي محبة ، وتعلمين آية أن (الله محبة) ، الآية دي بتمثلني جداً ، لأنني أعبد الله وأتقرب منه زلفاً بالحب ، ليس طمعاً بالجنة أو مخافة النار، بل حباً وعشقاً ، لا أنكر مخافتي للملك أو ميلي للفوز بالجنة التي يكفيني فيها رؤية وجهه جل جلاله ، علاقة الحب أقرب علاقة بين حبيبين ، هي الأوفى والأصدق ، وأنا رأيت كثيراً جنداً لله ، أرسلهم في كثير من محني وضعفي ، شعرت بحكمته تتجلى لي في كثير من الأحيان ، فقد يجعلنا الله جنداً مسخرات لبعضنا ، وأنتى عندك قلب نادر، مؤمن ، محب ، محسن ، والأهم أنه قلب منفق ، أنتى تنفقي الحب والإحسان .. فهل تعرفي الإنفاق في القرآن يا محبة “

تنهد الشيخ وهو يستعدل جلسته ثم أكمل :

“بسم الله الرحمن الرحيم.. << لن تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون >>” *

إيه رأيكم في الكلام العظيم ———م ده ، عارفين يعني إيه..؟

.. يعني أما نيجي ننفق.. ننفق من الحاجات الي بنحبها ، ومش المال بس الي بينفق ممكن ينفق حاجات معنوية نحبها ، نحب نشوفها أما نقع في نفس المواقف ، عمل خير لحد ، وقفة جدعنة بالبلدي كدة مع شخص ، الحب كمان بينفق ، لو القلب مؤمن وسليم هيفضل ينفق حب وسلام ، وبالتالي هيشوف سلام وحب ، وسر الإنفاق في ده ، يعني لو عايز ربنا يزيدك مال .. أنفق مال ، عايز ربنا يبارك في صحتك.. متستخسر هاش في حد ، في مساعدة حد ، في عمل خير ، الي عايز علم وحكمة ينفق العلم ومايخلص بمعلومة ممكن تفيد غيره ، والي عايز الحب ، ينفقه ويديه ، مسألته نفسكو ليه الباحثين والعلماء الشباب المختصين الي قالوا

(سعادتك في إسعاد الآخرين) ، علشان إذا أنفقت سعادة ستجلب لك السعادة ، بل وكل شيء في الحياة إن أحببته وأنفقته سيأتيك فائضاً ، وإذا كانت طاقة الحب في العباد أكثر قوة ، فما بالك بخالق العباد ، فهل تعتقدون أن الله سيبخل عليك إن كنت مكرماً؟! “

سكت الشيخ لبرهه ثم أكمل :

“ وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان “

هل يعقل أن تكون محسناً مع أخوك الإنسان أو أياً من خلق الله ، ويبخل الله عليك بإحسانه ، ... لا والله... ، وأنا شايفك يابنتي من بعد أبوكي الله يرحمه جاهدتم فأحسنتم الجهاد . ولن يتركك الله أبداً

>> وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ <<

>> بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ <<

وانتي يابنتي أبهرتيني.. إلا صحيح إيه آخر أخبار مشروعك (بيت الله)..؟

ردت محبة في تواضع :

“ ماشي الحمد لله ، فيه تفاعلات إيجابية من ناس كثير ، لكن النقد أكثر، رغم إن المشروع اقترب من هدفه ، وهو التعايش والسلام والحياة والحمد لله ، إلا أن فيه ناس بتحاربنا ، سواء من الجانب المسلم أو من الجانب المسيحي ، تبدوا إنها حرب مصالح بالتأكيد “

“ ربنا واقف جنبك وهينصرك ، انتي فعلاً يابنتي أحسنتي الحسنة وزيادة زي ما ربنا قال

:

>> لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ

الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ <<

حك الشيخ لحيته وهو يتناول كوباً من الماء ثم أردف :

“ تصدقي إني شايف نور جواي وحواليكي ، زي ما شكرت ربنا على أحمد أما خرج من السجن ، وحسيت إنه فعلاً بقي إنسان جديد ، صادق مع نفسه ، شوفت تغير غير عادي خصوصاً بعد ما قعد وسطكوا ووسط ولاد أخوه ، وأنا بلغته إنه لازم ياخذ باله من ولاد أخوه ومن مرات أخوه ، وربنا يكملكوا ببعض ، وأخيرا علشان ماطولش عليكوا ، أنا كنت عارف سبب مجيتكوا ، وعارف كمان إنك هتزوريني وأشوفك في يوم من الأيام ، أنا مش بقول إني ولي ولا رجل صالح ، لكن موضوع عيشة الممرضة دي هي بالتأكيد جند من جنود الله ، أرسله لكي في الوقت ده بالذات ، وعلشان كدة لازم تاخدوا بالكوا أما تحسوا في بعض المواقف ربنا سخر ك تكون جند من جنوده لمساعدة حد ، أوعي تبخل عن مساعدته مهما كان الحد ده مين...!! إنسان ، حيوان ، وحتى الحجر والجما ، لكن لا أملك أي تفسيرات أخرى للبنت دي ، لكني أعلمي تمام العلم أن > ماتبحث عنه سيبحث عنك < ، وأعرف بردو إنك بنفسك يا محبة هتقوليلي مين هي عيشة ، لأني واثق إنك هتلاقيها قريب ، وقريب جداً ، لكن عاهديني بعهد إنك أول ما تلاقيها تبليغيها السلام باسمي (عبدالمحسن سلامة) .

أنهى الشيخ حديثه وهو يلتقط كوب الماء للمرة الرابعة أو الخامسة أثناء الجلسة ، فكان يرشف رشفات متتالية ، وعندما شعراًحمد بانتهاء الزيارة التي لاقت قبولاً بقلب محبة كثيراً ، والإنصات لآخر كلمات الشيخ ، هب واقفاً يستأذن للمغادرة ، ومحبة تخلف أحمد

وهي تحي الشيخ سلامة ، وضعت قبلة على جبينه ، ثم قبلت يده الذي سحبها سريعاً ، ثم ربت على كتفها داعياً لها الله أن يوفقها لما فيه سواء السبيل ، ثم علت نبرته قليلاً :

“ أرجو ألا تنسي سلامي لـ عيشة.. هتلاقىها يابنتي ”

هزت محبة رأسها دليلاً على الوفاء بالوعد ، ثم ابتسم أحمد مرة أخرى للشيخ قبل أن يغادر المنزل ، والصمت سيد الرفقة ، حتى ركبا السيارة ولم تعلم محبة إلى أين تتجه .

.....

_بهاتف عمر نصر فيكتور الذي لم يجب ، توجه مسرعاً نحو سيارته قاصداً طريق الساحل ، وصل عمر نصر أمام مبنى يشبه الفيلا ويميل إلى الشالية ، تفاجأ فيكتور بحضور عمر نصر بعدما لقي عينيه وهو يفتح باب الشالية ، حتى باغته عمر نصر :

“ يعني سيادتك قاعد بتهوي على فخادك في الساحل ، وإحنا مطحونين في الشغل، بتقضي أجازتك ماشي ، بس بردو حس بينا ، افتح تليفونك يا أخي ، سمعت آخر الأخبار..؟ ”

يردد عمر نصر حديثه ووجهه بين الابتسامة والجدية ، وهو يحرك باب الفيلا نحو الإغلاق ، و فيكتور لا تزال تبهره معرفة عمر نصر لمكانه بالساحل ، لأنه بالكاد لم يعرف أحداً قط مكان تلك ذلك الشاليه سوى فيكتور نفسه .

يرتدي فيكتور شرطاً ملوناً وفانلة حمالة ، لكنه على ما يبدو أنه يجلس بمفرده ، ثم كرر
 عمر حديثه مع فيكتور بعدما استقر على أحد مقاعد الصالون المودرن :
 “إيه يا فيكو انت شوفت عفريت يا جدع ..هههههع ، مفيش ازيك ، مفيش إتفضل ، إيه
 معاك مزة ولا حاجة وأنا قفشتك..؟”

مأماً فيكتور وضحكة صفراء تملأ وجهه :
 “ لا.. لأ يا باشتنا ، ده انت نورت مارينا ، مزة إيه بس ، أنا هنا مأنتخ مع حالي وقافل
 تليفوني ، يعني عايز أستفرد بنفسي شوية ، أهوي دماغي من الشغل والحياة كلها “

حك فيكتور رأسه ثم أكمل :
 “ صحيح.. خبر إيه الي بتقول عليه يا باشا..؟”

"أنا عرفت معلومات عن قاتل جوز أختك الحقيقي ، وإن الي إسمه أحمد مجدي ده لبسها
 لأن الولد ده معملش كده ، وفي قضيته حصل حاجة غريبة ، القاضي الي كان بيحكم
 عليه منطقتش بالحكم الصادر بالإعدام ، وحكم عليه بالمؤبد من دماغه ، وبعدين
 الولا يخرج تلت تربع المدة بعفو ، وأما اتكلمت معاها قال حاجة غريبة قوي ، قالي أنا
 ربنا نجاني بالقاضي ده ، مش علشان أنا استحق الحياة.. لأ.. ده علشان أنا دعيتيه وقولتله
 يارب اظهر الحق ، إني مش أنا الي قتلت أخويا وأكيد ربنا هيرجعي حقي ، علشان أنا
 عمري ما أقتل أخويا.. أبداً.. حتى لو هموت بداله ،

سبيك بقي من كل الكلام ده ، يوم حادثة أختك ، لقيت شوية حاجات كدة منهم سلسلة كانت انقطعت من رقبة أختك ، وكان جنبها دلالية على شكل صليب أو زهرة أقرب لورقة الشجر “_ثنائية الأبعاد_ ، لونها ذهبي >>> ذراعي الصليب يميلان إلى الأسفل بإنسيابية كورقة شجر ملتوية للأسفل ، ورأس الصليب عادية ، أما زيله فأيضاً يميل إلى ورقة شجر لكنها معتدلة ، فهو أحياناً يرى صليب وأحياناً يفصل فنراه كزهرة <<< ، روحت لميت الحاجة وروحت ناولتها لأبوها ، والظاهر كدة أما أبوك مات ، كان حاطت السلسلة والدلاية دي في خزنه ونسيها ، وأما كنت مع أختك ولقيتها لبسها ، لمحت لها بذكريات السلسلة ، قالتلي إن السلسلة دي بتدور عليها من عشرين سنة ، لكن الدلاية دي أول مرة تشوفها بس لقيتها في خزانة أبوها ، فلبستها مع السلسلة ، كان محفور عليها حرف الـ (M) ، ودي حاجة من الحاجات الي ثبتتلي معلومة إنها ملك محبة ، لكن لما قولتلها كدة.. قالتلي آه ، دي ممكن تكون بتاعت مايكل ، لأنه كان بيعب يلبس الحاجات دي من زمان ، وإنها فاكدة أنه كان معاه الدلاية دي ، هنا السؤال بقي يا برنس إيه الي جاب دلالية مايكل في مسرح الجريمة ، أولاً أنت عارف شارعكوا الي فيه الفيلا ، ترمي الأبرة ترن وتبان كمان ، ومش ممكن يتقلب حرف الـ (M) الي محفور عليها من محبة لـ مايكل بسهولة...؟!!

تنهد عمر نصر وهو يصب كوباً من الماء عند البار الذي يتوسط صالون الشاليه ، ثم عاد لمقعده مرة أخرى وهو يكمل حديثه ، وفيكتور ملازم الصمت ، إلا قولي هو عمك أسامة ليه أخذ ابن أختك وعمده في الكنيسة.....؟ ، وزور في أوراق رسمية وكأنها

حصلت بالخطأ....؟؟ ، وأبو الواد لسة مكملش كام شهر على وفاته ، إنت شايف رجل الدين أما يعمل كدة وتوصل معاه إنه يخون مبادئه ويخالف القانون ، يبقى مين الي له مصلحة في قتل جوز أختك ، لأ وخد بالك مفيش أي علاقة مش بـ أحمد مجدي بس لأ والجماعة الي مرافقها في قتل أخوك ، اه جماعة ليها سوابق مع أمن الدولة ، وفيها عناصر محفذه ، لكنها لا تتجه لقتل واحد زي عماد ولا حتى يوزو أخوه علشان يقتله ، صعبة دي يا فيكتور..

بردو إيه الي جاب دلالية مايكل في مسرح الجريمة...؟؟؟؟ ، دي حاجة لازم نفكر فيها ، لأن الولد كان من السهل يقول دي مش سبحتي ، ولا إيه يا حضرة الطابط...؟
يبقي عندنا كدة مش واحد بس مظلوم دي عيلة ادمرت ، وإحنا دورنا إننا نمنع الجريمة ، ونرجع حقوق الناس علشان الظلم ظلمات يوم القيامة ، ده لو أخويا .

أصبح وجه فيكتور أكثر جدية أثناء حديث نصر حتى أردف متسائلاً :
“ بس يا عمر بيه ، مش علشان مايكل ابن عمي ، دي عيل ابن مت.. ، وأنا ماجبوش أساساً ، لكنه أهيف من أنه يعمل كدة.. ده عيل عبيط..؟ ”
“ طب العبيط ده مش هو السبب في قفل مصنع أبوك ، وقضيته الي خرج منها ، مش هو الي عمل الصفقة المشبوهة دي ، ده علشان عبيط يبقى اكيد هو الي عمل كدة ، لأنه وراه داهية كبيرة هي الي بتمشييه ، عمك المقدس أسامة.. ”

“ باشا.. إنت عرفت مكاني إزاي..؟ ” سأل فيكتور ببلاهة ونظرة حمقاء تطل من عينيه

فهقه عمر نصر قائلاً :

“ يا فيكتور ده أنا لو عايز أعرفلك مكان أوباما ذات نفسه هعرفه ”

ضحك فيكتور وهو يقف يرشف رشفة من كأس الويسكي الذي ملأه للتو ، ثم نظر لـ عمر ينتظر بقية الحديث وبالكاد أكمل نصر :

“ عارف قضية أختك دي ، كانت من أوائل القضايا الي مسكتها في حياتي ، وحاسس إني فعلاً فشلت فيها ، وأنا أول مرة أقول الكلام ده لحد ، علشان إنت عارف معزتك ومعزة أهلك في قلبي وبعتبرك أخويا الصغير ، وطالما قضيتي من البداية فلازم أقفلها زي ماضيري يريحني ، علشان أنا أقسمت على عدم الظلم ودلوقتي السكوت بردو ظلم آه.. صحيح ، عارف أنا اتعلمت من القضية دي إني ماينفعش إني محرزش أي شيء لأقيه في مسرح الجريمة ، أنا وقتها قولت سلسلتها فأحرزها ليه ؟ ، لكن اتضحلي إن أنا كدة مخدמתهاش أنا ضرتهم كلهم عشرين سنة ، درس عمري ماهنساه ، واديني أهو الحمد لله مدير أمن إسكندرية رغم إني فشلت في القضية دي ، لكن علشان استحق لقب مدير الأمن ، يبقى أكيد هرجع الحق لصحابه ، وفيه حاجة كمان ، فوارغ الطلقات المحرزة من سلاح الجريمة ، السلاح ده أصلاً مش هو الي بيستخدمه الجماعات الإرهابية في مصر بتاتاً ، هو نفس مقاس الطلقة ، هيه هيه ، لكن الفرق بس في الخزنة الي لاقيناها في

إنسانفريديا

أحمد عماد

حق أختك وعيالها ، والناس الي اتظلمت ، لأن المفروض إن الموضوع ده يهمك أكثر ما يهمني ، يلا أسيبك لمزك يا جان..”

“ اقعد طب شوية يا باشا هدلعك.. شوية مزز يحلو من على حبل المشنقة “

“ مزز إيه يا فيكتور إنت عايزني أتضرب بالنار... آه مدير الأمن لكن فيه واحدة بس هي الي رتبته أعلى مني ، مابقدرش أهملك معاها ، وبعدين انت مستصغر نفسك ده انت تقريباً بقيت أربيعيني.. إتلم بقي وشوفلك واحدة إتجوزها “

وصل عمر نصر عند باب الشاليه مغادراً ، وقبل أن يتحرك خطوتين رجع منبهاً :
“ ركز يا فيكتور في كلامي وساعدني علشان حق الناس.. سلاااااام “

لبس عمر نصر نظارته الشمسية الأنيقة ، تلك الماركة الـ **Reban** التي يعتز بماركتها الإيطاليه ، متوجها نحو سيارته التي ارتادها مغادراً الساحل .

للقتل والدم والخراب ، ويقولك الحرب المقدسة ، حرب إيه الي مقدسة..؟ مفيش حرب مقدسة ، لكن فيه دفاع مقدس ، المهم بقى في يوم المدرس بيشرح < غزوة الخندق > الي تمت أيام الرسول ما كان في المدينة وكان عددهم قليل قصاص عدد الكفار الي تعدى على ما أذكر عشرة آلاف مقاتل ، والرسول شاور الصحابة في الأمر لحد ما واحد منهم تقريباً (سلمان الفارسي) أشار للنبي وقال له فكرة أن نحفر حول المدينة ونحاطها بخندق كبير ، يصعب يعني على الجند تعديه ، علشان المواجهة هتبقى خسارة ، لحد ما رفعت إيدي للاستاذ وقال تفصل ، قولتله يعني حضرتك الرسول في المدينة والمكيين واليهود_الأحزاب_ رايحين من مكة للمدينة ، والرسول بيدافع عن أهل المدينة ، وحفر خندق حولين المكان الي هو فيه ، وبعدين حضرتك تقولنا دي اسمها غزوة...الخندق...؟؟؟؟!! ، طب تبقى غزوة بناء على إيه..؟ ، وانت بنفسك الي شرحتلنا معني كلمة غزاة إنها من الغزو يبقي إزاي يا استاذ..؟

بتلقائية هجم الاستاذ :

“ إنت مين فيكم الأول..؟؟؟ ”

“ روحت قايله أنا عماد ، رايح المدرس شاور لـ عماد وقاله طب قوم انت بقى يا عبدالله اطلع برة ”

قهقهة فيكتور و عمر نصر على حيي عبدالله ثم أكمل :

“أمي بقي يا أنكل عمر، أما عرفت، وضحتلنا الغلطة فين، لأن كلمة غزوة دي مش مذكورة في القرآن، وعلشان يعمد الناس بعد الرسول برسوخ كلمة غزوة في المعارك الي خاضها، وعلشان تبقى دي حرب على الفكر الإسلامي، وهو ده الغزو بحد ذاته، لأنه نشأ أجيال على تعاليم مليانه سموم، بغرض تزييف الحقيقة، تصدر للعالم رديكاليـة الدين الإسلامي، وتشويه الدين، وده طبعا دليل من نتاج تسييس الدين لصالح السلطة، فلازم يترتب عليها نتائج زي دي، إلا أن المسلمين أو أكثرهم في غفلة كبيرة، هقولك على حاجة تانية أمي قالتها لنا في مرة، عن حديث قبله يقال قال رسول الله، وعن آية في القرآن، واحده فيهم بتقول:

“وانك لعل خلق عظيم” والمقولة الثانية بتقول: “جئتكم بالذبح” وإن المفروض إن الآية والحديث بيتكلموا عن شخص واحد هو النبي (محمد)، يبقى إيه بقي.....؟ وفي رأي كل الأخطاء الي وصلنا لها في الدين، بيبقي اتدخل فيها بشر كثير، فالموضوع يزيد تعقيد وإبهام.

معلش أنا طولت عليكم بس أنا محب أتكلم مع أنكل عمر كثير، وخالي فيكتور الي واحشني بردو.

وآخر حاجة تدل على كلامي، موضوع سمعناه في خطبة الجمعة، الشيخ بيتكلم عن عذاب القبر ونعيمه، عادي العنوان ما أبهرناش، أكيد فيه عذاب ونعيم، زي ما إحنا في الدنيا بنتعذب وبنتنعم، لكن الي أبهرنا بقي جداً أشكال العذاب والنعيم، يعني مرة قال فيه مطرقة بتضرب الميت تنزله سابع أرض وتطلعه سابع سما، وفيه تعبان وصفه بالأقرع والأسود ومش عارف عنده نايبين كبار من قدام ولدغة الثعبان ده مش عارف بتعمل إيه،

وفيه تنين كمان ، آه .. تنين ييطلع نار من بقه وكدة ، آه والله.. ماتستغربش ، بصراحة حسينا إننا بنتفرج أو بنسمع حكاية رعب ، طب يعني هو إزاي على رأي ماما ، إزاي ربنا يعاقبنا قبل مانتحاسب ، إلا... بقي لو الموت هو يوم القيامة ، وبعدين ذكرت لنا آية إن ربنا قال عن الفجأة الي هيتفاجئها الموق وكأنهم نايمين :

“ يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون “

يعني القرآن بيقول مرقدنا ، الناس راقدين وفوجؤا بالبعث ، وحاجات كتير يا أنكل المفروض حتى الي لامسها وعارفها يفهم إنها مش من الدين ، لأنها مش من الإنسانية وربنا جاب رسالات علشان يقوم الإنسانية ، وعلشان تبشر بوجوده (الإسلام متهم برئ) على رأي بابا الله يرحمه .

“ ده انت الفلسفة والمنطق كلوا دماغك من أولها يا عبدالله ، ارحم نفسك وبلاش هري وبعدين انت مسيحي ، سيب الي عايز يقول غزوة يقول والي عايز يقول عذاب قبر يقول ، وخليك في نفسك يا حبيبي علشان الكلام والمنطق ده سكتته صعبة ، ربنا يحميك لشبابك ، أنا على فكرة مقتنع بكل الكلام الي انت بتقوله ، ودي مش بس بتأكدي إنكوا جيل الإنترنت والمعلومات ، لا.. ده انت وأخوك نتاج أب وأم عظام ، أبوك أثر فيك لدرجة إنك أخذت طريقه المهني والثقافي كمان ، رغم إنك مسيحي على دين والدتك.. الله يحميكوا يابني .

أماء فيكتور برأسه نحو عمر نصر وهو يهمس له :

“ هو إيه راديدكياليه دي...؟؟!! ”

قرع عمر نصر من سؤال فيكتور الذي لم يعرف حتى نطق الكلمة :

“ اسمها راديدكياليه ، وده مصطلح معتق من سنوات كتيره ، ملوش وجهه معينة شوية من اليمين ود أكثر الأراء مع إنه ضد ظلم الحاكم وتسيطر عليه الروح الانقلابية ، وبعدين إتصق بالإسلام في الفترة الأخيرة “

تدخل عبدالله وهو يبتسم رداً على همس خاله الذي سمعه ، حتى هتف فيكتور :

“ يا ابن الإيه إنت سمعتي...؟؟!! ” .

كانت تلك إحدى التسامرات الذي تمت في إحدى زيارات فيكتور و عمر نصر لـ محبة بعد استقرار الأمور بين فيكتور وعائلته ، والذي كان يجالسهم فيها عبدالله ، قبل وصول أمه ، وأما عماد فكان مازال مقيماً في كليته العسكرية التي يطل بها غيابه أثناء الدراسة .

.....

” باسم المسيح.. باسم المسيح ، خير يارب “

سمعت ليلي تأوهات محبة في منتصف الليل ، عندما كانت تخطو في الطرقة بين الغرف ، وقبل فتح باب غرفتها ، سمعتها وهي تستعيز ، وجهها يغلب عليه الإصفرار والفاجرة ، حتى تقدمت ليلي واحتضنتها ، وهي تهمهم ببعض الآيات ، ثم سكت همسها وهي تسأل :

“إيه يابنتي.. مالك يا محبة..؟! “

“ نفس الحلم يا ماما ، أنا خلاص مابقتش قادرة استحمل ، كل شوية يظهر حاجات جديدة ، أكنه مسلسل ، لكن أحداثه بدأت تبقى مريبة وقاسية أوى “

نطقت محبة ، وأمها تساعدها بصب كوب الماء من القنينة المجاورة ، تناولها إياه ، أدلت محبة بكوب الماء داخل جوفها التي يبس من شدة رعبها ، ثم استكملت حديثها :
 “ مكنتش قادرة أصدق ، كنت فاكرة إنها بشرة خير ، لكن كنت مرعوبة جداً ، أول مرة يظهر شخص بالمنظر ده في الحلم ، وزى ما يكون هو القائد ، فيه هيبه ، ولابس لبس ميري زي الجيش ، وحاطط على رأسه باريه ميري ، لكن أما وضحت الرؤية ، كان وشه أسود من غير ملامح ، زي شيخ ، شكله مريب ، وفجأة ظهر الطائر الأسود الي شبه الحدايه ده ، وراح وقف على كتف الشيخ ، وبعدين المكان الجميل ده ات ملي طيور سوداء كثير ، شكلها وصوتها مرعبين ، إتفرغت وخوفت من المنظر ، وبعدين زي ستارة كدة إتفرغت من ورا الشيخ ، ظهر وراه دبابات وجنود شايلة أسلحة ، وطيارات بتضرب صواريخ ، زي مايكون جيش من الأشباح عمال يضرب ، والحفر السودا الي كانت في الأرض بسبب سبحة مريم ، اتضح إنها مش من السبحة ، وإن حبات السبحة كانت بتسقط في الحفر الناتجة عن الحرب الي قام بيها الشيخ وجيش الوحوش ده ، قصاد طيف أمنا مريم ، وبعدين يا ماما.....”

بللت حلقها بالقليل من الماء ثم أكملت :

“وبعدين أما الحداية طارت بعيد ووقفت على كتف الشيخ ، الزهرتين الي معايا بقوا هما عماد وعبدالله ، وزى ما يكون الشيخ ده باصص عليهم ويضحك ، وهما كمان شبه المسحورين ، بيضحكوا للشيخ وسابوا إيدي ورايحين في إتجاه الراجل ده ، وهو يفتح لهم ذراعه ، كنت فرحانة أما لقيت وشوفت عيالي عماد وعبدالله ، وبعدين أما لقيتهم بيقربوا من الشيخ خفت جداً وروحت صرخت صرخة ، نهت الأولاد ، وغضب الشيطان ده جداً ، ولقيت نفسي صحيت فاجأة.....”

“باسم المسيح.. احفظي بنتي يا عدرا يا أم النعم والنور”
أخذت ليلي تتمم ببعض الصلوات والدعوات حتى تهدئ من روع ابنتها.

.....

دست محبة يدها في الخزنة التي تخبئ بها الفلاشة التي تحوي (إنسانفرينيا) كاملاً ، والذي لم يعلم أحد قط مكانها سوى محبة ووالدها رحمه الله ، إلا أنها تفاجأت بعدم وجودها ، رغم أنها تطل عليها من حين لآخر، كل بضعة أيام ، وأن آخر مرة كانت قد رأتها منذ يومين ، حينها كانت تتفقد الخزنة التي تملك مفتاحها الوحيد ، إنتابها الفزع والزعر عندما تأكدت من فقدان الفلاشة ، التي لا تملك نسخة غيرها من بحثها الذي عملت عليه سنوات . والتي حازت بسببه على نوبل 2008 ، على الفور توجهت لمحاولة الإتصال بعمر نصر الذي بدا لها أول شخص لتطلب مساعدته ، تدخلت الأجهزة الأمنية

والمخابراتية بعد علم درغام أيضًا بالقضية ، عهد عمر نصر كمدير للأمن ، وبمساعدة نائبه فيكتور على عدم ترك تلك القضية وبالتعاون مع العميد درغام أحد العناصر الداعمة لدى جهاز المخابرات العامة ، ومحبة مازالت تائهة تبحث عن الفلاشة ، ومن ثم هاتف المهندس جلال الذي مازال هاتفه مغلقاً ، أكد درغام على شد حاله الطوارئ ، كما صدر مدير الأمن حالة تأهب وبحث في مديرية الأمن كاملة ، أضحت قضية وطن ، لما كانت تواجهه الدولة من تخلل إحدى الأصابع الصهيونية للحصول على ذلك البحث بأية طريقة ، بعدما رفضت محبة المقاضاة بالبحث مقابل ثلاثة مليارات من الدولارات ، من جهة ثبتت أنها إسرائيلية صهيونية .

رن هاتف مدحت درغام وهو في إحدى السيارات ، يجلس بجوار سائقها ، وإذا باسم المتصل عمر نصر :

..” درغام.. إيه الأخبار.. وصلتموا الحاجة..؟“

يحاول درغام تهدئة عمر نصر الذي يبدو القلق على لهجته ، نتيجة تدمره لما يحدث وأن الأمر بات استهداف وطن ، وهو يرد :

“ إحنا فكينا شفرة التليفون الذكي الي قولتلك عليه ، شفرة تحديد الموقع بس ، لكن لحد دلوقتي مش قادرين نخترق الجهاز نفسه أو النظام للتصنت أو التحكم بالمحتوي ، وعلشان كدة كنت مستني..”

قطـع عـمر نصـر الحـديث بانـفعـال :

“مستني إيه..؟! مستني إيه يا سيادة العميد..؟! , إنت فين دلوقتي..؟”

رد درغام :

“أنا بجهز , هنتحرك باتجاه إشارة التليفون الي حددنا موقعه , والي أكيد إن الفلاشة هتبقى في مكان التليفون , سؤال يا عمر , مفيش أي دليل لدخول حد بيت محبة , أو حتى محاولة سرقة؟”

"أبدًا"

“المهم إنتوا باتجاه إيه..؟”سأل نصر

“طريق العلمين حتى الآن”أجاب درغام

“طيب أنا هبعت لـ فيكتور في المديرية بتجهيز قوات الأمن , والتوجه ناحية العلمين وأنا هسبقتكوا هناك حالا.. سلاااام”

“هوب..هوب..هوب.. يا عمر , عمر , فيه حاجة مهمة قبل ما تقفل”

“خير يا درغام..؟!”

“ قدرنا نعرف مين حامل التليفون الي بنص مليون دولار , والي مش قادرين نفك شفراته . ”

“ده خير.. مين يا درغام..؟”

“اسمع يا صديقي.. إن شاء الله لو تمت العملية بخير، هتبقى كدة ضربنا ثلاث عصافير بحجر واحد، هيبقي لقينا التليفون الغريب الي بيخص الجهة الإسرائيلية، وهيبقي توصلنا للشخص الي معاه التليفون، الشخصية الي قولتلك اسمها ومش موجودة على أرض الواقع، ناهد علام، وطبعاً العصفور الثالث والأهم، هو الفلاشة الي المفروض نلحقها قبل ما تسبب البلد“

“ثواني يا درغام.... خليك معايا.. أيوة.. أيوة“

“تمام يا باشا.. الله ينور ، أنا في طريقي ليك يا درغام ، والقوات قدامها نص ساعه وتكون جاهزة في طريقها للعلمين بردو ، درغام أوعى يفلتوا لحد أما أجي ، دى قضيتي يا غااااااام.. سلاااام“.

اقتربت قوات الأمن والمخابرات من المكان المعني الذي حددته إشارة الهاتف الخليوي ، من بعيد وقبيل وصول عمر نصر للمكان الذي حدده له درغام ، سمع عمر نصر صوت مروحية هليكوبتر من طراز { MD 500 Defender } الناقلة للأفراد ، لمح شخصين يرتديا بذات مدنية سوداء ، ومثلهم معهم في شكل يشبه المربع ، يبدو أنهم حراس شخصين أو ما إلى ذلك ، يتوسطهم امرأة تظهر من الخلف ، تبدو بلباس رمادي ، وجيب قصيرة - ميني جيب - فوق الركبة بمسافة ، يبدو عليها الأناقة ، شعرها يميل للون الذهبي الذي يعكس ضوء الشمس ، طويل جداً بحيث يتعدي مؤخرتها الكيرفي التي تظهر أسفل الجيب الضيقة ، وبجانبتها شخصاً يرتدي تي شيرت وبنطال جينز ، كما يرتدي نظارة شمسية تلمح أطرافها من بعيد ، أسفل قبعة راعي البقر تخفي ملامحه تماماً ، يتوجهون جميعاً نحو سلم الطائرة مسرعين ، في حين سمع عمر نصر دوي صوت رصاصتين ، لم يلحق عمر نصر كشف هويتهما ، رغم تأكيد درغام له أن تلك المرأة هي ناهد علام ، المرأة المجهولة الهوية حتى الآن ، حاملة الهاتف ، تدخل رجال الأمن مسرعين ، يتقدمهم عمر نصر و درغام الذي وصل للتو ، حيث وجدوا شاباً ثلاثيني غارقاً في دماؤه ، أثر استقرار رصاصتين في صدره ، يبدو نفس الرصاصتين اللذان سمع دويهم عمر نصر من لحظات ، لم يمتلك هذا القتل ما يثبت هويته ، لكن الأمر بات أقل إرتباكاً ، عندما عثر أحد رجال الأمن الفلاشة ، يخفيها هذا الشاب في مكان يحوي ثقباً بجسده ، كما تم العثور على هاتف خلوي بجوار الشخص ، إنه الهاتف المعني ، الذي تم فك شفرته وتحديد موقعه ، يحوي على قطعتي من الألماس ، أخذ درغام الهاتف يتفحصه ، فصل بطاريته بعدما حاول العبث بفتحه لكن دون جدوي ، وجد درغام ذراً خلف البطارية لم يعرف ماهية ، تم تحريز الهاتف

والفلاشة ، التي تمت تجربتها على أحد أجهزة الكمبيوتر المحمولة ، وتم التأكد من أنها الفلاشة المعنية بالبحث ، ثم رفعت الجثة في إحدى سيارات الإسعاف ، التي حضرت بعد الإبلاغ بدقائق .

_وقف الصديقان نصر و درغام يتشاوران بالأمر ، يقص عمرعلي درغام شكل تلك المرأة التي اعتلت الهليكوبتر منذ قليل ، وبعد الوصف الدقيق ذكر نصر أنها ترتدي أيضاً بقممها حذاء يلتف رباطه حول سماتها الخمرية ، يكاد يصل لركبتها ، وبعد تنفس الصعداء والراحة التي انتابت الصديقان لحصولهم على الفلاشة ، إلا أن كان هناك تساؤلاً يراودهما ، عن كيفية هبوط تلك الطائرة بتلك السرعة وفي ذلك المكان بالتحديد ، وداخل الحدود المصرية ، والتي أنقذت السيدة مع الذين يرافقونها ، قبل حتى وصول قوات الأمن..؟!

تم التواصل بين درغام مع وزارة الطيران المدني ، لمعرفة موقع الطائرة التي أقلعت من طريق العلمين والأشخاص الذين يقلونها فلم يصل لشيء ، إلا معلومة بعد المادولات ، بأنه يوجد أمر جاء من وزارة الداخلية بسرعة وإنجاز إجراءات طائرة خاصة بالقرب من التوقيت الذي بينه درغام ، كانت باسم سيدة تدعى (سكارليت روبنسون) ومرافقيها ، حيث جاءت الأوامر بالإقلاع فوراً دون أي تعديات ، وذلك عقب إخطار السفارة (الأمريكية) السفارة المصرية بالأمر .

_رنين واهتزاز بهاتف عمر نصر، المستقر على مكتبه، وهو غارق في العديد من الأعمال، وجد اسم مدحت درغام يظهر على الشاشة، رد نصر على الفور، وإذا بدرغام يخبره ببعض التطورات عن تلك الأحداث التي خاضوها سوياً، ليس على سبيل العمل أكثر منه على سبيل الصداقة، حيث أصبح هدفهم واحد إلى حد كبير، بين درغام أهمية الهاتف الذي طال تفقده، ومعرفة سبب سعره الذي يصل إلى نصف مليون دولار، بأنه ليس فقط قطعتي الماس المرصعتان عليه، بل أن ذاك الزر الذي يسكن خلف البطارية هو سر ثمنه الباهظ، أوضح أن هناك عدد قليل من تلك النوعية للهواتف المحمولة ومالكيها، لأن السر في ذلك الزر هو عبارة عن خدمة أو خاصية تمنحها الشركة المصنعة للهاتف، لعميلهم الـ (VVIP) الذي يحمل هذا الهاتف ذا النصف مليون دولار، يمكنه بضغطة زر واحدة أن يتم تحديد موقعه، حيث تصل طائرة خاصة تنقل حامل الهاتف لأي مكان يريده في بضع دقائق، لكنها ضغطة لمرة واحدة فقط بعدها تقله الطائرة، كما يقوم الهاتف تلقائياً بعملية مسح لأية بيانات يحويها الهاتف، وإغلاق نظامه نهائياً، ووقف شريحة الإتصال عن العمل، ولم يتبق من الهاتف إلا قطعتي الماس ثمنهم لا يتعدى الـ 50 ألف دولار ليس إلا .

بات خيط الأمل الذي حصل عليه درغام، لا يغني ولا يثمن من جوع، عجزت الأجهزة الأمنية من الإطلاع على خصوصيات العملاء بعد التواصل مع الشركة المصنعة للهاتف والتي مقرها (كاليفورنيا —) ، حيث أفاضت الشركة بإلتزامها بالسرية التامة

لعملائها ، وعدم البوح بأي معلومات تخص العملاء ، لأن هذا يعتبر إحدى سياسات الشركة على حد قول ممثلها .

ـ يقن عمر نصر أن المدعوة ناهد علام التي لم تنطبق على أي شخصية في أرض الواقع ، هي نفس الشخصية التي لمح مؤخرتها قبل إقتلاع الطائرة ، وهي أيضاً المدعوه سكارليت روبنسون ذات الجنسية الأمريكية التي توسطت لها السفارة الأمريكية ، كما أرغمت وزارة الداخلية على تسهيل الأمور الدبلوماسية ، حتى لا تتعقد العلاقات الدولية ، إلا أن وزارة الداخلية باتت في غفلة عارمة .

وبعد البحث والتحري عن طراز الهليكوبتر الـ (DM 500 DEFENDER) من قبل درغام ، وجد عدة ملحوظات ، أولها جنسية تلك المروحية الأمريكية ذات الجنسية المعنية بالسيدة سكارليت روبنسون ، وذات الجنسية للشركة المصنعة للهاتف الخليوي المليونى ، ثم أن هذا الطراز مازال يعمل في التدريبات لدي القوات الأمريكية ، كما يستخدم أيضاً هذا الطراز بجيش كوريا الجنوبية ، والقوات الجوية الإسرائيلية ، الأمر الذي بات مربكاً لدى أجهزة الأمن .

.....

“ كثيرًا ما يعد عمل الناقد من أسهل الأشياء ، فليست به مخاطرة ، لا نخطئ بشيء ونستمتع بالتحكيم ، كثيرًا مانجذب للنقد السلبي ، مأمع النقد السلبي لمن يكتبه ولمن يقرأه ، لكن الحقيقة المرة التي يجب أن نواجهها ، أنه وبكل المقاييس ، أحيانًا أتفه الأشياء التي ينتجها الآخرون قد تزيد أهمية عن كل ما نقول ، لكن المخاطرة الوحيدة التي يتعرض لها الناقد هي عندما يتحمس ويدافع عن الجديد ، فالعالم لا يرحب بالمواهب الجديدة أو التغيير ، والجديد يحتاج لصديق ، بالأمس اختبرت شيئًا جديدًا ، وجبة لا مثيل لها من مصدر لا يتوقعه أحد ، ولنقل أن الوجبة والطاهي أثبتنا أن فكرتي المسبقة عن جوده الطهي بالغة التواضع ،...لقد هز كياني بشدة...

في الماضي لم أخفي رفضي لعبارة الشيف جوستوه المشهورة الطبخ للجميع ، ولكنني لم أدرك ما كان يعنيه سوى الآن ، ورغم أنني مازلت أري أنه لا يستطيع أي شخص أن يصبح فنانًا عظيمًا ، لكن الفنان العظيم قد يأتي من حيث لا نتوقع ، لا يمكن أن تتصورا مدي تواضع نشأة العبقري الذي يطهو الآن في مطعم جوستوه والذي يعد في رأيي وبكل صدق ، أفضل شيف في فرنسا ، وسوف أعود إلى مطعمه قريبًا جائعًا إلى المزيبييد

كانت تلك الكلمات التي يخرج صداها برفق من باب غرفة عبدالله ، الذي يجالسه أخاه يستمعان لفيلم كرتوني يدعى (Ratatouille) في إحدى أجازات كلية عماد العسكرية ، حيث استوقفت محبة تلك العبارات ، التي كان يلقيها (أنطوان إيجو) كناقد في أن العالم لا يرحب بالجديد أو التغيير ، أثرت فيها تلك العبارات ، فتفاجأت

بعد إقحامها الغرفة أنه مجرد شخصية كرتونية في فيلم أنيميشن ، لكنها لم تستعجب عندما أخبرها عماد أن الفيلم حاز على جائزة الأوسكار لعام 2007 تقريباً ، وعندما طلبت منهما استرجاع العبارات الأخيرة قبل انتهاء الفيلم ، حتى تسترجع معانيها ، بالفعل لمست قلبها ، قبل أن ينطق عبدالله بكلمات توحى بتشبيه أفعال أمه وموقفها بتلك العبارات التي أدهشتهم جميعاً ، عندما أعادوها للمرة الثانية ، حيث أنها أرادت أن تفعل تغييراً ، وصل إلى حد الدولة بل العالم ككل ، سواء من مشروعها (إنسانفريديا) ، أو مشروع (بيت الله) ، الأمر الذي بات مستحيلاً ، نظراً لعدم تقبل المجتمع لما هو جديد ، أو تقبله لفكرة التغيير ، وبعد بعض المزايدات التي تمت ، طلبت محبة تكرار عبارات (أنطوان إيجو) الشهيرة مرة أخرى ، قبل أن تترك غرفتهم مغادرة .

(الفصل العشرون)

محبة في ترشيحها الثاني لجائزة نوبل ، لم تصدق تلك التجربة التي تكررت ، منحة من الله ، لأنها لم تك لتدرك حفلتها الأولى — (ستوكهولم) بالسويد ، حيث أنها كانت مازالت في شدة وعكثها الصحية ، تلك المرة التي كانت بعيدة كل البعد عن مسيرتها العلمية بل تقصد مسيرتها الإنسانية ، تمت التوصية من قبل الجهات المعنية للترشيح بمساعدة عمر نصر و أحمد مجدي ، اللذان فاجئا الجميع بتلك الفعلة والتي أوددت بدعوتها تلك المرة للعاصمة (أوصلو) بدولة (النرويج) المعنية بتسليم جوائز نوبل للسلام فقط ، في ذات الموعد من كل عام 10 ديسمبر ، تاريخ وفاة العالم (ألفريد نوبل) ، وبالفعل تمت الزيارة وحفل التسليم ، نظرا لأعمال تلك السيدة حول السلام والإنسانية ومشروعها (بيت الله) الذي أعطى الكثير عنه إنطباعاً إيجابياً بالوصول لهدفه ، وهو بتريد الإرهاب ، داخل حدود الدولة المصرية ، بل تعدى للعالم ، تلك الثقافة التي بثتها السيدة محبة في مجتمعا ، فضلاً عن إحتوائها لأبنائها مختلفي العقيدة .

وعلى ذلك ذاع صيت محبة الذي تخلل كل شبر في أرض المسكونة ، تسلطت عليها الأضواء العالمية والمجتمع الدولي أكثر وأكثر ، لم تمنح جائزة نوبل ذلك العام 2010

سوى لشخصين أحدهما للصيني (ليوشياوبو) والأخرى المصرية

(محبة نخيلة) ، حيث تربعت محبة على عرش سيدات العالم في الحصول على نوبل مرتين ، دون الإشتراك مع أحد ، بعد البولندية (ماري كوري) التي حصلت على نوبل في

الفيزياء عام 1903 بالإشتراك مع زوجها (بيير كوري) ، كما حصلت مرة أخرى منفردة على نوبل في الكيمياء عام 1911 .

باتت محبة أيقونة للعلم وللعلم ، رمزاً للسلام ، لوحة الحب والعطاء ، باتت خير امرأة أثبتت للعالم أنها تستطيع أن تحدث تغييراً جذرياً في الوعي والفكر العالمي ، في تغيير ثقافة الجهل ، في الإنهاء على أصابع الإرهاب والتطرف.

زاد إعجاب عمر نصر لشخص محبة ، كما لم تعرف محبة تفسيرات لنظراته التي تلاحقها ، حيث زاد إلتصاقه بالعائلة في الفترة الأخيرة ، لكن دائماً رأيها في شخصه أنه رجل في زمن ندر فيه الرجال ، كانت تكن له كل تقدير وإحترام ، لكن نظراته كانت فاضحة تلك الأيام ، يملأؤها الإعجاب والحنان والعطف ناهيك عن الإهتمام الزائد .

وأثناء حفاوة لم شمل العائلة ، وبحضور محبة وولديها بجانب أمها في بيت نخيلة ، و فيكتور الذي وضع نفسه في خانة ضيف الشرف ، وبحضور عمر نصر وأحمد مجدي وصديقتها سارة وصفي ، للإحتفال بـ محبة ، عقب رجوعها من النرويج بعد تسلم الجائزة ، وأثناء الاستمتاع بالحفل البسيط المقام ، دق باب الفيلا ، وإذا بـ أسامة نخيلة الذي وضحت عليه علامات الكهولة والعجز ، لم يعد قادراً أن يتحرك على قدميه ، يدفعه ابنه مايكل على كرسي متحرك ، سلم على الجميع ، بعدما سكن بإحدى الزوايا وبجواره ابنه الذي يتكئ على إحدى المقاعد ، أراد أسامة قول شيء ما ، لكن يبدو أنه لم يقو على النطق ، وحتى إن تلفظ ببعض الكلمات فتخرج غير مفهومة ، بسبب ما أصابه من العديد من الجلطات في الفترة الأخيرة ، والتي بدورها قد أثرت على عدة مراكز حيوية في جسده منها الحركة والنطق ، حيث أصبح في حالة شلل شبه كلي ، وأضحت حالته يرثى لها .

“ بابا.. بابا..؟؟ ”

لكن لم يجدي الأمر نفعا ، حتى فارق أسامة الحياة في الحال ، وكان ملك الموت قد تلقى الأوامر بعدم قبض الروح إلا بحضور محبة وإبداء تسامحها ، توفى القس أسامة نخيلة .

.....

_شد حالة الطوارئ والتأهب في جميع أنحاء الأسكندرية ، من قبل رجال الأمن بوزارة الداخلية ، نظرا لقرب انتهاء عام 2010 ، وبداية العام الجديد ، الحالة السياسية غير مستقرة ، بسبب العديد من الأحداث ، خصوصا خبر توريث الحكم في مصر من قبل الرئيس محمد حسني مبارك ، الذي زاع صيته وانتشر في جميع أركان المحروسة ، والمعارضة لم تستكن ولم تتلخص في جهة سياسية واحدة ، فالرفض التام هو سمة جميع أطياف الشعب ، وعلى الرغم من التوحد الذي ألف بين فئات الشعب وأحزابه ، إلا أن صيت جماعة الإخوان المسلمين الذين يظهرون بمظهر الأخ الحنون ، وعمل الخيرات والإحساس بالفقراء ، أدى إلي جذب العديد من الشباب لتلك الجماعات ، ووثق الكثيرون في اللحية والجلباب ، بعدما تغاضت بعض الفئات عن مبادئها ، والإلتفاف حول هدف واحد وهو عدم توريث الحكم بمصر ، ولاسيما أفعال العنف التي تنتج عن بعض عناصر الداخلية ، التي باتوا كجلادين للشعب ، زادت النفوذ السلطوية ، كثرت التعديلات على الحريات ، شعرت الأجهزة الأمنية بوجود حركات وأصابع خفية تدبر لأمر ما في مصر ، خصوصا بعد الإضطرابات التي بدت بوادرها في تونس منذ أيام قليلة ، بإضرار شاب يدعى (محمد

البوعزيزي (النار في جسده يوم 17 / 12 / 2010 ، وكان ذلك تعبيراً على رفضه لحالة الإجتماعية والمعيشة ، والقسوة التي ينتجها مجتمعه ، بعد مصادرة _عربة أكل عيشه_ على حد تعبيره ، وأثر الحادث بيوم _18 / 12_ ، خرجت المظاهرات التونسية من كل حذب ودرب تعبيراً عن رفض أوضاع البلاد ، للحث على وجود عدالة إجتماعية ، حيث رأت بعض العناصر القيادية بمصر بخطورة قادمة ، ورياح عاتية ، تأتي بوادرها من دولة تونس .

_تلك الأوقات العصبية التي تمر على الأجهزة الأمنية المصرية ، بالإضافة إلى خبر تقدم إذاعته في جهات عديدة ، الجرائد والسوشيال ميديا ، الذي أربك أيضاً الحالة الأمنية داخل الأسكندرية ، وهو محاولة قتل رجل الأعمال الأشهر السيد (محمود السيد سرحان) من قبل بعض العناصر المجهولة الهوية ، وأسفرت محاولة القتل على إصابته إصابة بالغة ، إثر إطلاق النار على سيارته الشخصية ، أثناء توجهه من مكتبه إلى بيته ، وراح ضحية الحادث اثنين من رجاله وإصابة آخرين ، كما فر الجناة بفعلتهم ، ولم يتم العثور على عنصر واحد حتى الآن ، زادت الأمور تعقيداً بعد اخفاق الشرطة معرفة الجناة ، كما أن رجل الأعمال محمود سرحان يعتبر من إحدى الشخصيات العامة والهامة داخل الأسكندرية ومصر ، ومرشح لعضوية مجلس الشعب عن إحدى دوائر الأسكندرية ، فتم وضع عناصر حراسة على مكتبه ، وحراسة أيضاً على فيلته وأماكن ترده الخاصة فضلاً عن المستشفى التي يتلقى فيها العلاج .

ثلاث عمليات خطيرة بالكثف ، بسبب رصاصتين اخترقتا ذراعه الأيمن ، والآن يرقد السيد محمود سرحان في إحدى أجنحة الـ vip في المستشفى لتلقي العلاج والرعاية ، وصل بعض الشخصيات الهامة وضباط الشرطة منهم السيد عمر نصر و فيكتور نخيلة للإطمئنان على رمز الأسكندرية ، حيث كان يربط فيكتور نخيلة بالسيد محمود سرحان علاقة ليست وطيدة ، لقصر مدة تعارفهم وتعاملهم سوياً ، أضحت المصالح والبيزنس بين مساعد مدير الأمن ورجل الأعمال الشهير تضافو على أي علاقات أخرى .

.....

_عمر نصر يجلس مع صديقه درغام في إحدى الكافيهات ، يحاول أن يسترجع بعض المعلومات عن الجهة التي أوشكوا على الإيقاع بها ، ورغم أن درغام كان يحاول أن يخبر نصر عن بعض التطورات ، إلا أن عمر نصر يحوطه المشكلات من كل جانب ، بل أنه لفت نظره الاسم الذي هتف به درغام من ثواني (ديفيد أندريا) ، وأنه ذات الجنسية التي تحملها (سكارليت روبنسون) التي تحمل الاسم الحركي ناهد علام ، وأن ديفيد هذا يحمل أيضاً هاتفاً مثل الذي حرز في القضية الأولى .

ضيقنا حدقتا عمر نصر وهو يسترجع أقوال شهود العيان في قضية محاولة مقتل محمود سرحان ، حيث أدلى أكثر من شخص بوجود بعض الأفراد التي تختلف هيتهم عن أنهم مصريين ، أو حتى عرب ، وهو يقول في نفسه :

“ إيه دخل محمود سرحان بالموضوع ده ”

حك عمر نصر حاجبه الأيمن بسبابته , وهو يبدو عليه التشتت ثم أردف :
 “ بص يا درغام , على ما أعتقد كدة إننا قربنا كتير قوي من خيوط القضية دي , وعلى
 الرغم من المشاكل الي حوليا , إلا أن محمود سرحان الي حاولوا قتله من كام يوم ده , ليه
 يد في قضيتنا ”

ارتسمت ابتسامة على وجه عمر نصر وهو يكمل :
 “ أفوق بس يا درغام من موضوع السنة الجديدة , وعيد الميلاد الي فاضله كام يوم ,
 علشان الوزارة شده حيلها علينا , وبعدين نروق بقي لموضوع سي ديفيد , وست
 سكارليت , وأوعدك إنهم ه يكونوا معانا وتحت إيدينا في أقرب وقت , أستأذنك أنا بقي ,
 عندي بلاوي, سلام يا صاحبي ”.

(الفصل الحادي والعشرون)

فتحت محبة عينيها اللتان يضيفان بريقاً سماوياً على وجهها ، حينما يشرقان في صباح يوم شتوي قارص ، الهواء يرج النوافذ ، والأمطار تغزو الأرض والحديقة حول الفيلا ، ارتسمت على وجهها إبتسامة براقّة وهي تهتف باسم أمها ، إلا أن فتح باب غرفتها إبنها عبدالله ، استقبلته بذات الإبتسامة لكنها تحولت لإبتسامة حب وحنان ، وهي تفتح ذراعها له ، ارتمى عبدالله كالطفل الصغير بين أحضانها ، فقد كان يهون عليها كثيراً غياب عماد في كليته بالقاهرة ، دخلت عليها أمها التي وصلت متأخرة ، لفت (محبة) ذراعها الأخرى حول كتف أمها التي استقرت بجانبها ، وهي تقبلها هامسة :

“ عيشة يا ماما.. عيشة ”

عقدت ليلى حاجبها اللذان يغروهما الشعيرات البيضاء ، في عدم تفهم :

“ عيشة.. مالها يابنتي.....؟! ”

أكملت محبة حديثها وهي تفرك عينيها بيديها ، وهي توجه نظرها بين أمها وابنها الملتفين حولها على سريها ، وهي تتثائب :

“ الحلم يا أمي.. ”

“ تاني يا محبة.. الحلم إياه تاني.. استرها يارب ”

“ لا يا ماما.. , المرة دي غير كل مرة ، المرة دي بدأ الحلم هادي وجميل بجمال وحلاوة المنظر ، وطيف العدرا قربت قوي مني المرة دي ، وكلمتني كمان ، والزهرتين الي تحولوا قبل كدة لولادي كانوا زي ماهما زهرتين فضي ، لكن الغريبة أن السبحة ماوقعتش منها ، ومظهرش الشبح الي قولتلك عليه ، راحت البتول أخذتني في حضنها ، مش قادرة أوصفلك شعوري وأنا في حضنها ، ولا الريجة الي شمتها ، يااااااااا يا أمي ، حاجة في قمة الروعة ، وزى مايكون بقيت طفلة ، طفلة جميلة بريئة في حضنها ، زى يسوع بالظبط وهو في حجرها “

أطاحت محبة بذراعيها عالياً وهي تتثائب مرة أخرى في نشوى وسعادة ، مستكملة :
 “ أنا حاسة إني لسة سعيدة لحد دلوقتي ، لكن حصل حاجة غريبة.... حاجة مش فاهماها “

“ حصل إيه يا حبيبتي..؟ “ سأل عبدالله

“أما حضنتني البتول ، شوفت حواليا هالة نور ، وبعدين تكلمت وأنا طفلة رضيعة في حضنها ، وسألتها سؤال غريب ، بقولها إنتي مين يا أمي....؟
 إنتي مين يا أمي....؟ ، وقتها لمحت طيف تاني برده شبه أمنا مريم الي قاعدة في حضنها ، لكنه أصغر منها في الحجم ، وفضل طيف مريم التاني ده يقرب عليا وهي الي ردت على سؤالي ، لكن كان رد غريب قوي مش فاهماها يا ماما “

أصابهم الذهول من هول الحلم ، الذي لم يعرف أحداً له تفسير حتى الآن ، وحتى محبة نفسها أحياناً كثيرة تعتبره تراهات ، وأحياناً أخرى تراه رسالة ، لكنها لم تك واضحة حتى الآن .

وبعد الصمت الذي ساد الغرفة ، أكملت محبة حكيها عن الحلم ، وأن الطيف الثاني أو السيدة مريم الثانية التي أخبرتها بأنها عائشة ، والي أعطتها بطاقة السلام للشيخ عبد المحسن سلامة ، أوصتها بهمسات لمست قلبها من بعيد بأن تعني بـ مريم ، حتى إنها استعجبت للأمر وسألت كيف أعني بـ مريم ، وهي التي تعني بنا جميعاً.. كيف..؟ ، حتى استيقظت على تلك الهمسات وهي تتسائل ، من مريم؟ وكيف أعني بأمر النور وهي التي تعني بنا.....؟؟؟؟؟؟؟؟.

جاءتها فكرة وهي تهتم بترك فراشها ، بأن الشخص الوحيد القادر على إيجاد تفسير لما يحدث هو الشيخ سلامة بنفسه ، ثم وجهت سؤالاً عن أحمد مجدي في الحال ، فأخبرتها أمها أنه نزل باكراً ، يتابع بعض الأعمال في مشروع بيت الله ، الذي أضحى يوتوبيا السلام والحب والمعرفة في الأسكندرية ، بل وارتاد عليه كثيرين من المحافظات الأخرى ، ولم يقتصر على أهل الأسكندرية فقط .

_استعادت محبة نشاطها بعد أخذ حماماً شتوياً ممتعاً بالمياه الساخنة ، توجهت لمهاتفة أحمد ، وقبل أن تضغط زر الإتصال ، وجدت اسم عمر نصر ..يتصل بك... ردت على الفور على مكالمة عمر ، فأخبرها أنه في أمس الحاجة لها ولصديقتها سارة أيضاً للإدلاء ببعض

الأقوال التي تخص قضيتها المليارية ، مع تلك الجهة التي بعثت لهم بعض العناصر منذ سنتين على ما يبدو ، وتم مرافقتهم إلى المكان الذي تبادلوا فيه الحديث ، وأن وجود سارة شيئاً في غاية الأهمية ، نظراً لأن محبة كانت تعاني من مرضها في تلك الأونة .
أغلقت محبة الخط ، بعدما أخبرها نصر بسرعة حضورهما ، وبأنه في طريقه إليها .

علي الفور وصل السيد عمر نصر بسيارته الخاصة أمام فيلا نخيلة ، نزلت محبة متوجه نحو سيارة عمر نصر ، الذي أصر على إصطحابها معه بسيارته ، وعندما وصلت سألها عما إذا كانت تواصلت مع سارة ، فأخبرته أنها تجهز الآن لمرافقتهم رغم مرضها ، وقبل المغادرة ظهر أحمد مجدي ، الذي ألح على مرافقة محبة ، إلا أن محبة طمأنته بأنها ستكون بخير مع السيد عمر نصر ، اعتذر عمر نصر لـ أحمد مجدي بوجه بشوش ثم غادرا .

.....

ركبت سارة بالمقعد الخلفي لسيارة عمر نصر، بعدما أقنعتها محبة بعدم قيادة سيارتها الشخصية نظراً لسوء حالتها المرضية ، الأمر الذي بات ثقیلاً على سارة ، لعدم وجود كيميا بينها وبين عمر نصر.

تغير وجه سارة من أسئلة عمر نصر التي انهالت عليها منذ ارتيادها سيارته ، وعندما سألها عن تغييرها الدائم للون شعرها وهندامها ، سمعت قهقهات تصدر من محبة وهي

ترد على سؤال عمر، بأن صديقتها مغرمة دائماً منذ الجامعة بتغيير (اللوك) على حد قولها ، لم تستطع سارة الرد على أسئلة عمر نصر نظراً لشدة مرضها ، لربما رأت أحياناً أنه يغازلها وأحياناً أنه يراقبها ، اكتفت سارة بإيماءة وجهها ورفع حاجبها الأيسر مع إبتسامة صفراء ، وهي تتصفح هاتفها الشخصي ، ولم تعر عمر نصر أي إنتباه .

ساد الصمت قليلاً داخل السيارة ، وهم في طريقهم لمكتب السيد مدحت درغام ، طلبت سارة من محبة بتوقف السيارة بجوار _كشك السجائر_ الذي يظهر بجانب الطريق ، لشراء بعد الحاجيات ، بالفعل لم يمانع عمر نصر ، تجنب الطريق وهو ينظر في مرآة سيارته ، لاحظ استقرار سيارة كانت تتابعهم من بعيد ، على جنبات الطريق أيضاً ، لم يخبر عمر نصر أحداً بتلك السيارة حتى لا يزعجهن ، زادت شكوكه ، اشم رائحة خطر ، بدا خوفه على مرافقيه ، لم يعتاد عمر نصر على شعور الخوف ، لكنه قلق بأمر من يرافقه ، لاحظت محبة بعض الأمور المذبذبة والقلق الذي ظهر على وجهه ، وقبل أن تسأله ، اتسعت حدقة عيناه ، طلب منها أن توطئ دواسة المقعد ، وهو يضع يده على رأسها وعينييه على سارة التي تقف عند كشك السجائر، نزل أربعة أفراد ملثمين ، مسلحين بأسلحة نارية ، الأمر الذي جعل الذعر يدب أرجاء الشارع بأكمله ، وفي ثوان معدودة انهالت الطلقات على سيارة عمر نصر من الخلف ، وهم يقتربون نحو السيارة ، أخرج عمر نصر سلاحه الخاص - مسدس - وأخذ يبادلهم بعض الرصاصات العشوائية ، محاولة منه بإبعادهم ، لكن هيهات ماذا يفعل مسدس صغير أمام نيران بنادق آلية...؟؟؟ .

ارتبك الشارع ، إصدمت بعض السيارات المدنية التي تسير على الطريق ، إثر إطلاق النار، توارت سارة خلف كشك السجائر في فزع ، لمحها أحد العناصر الذي قام صديقه

بتغطيته ، وصل إليها الشخص ، والآخرين مازال يطلقون النيران على عمر نصر، هدها الرجل بالسلاح ، ثم أمسك رقبته من الخلف ، متوجها نحو سيارتهم ، وفي تلك الأثناء تدخلت إرادة الله ، فقد كانت تمر إحدى سيارات الشرطة في المكان ، الأمر الذي أربك هؤلاء ، مما جعل قائد سيارتهم يتقدم نحو الشخص الذي يجلب سارة من خلف الكشك ، أرغمها على الركوب وفروا مسرعين ، لم تقو سيارة الشرطة على اللحاق بهم ، كما دمروا سيارة السيد عمر نصر كلياً ، وعندما نزل قائد دورية الشرطة ليتفقد السيارة فوجئ أن من في تلك السيارة مدير الأمن بنفسه ، فأصدر إليه الأوامر بإخبار المديرية في الحال ، والاتصال بالإسعاف حالاً .

_ اختطفت سارة وصفي من بين يدي مدير الأمن نفسه ، الأمر الذي أصابه بالغضب الشديد والتذمر ، أبلغ عمر نصر صديقه درغام وهو في طريقه للمشفى ، لإصابته ومحبة ببعض الشظايا من الزجاج المهشم للسيارة ، الجروح طفيفة ، حمد الله لم يك هناك إصابات بالغة ، لكن ما يشغل بال محبة هو صديقتها التي لم تعرف مصيرها حتى الآن .

_ توجه درغام للمشفى التي احتوت الحادثة ، ليطمئن على صديقه ومحبة ، وبعد تضييد جروحهما ، أكد درغام لصديقه أن تلك الحادثة لربما تكون مدبرة لإغتيال مدير الأمن نفسه ، وبأنه هو المقصود بعينه ، بسبب الربكة القائمة في حالات الأمن قبل حلول أعياد الميلاد ، وأن ما حدث يعتبر إحدى أوجه الإرهاب ، كما أخبره أن هناك حوالي خمس أو ست عمليات إرهابية مدبرة ومحتملة في تلك الأوقات الراهنة ، تلقى عمر نصر الأخبار

من صديقه بلا مبالاة وأنه معتاد على تلك الأفعال الإرهابية لإرهاب رجال وأفراد الأمن ذاتهم ، لكنه أدلى برأيه الذي يتخوف منه عندما هم بسؤاله لـ درغام :

“ ممكن تكون العملية دي مش أنا المقصود بيها ، وتكون الدكتوراة محبة هي المقصودة.....؟ ”

“ إيه الدافع يا عمر لإغتيال محبة.. لا.. لا.. أكيد إنت المقصود ” ...رد درغام

“ يا صديقي إحنا بنواجه أجهزة مخبراتية عالية الكفاءة ، وخروج محبة معايا في التوقيت ده مع صاحبته ، علشان نبحت في موضوع الجهة إيها ، أكيد عندهم إخبارية بكل حاجة ، وكمان هما معارفوش إن محبة كانت بتعاني من مرض نفسي وقتها وفقدان ذاكرة وكدة.....هه.....؟ ”

نظر درغام لعيني عمر نصر نظره يغلب عليها التحديق قائلاً :

“ أنت يا عمر.. أنت المقصود ” .

.....

يتصدر خبر محاولة إغتيال ثانية ، بعد محاولة إغتيال رجل الأعمال محمود سرحان ، بإغتيال السيد عمر نصر مدير أمن الإسكندرية والدكتوراة محبة نخيلة ، وأوائل الصحف والجرائد ومواقع التواصل الإجتماعي ، ووجود بعض شهود العيان الذين أكدوا تواجد

السيدة محبة بجوار مدير الأمن في سيارته أثناء الحادثة ، وبالمستشفى إثر الحادث والتي تربطهم علاقة وطيدة ، لم يكن الخبر الأول من نوعه في حوادث الإرهاب ومحاولات الإغتيال لشخصيات عامة ، الأمر الذي زاد الطين بله ، جعل التوتر يتخلل الأجهزة الأمنية ، نظراً لعدم تحكمها في الأمور وإخفاقها المتوالى في القبض على تلك العناصر .

_ لم ينتهي الأمر بـ محبة بظهور صورتها الشخصية بجانب صورة اللواء مدير الأمن في التلفاز وفي الصحف ، أصيب عمر نصر بضغط شديد ودمار نفسي لما أحس به ، بأنه أحد الأسباب التي أدت لتلك المشكلات التي غاصت بها قدماءه ، لكن خبر تحويل محبة لقسم النفسية والعصبية مرة أخرى ، هو من جعله يشعر بالذنب ، وذلك بعدما صدمت من خبر وفاة صديقتها المقربة (سارة نجيب وصفي) الذي تصدر وسائل الإعلام ، حيث أنها قتلت في ظروف غامضة ، عثرت على جثتها ملقاة في إحدى السيارات المجهولة الهوية التي اصطفت بمحاذاة طريق مصر إسكندرية الصحراوي ، وملحق بالخبر صورة لـ سارة وهي تسبح في دماءها ، مما جعل السيد عمر نصر شخصاً بائساً ، لم يعد يقو على الحياة بعدما شعر بالذنب تجاه قتل سارة أيضاً وما لحق محبة من أذى ، مما جعله يصدر أوامره لنائبه فيكتور نخيلة بتولييه زمام الأمور ، لأنه لم يعد يقوى على المقاومة .

_ تضع ليلي يدها على خدها بجوار سرير المستشفى ، الذي يحمل ابنتها المريضة ، وبجوارها أحمد مجدي ، الذي احمرت عينيه من البكاء ، وعبدالله وعماد يلتفان بقلق حول أمهما ، قدم عماد طلب أجازة للإطمئنان على والدته ، ثم نزل في الحال ، وبعد قليل دخل فيكتور

ووجهه مسوداً , لتلك الأحداث المتتالية , كما حمل على عاتقه مسئولية الحادث , بعدما أراد عمر نصر الإنفراد قليلاً مع نفسه يومين على الأقل ليستريح .

لقي فيكتور عند دخوله غرفة المستشفى مايكل الذي كان مصدوماً , ومنهمراً بالبكاء , إلا أنه عندما رأي فيكتور أخذ يندب حظه وهو يهمهم ببعض الكلمات , بأن الرب ليس راضياً عنه حتى في مسألة زواجه بـ سارة , الذي أحبها من كل قلبه كما ذكر , وبنحيب :

“ ده أكثر من عشر سنين , وأنا مستني وفي الآخر تسيبني لوحدي , كدة يا سارة , أنا فقير , أنا طول عمري وحاسس إني عمري ماهتجوز ”

نظر فيكتور لـ مايكل نظرة اشمئزاز , وهو يركز على أسنانه , ثم أمسك بقميصه من الخلف , وهو يدفعه نحو بابا الغرفة , مخرجاً إياه وهو يهمس بصوت خفيض “ غور في داهية.. إحنا ناقصين أمك ”

أغلق فيكتور باب الغرفة مرة ثانية وهو ينظر لأمه , التي يعتليها الحزن والبؤس على حالة ابنتها وبجنو :

“ ماترعليش يا ماما.. إن شاء الله محبة هتتعالج , حتى لو هيكلفني الأمر إني أسفرها برة في أحسن مستشفيات في العالم ” .

_تزداد حالة محبة سوءاً يوماً بعد يوم , لم تعد تتكلم كسابق عهدها , عاودها المرض مرة أخرى , على حد قول أطباء النفسية , بأنها تعاني بذات المرض

(فقدان الذاكرة النفسي) ، إثر تعرضها لصدمة شديدة ، جعلت عقلها يعتمد النسيان واللامبالاة ، أين عائشة الآن..؟ ، أين الدكتور هاشم سند..؟ ، تلك الأسئلة التي تراود أمها وكذلك أحمد مجدي ، إلا أن أردف عماد داعياً الله لها فهو الشافي وسيشفيها بإذن الله كما فعل أول مرة .

حاول الجميع من حول محبة أن يتلاشوا الأخطاء التي ارتكبت في مرضها سابقا ، بات أحمد مجدي تحت قدم محبة إن جاز التعبير، عماد في كليته و عبدالله أيضاً مشغولاً بدراسته ، وأمها خانها عمرها فقد كبر سنها ولم تعد قادرة على الإعتناء حتى بنفسها ، ولم يتبق سوى أحمد مجدي الذي أضى مثلاً لمعنى السند .

_تكررت أفعال محبة مثلما كانت تفعل من ذي قبل ، كان يساعدها أحمد في حركاتها وأفعالها ، يرافقها جلساتها الصامتة ، مثلما كانت تفعل عائشة ، لم يك يعارضها في أي فعل كما تعلم من عائشة أيضاً ، وعندما يحضر التوأم أمهما كانا يرافقانها في كل شيء ، يجلسان معها ، يصلون سوياً ، يساعدونها على تعجيل شفائها .

خطرت على بال أحمد فكرة ، لكنه لم يعرف مداها أو نتائجها ، ثم صرح بتلك الفكرة لولديها ، بأنه يريد حقن محبة ببعض جرعات من عقار (Brain eternity) الذي ظن أنه سيساعدها بتحسين حالتها ، واسترجاع وعيها وذكرياتها ، فرحب الفتیان بتلك الفكرة كثيراً ، إلا أنهم ينقصهم شيئاً هاماً ، ألا وهو مقدار الكمية المحقونة ، حتى لا تتأثر محبة بأية آثار جانبية قد تؤذيها ، أو يعطي الحقن نتائج عكسية ، لأن الكمية

المحقونة على حد قول أحمد تفرق من مريض لآخر , ومن سن لسن , حسب نتائج تحاليل الغدة النخامية , وعمر المريض وإذا كان يعاني من أمراض أخرى , وذلك كما علم من محبة ذاتها عن مشروعها .

_بات الأمر جدياً في فكر هؤلاء , خصوصاً بعد تصريح طبيبها المعالج بسوء حالتها وانعدام الأمل في الشفاء , نظراً لتكرار العله , بعدما علم الطبيب أن رحلة شفاءها في وعكتها الأولى قد شارفت على العام , لكن بكل المقاييس أدلى ببعض التعليمات التي تحافظ على استقرار حالتها مؤقتاً , لكنه نفي رجوع حالتها لسابق عهدها , الأمر الذي جعل فكرة حقنها بعقار الـ (Brain eternity) , هي السبيل أو الأمل الوحيد نحو التعجيل بشفاؤها .

وفي إحدى الجلسات التي تجمع بين ليلي وأحمد , أخبرته بأن محبة كانت تريده في أمر هام لزيارة شيخ يدعى عبدالمحسن سلامة , إلا أنه قاطعها هاتف السيد عمر نصر يوم الحادث , مما جعلها تؤجل زيارة الشيخ .

_طمئن عمر نصر على محبة وعائلتها , التي داوم زيارتهم في الفترة الأخيرة , كما أوصاهم بالاهتمام — محبة في تلك الفترة وشدد على أحمد مجدي خاصة , نظراً لإنشغاله التام في الفترة القادمة بسبب قرب نهاية العام , والتحضير لخطة التأمين للكنائس ودور العبادة , كما أدلى بالعدر أيضاً لـ فيكتور بإنشغاله في تلك الأونة , لأنه بالكاد مساعداً لمدير

الأمن ، ثم ترك عمر نصر إبتسامة يملأها العطف والحنل للحضور قبل أن يهم بالمغادرة.

.....

_جلست محبة تحمل بين يديها الكتاب المقدس ، وهي ترتدي حجاباً رمادياً ، متربعة على سجادة صلاة بإتجاه القبلة ، وضعت الكتاب المقدس على السجادة وأمامها تمثال العذراء ، تصلي بصوت جهور تقشعر له الأبدان ، ومن خلفها يراقبها أحمد وعبدالله ، ينظران لها في ذهول ، فهي تصلاة كالمسلمين بإتجاه القبلة وهي تقرأ سورة الفاتحة وتتبعها ببعض آيات من الإنجيل ، ثم تركع وتسجد وتستقيم ، وتكرر في كل ركعة ، حتى تلفتت يميناً ويساراً هامسة ((السلام عليكم ورحمة الله... السلام عليكم ورحمة الله)) ، وعلى ذلك لم تك تلك نهاية صلاتها والتي تبتعتها بصلاة أخرى وهي تقيم الثالوث المقدس على وجهها وتصلب بإسم الأب والأبن والروح القدس .

ينظر أحمد بدهشة لـ عبدالله ، وكأنه لم يتفهم ماذا يحدث ، قبل أن تلتفت محبة برأسها نحوهما ، لأول مرة منذ وعكثها الثانية من أيام ، ترسم ضحكة بريئة على شفثيها حتى ظهرت من خلالها أسنانها البيضاء .

_لم يعط الطبيب النفسي أية تفسيرات جديدة , غير التي أدلاها الطبيب هاشم سند رحمه الله , عندما أخبره أحمد بتلك الأفعال الغريبة التي تقوم بها محبة , وحب عزلتها وتحديثها الدائم وكأنها تحدث والدها أو زوجها , وكأنها تعيش في الماضي .

ذكر الطبيب بأن مريض فقدان الذاكرة النفسي يحاول إنتقاء ذاكرة , فيقوم بأفعال كان يجب دائماً أن يقوم بها , أو إعتاد على القيام بها , ونظراً لأنها أم لطفلين أحدهما مسلم والآخر مسيحي , وكانت تربي كل منهما وتعلمه مبادئ عقيدته وطقوس عبادته , فهي تعتاد على تكرار ما كانت تفعله منذ سنوات , فتراها تصلي كمسلمة تارة , وتصلي كمسيحية تارة , كما تجمع بين الصلاتين والكتابين أيضاً , التي اعتادت على قراءتهما , وأما عن حديثها وكأنها تتكلم مع والدها أو زوجها أو سارة فهي بالكاد تحب هؤلاء الأشخاص الذين يرافقونها حتى في وعكتها , كما أنها تحب مجالسهم , مما يجعلها تحاول أن تستحضرهم أو يستحضرهم عقلها بمعنى أدق , لمسيرة ماتحب أن تفعل وكأنها بالفعل تعيش بذكريات الماضي , وأما صدور أفعالها لأبنائها الشباب على أنهم أطفال هو ذات الأمر , فهي تعيش بالذكريات المنتقاء , الذكريات التي تراها هي سعيدة , فتستعيد ذكريات طفولتها أحياناً , ذكريات دراستها في المدرسة أو الجامعة , وكل هذا يجعل من الفرد إنساناً في حالة نقية جداً , حتى ولو كان شخصاً ذو خلفية إجرامية أو متطرفة , لأن العقل في تلك الفترة ينتقي ما طاب له , ذكرياته السعيدة فقط , يحاول فقد أو إخفاء أي ذكرى من الممكن أن تجعله يشعر بالحزن أو الذنب أو الإحباط , فيحاول العقل طمس الذكريات المؤلمة , ثم أكد الطبيب على تعدد أشكال الحالات في مرض فقدان الذاكرة النفسي , إلا أنه أخبرهم ببعض آراءه حول حالة محبة , التي وجدها من أندر الحالات في العالم , لذلك

إنسانفريديا

أحمد عماد

شدد على عدم معارضتها في أفعالها ومجارتها لأي فعل يراه من حولها شاذاً ، والإهتمام
بالأدوية المهدئة والعلاجات المعنية التي لربما تساعد في استرجاع حالتها الميؤسة على
حد قوله .

.....

_وكأن القدر أراد أن يختبر نظرية عماد ومحبة (إنسانفريديا) والتي أثبتت أن المرض
النفسي يمكن أن يكون علاج وتقويم وتغير لمحور الشر الذي يصيب الإنسان ويجعله
أكثر إنسانية وطفولية ومحباً للخير والسلام .

(الفصل الثاني والعشرين)

لم تغلق حتى الآن قضية تفجير كنيسة القديسين ، التي تمت منذ أيام ، وبعد تعافي السيد عمر نصر في المستشفى ، أصبحت تلك القضية شغله الشاغل ، بعدما وضحت له بعض الشكوك التي ساورته ، خاصة بعد إصابته ودخوله المستشفى ، لكنه أصر على كتمان ما يدور بعقله وعدم البوح لأي شخص به حتى تثبت الرؤية ، فقد ارتبطت بعض الصلات بين الحادث الإرهابي المشين الذي سقطت نتيجته العديد من الضحايا ، كما لم يسلم هو شخصياً ، وبين ما حدث له أيضاً منذ أيام قبل حادثة الكنيسة في حادثة إغتياله واختطاف سارة وصفي وقتلها ، ثم ربط الأحداث أيضاً بذات الطريقة التي تمت لإغتيال رجل الأعمال محمود سرحان ، وأيضاً قيد الحادث ضد مجهول ، والمريب في الأمر الجنسية المزدوجة التي ظهرت صدفة باسم السيدة سكارليت روبنسون ، التي تحمل الجنسية الأمريكية والكوبية في ذات الوقت ، والتي هربت بطريقة غاية في التنظيم خارج البلاد ، ويبقى الاسم المصاحب لها ديفيد أندرياس ، الذي مازال ينعم داخل الحدود المصرية والذي يحمل ذات الجنسية.

لكن الجديد في الأمر الذي يدور بعقل عمر نصر ، إرتباط تلك الأحداث بقضية قديمة قد حكم فيها وعفى عليها الزمن ، قضية مقتل عماد العزازي ، وهو يسأل نفسه دائماً كيف حدث ذلك.....؟ ، وهو يبحث في مجريات الأمور، لكنه على الأرجح أنه حدث شيئاً ما جعله يفكر بتلك الطريقة .

تدور الأحداث وتتعارك في عقل هذا الرجل وهو يتجه نحو بيت محبة حتى استوقف محرك سيارته داخل سور الفيلا ، و محبة تستقر كعادتها في حديقة الفيلا إلا أنه استعجب من حالتها عندما وقع نظره عليها ، فهي بحالة صحية أفضل ، تنغمس في قراءة بعض الورقات بين يديها ، أنها مذكرات زوجها ، التي اعتادت على قرائتها بين الحين والآخر ، افتعل عمر نصر صوتاً بجوارها دليلاً على الاستئذان ، إلا أن رد فعلها زاده دهشة وهي تحي :

“ صباح الخير ”

ظهر عبدالله من بعيد مشيراً للسيد عمر نصر الذي بدى إعتزازه ، بعدما هتف له عبدالله ، توجه ناحية عبدالله ، اقترب فوجد بجواره أحمد ، اللذان صرحا له أنهما أقبلا على أمر خطير وعند سؤالهما عما فعلاه ، صرح عبدالله أنهما أرادا أن يخلصا محبة من عذابها من غياهب المرض ، فأقبلوا على سرقة سنتيمترات ضئيلة من العقار (Brain eternity) ، الذى تحتفظ محبة بجزء منه بأنبول صغير في خزنتها الخاصة ، ثم قاموا بحقنها بذلك العقار ، ثم أوضحوا أن حالتها تتجه نحو الشفاء بسرعة غير عادية ، الأمر الذى جعل عمر نصر تزداد دهشته ، فأخبرهم أن تؤجل المناقشة في الأمر إلى أجل مسمى ، وهو ينظر لهم نظر لوم وعتاب .

غير عمر نصر إتجاه نحو محبة ، حيث باغتها سؤاله عن مايكل التي أخبرته بدورها أن مايكل حالياً يعاني وبشدة من حالة اكتئاب وحزن بسبب وفاة سارة اللذان اتفقا على الزواج قريباً .

طلب عمر نصر من محبة إحضار القلادة_الدلاية_ التي كانت ترتديها مع السلسلة والتي نفت ملكيتها لها ، والتي أدلت بإحتمالية ملكيتها لـ مايكل الذي لم ينكر ، خلعت محبة عنها السلسلة و حررت منها الدلاية ثم ناولتها لـ عمر نصر .

استأذن نصر بعد إحتماءه لفنجان القهوة المعتاد مع محبة ، فقد لمس تغييراً لحالتها للأفضل بالفعل ، لكنه لم يبدي أي انفعال تجاهها ، برر نزوحه بأنه لديه موعداً في غاية الأهمية ، هب واقفاً ، يضع نظارته الشمسية وعينه توجي بأن هناك شيئاً ما على مشارف الوضوح ، متجهاً نحو سيارته مغادراً .

.....

_وقفت سيارة عمر نصر الشخصية ، أمام فيلا محمود سرحان رجل الأعمال ، لربما هذا هو الموعد الهام فقد قرر التحدث باستفاضة مع تلك الشخصية الهامة التي تشابهت طريقة إغتيالهم ، لم يقو حارس الفيلا على منع عمر نصر من اقتحام الباب ، وعندما وصل داخل الفيلا طلب من الخادمة إخطار السيد محمود سرحان بوجود عمر نصر بانتظاره بالأسفل ، وبعدما جرى الخادم لإخطار سيده ، تقدم عمر نصر خطوات وهو يتفقد المكان ، يتلفت يميناً ويساراً ، إلى أن وقعت عيناه على لوحة شدت إنتباهه ، تحدقت عيناه ، قضب جبينه.. أنها بالفعل.. ذات الشكل ، أخرج من جيبه القلادة التي تشبه الصليب أو الزهرة بعض الشيء ، وجدها نفس الرسمة التي على اللوحة ويعتيلها كلمة إنجليزية (Montecristo) ، وقتها حدث له ارتباك في أفكاره ، إذن من الممكن أن يكون الحرف المحفور على الدلاية أول حروف من (مونت كريستو) ، وهي

شركة سيجار كوبيه شهيرة ، وعندما مرت كلمة كوبيه على مداركه ، تذكر جنسية سكارليت المزدوجة ، أخذت الأحداث تودي — عمر نصر وتطيح بفكره في جميع الاتجاهات ، حتى قطع تفكيره ظهور محمود سرحان ، الذي رحب كثيراً بضيفه مشيراً له بالجلوس .

ذهب الخادم ليحضر طلبات الضيف حين أمره سرحان ، قبل ما يجذب إنتباه عمر نصر الشخصين اللذان خرجا لتوهما من مكتب سرحان ، والذي يبدو عليهما من لحيتهما الكثة وجلبابهما أنهما ليس ملتزمان دينياً فقط ، بل هناك أمر ما جمعهم مع رجل أعمال بحجم محمود سرحان ، الشك والريبة يتغلغلان قلب عمر نصر ، قطع سرحان الصمت عند الإشارة لهاذين الشخصين ، بأن أحدهما زوج أخته والآخر صديقه ، يترددان عليه من حين لآخر لمساعدتهما بعض الشئ ، فالظروف المعيشية أصبحت صعبة ، وزوج أخته لم يدر دخلاً غير الذي يجنيه من إمامة إحدى المساجد ، تنهد عمر نصر فجأة قاطعاً ثروات سرحان قائلاً :

“ قضيتك الي كنت هتروح فيها وتقابل وجه كريم ، قيدت ضد مجهول ، إنت بتشك في حد يا محمود بيه ، أو فيه أي عداوة مع حد..؟ ”

تعجب عمر نصر من ردة فعل سرحان الذي نفى أي عداوة أو مشاحنات من أحد ، وأنه لا يشك بأحد ، وبرر أنها لربما تكون محاولة سرقة بالإكراه ، ورغم أن عمر نصر يعلم تمام العلم إنها ليست مجرد حادث سرقة بالإكراه ، وأن فيكتور أبلغه بالشكوك التي أدلى

بها سرحان حول بعض العناصر ذات التنظيم الجهادي الإسلامي ، إلا أنه لم يبدي أية ضغوط على اعترافات سرحان ، لم يجبره على البوح ، لكن بات الأمر لدي عمر نصر في خانة الخطورة .

وضع الخادم فنجانين قهوة مثلما طلب نصر مشروبه المعتاد ، ثم أخرج سرحان سيجاراً من ذات النوع المعلن على اللوحة ، وهو يقدم لفافة للسيد عمر نصر ، نوه عمر نصر — سرحان عن لوحة السيجار وانها ذات النوع التي يفتنيها ويفضلها سرحان ، فأخبره بأنه عميل دائم — مونت كريستو ، وحتى أن الشركة تهدي بعض الهدايا لعملائها المميزين ، كلوحات وميداليات وقلادات وغيرها ، لفظ فنجان القهوة أنفاسه الأخيرة على شفتي عمر نصر بعجلة ثم هب واقفاً ، و سرحان يقدم قداحته لإشعال السيجار — عمر نصر، الذي شكره في الحال وهو في وضع الذهاب مواسياً :

“ لا..لا.. هولعه بعدين.. ألف سلامة عليك يا محمود بيه “

“ على فين يا عمر باشا..؟ “

“ هنتقابل تاني يا حوده.. سلاااااا “

تسربت بعض المعلومات من خلال وسائل التواصل الإجتماعي ، على قيام بعض التنظيمات الشبابية المصرية للقيام ببعض الإحتجاجات على بعض الأمور التي لم تلق قبولاً لدى

الرأي العام ، من قضية توريث الحكم ، والعنف والظلم واللامية التي يعامل بها المواطن من قبل الحكومة ، ولا سيما قضية الشاب الذي قتل في الأسكندرية منذ شهور وتورط جهاز الشرطة في الأمر ، أحداث مريرة وعواقب وخيمة من البيروقراطية المتغلغلة بين ثنايا الدولة ، والسلطوية التي طغت ، أثرت وبعمق على الوعي والرأي العام المصري ، الذي كان يلفظ أنفاسه الأخيرة من رتابة الدولة وعقم الأجهزة الحاكمة ، لم تكن المظاهرات التونسية آنذاك هي المحفز الأساسي ، ولا حتى مقتل شاب الأسكندرية ، بل كانت البروباغندا التي أدارت الأحداث في تلك الفترة ، والتي بالتأكيد هي إحدى أسلحة الأجندات العالمية للدول والعائلات الأكثر سيطرة على العالم ، والتي تمتلك مقاليد سياسية وإقتصادية واستراتيجية أيضاً ، كما أنها أرادت التحكم فيمن يحكم وبوالي ، وبالفعل سقطت دول وأبيدت جيوش كان لها كيانهـا ، بحيث وصل حال الشرق وخاصة العرب إلى إنعدام تام في الحياة والإقتصادية بل والسياسية ، ولم يبق ولم يقاوم إلا الكيان المصري بشعبه وجيشه ، الجيش المصري الذي صمد ، الذي لم يقبل الخضوع والإمتثال للزعزعة ، الذي كان ولا يزال درعاً يصد العديد والعديد من أسهم الغدر سواء داخل حدود دولته أو خارجها ، درعاً ظاهراً شامخاً يستند إليه كل جريح ، يحمل هموم الكيان العربي ، ويمثل للدفاع والبناء داخل الوطن.

ارتفعت معدلات الطوارئ داخل الأجهزة الأمنية في وزارة الداخلية ، وبين العراك السياسي وحالة الشارع المصري ، وبين الخطط الأمنية والإرتباك الأمني للحد من خسائر المعارضات والإحتجاجات التي ستصيب الشارع المصري ، إلا أن تقف بعض الأحزاب والجهات التي ترى مصلحتها بالزعزعة بين الكيان الحكومي وخاصة جهاز

الشرطة وبين أطراف الشعب كاملة ، وهي تقف بالسنارة لتتصيد في بركة عكرة، تنتظر الثمرات على جنبات الطريق تقتطفها دون جهد أو تعب.

خطة سير الأحداث طبقاً للأجندة المعنية ، تسير في إتجاهها الصحيح ، فيضرب أصحاب الأجندة على الوتر الحساس داخل الدولة ، الجانب الديني ، الجانب الأكبر والأكثر تقدساً بين إهتمامات العرب والشرق ، وكانت أهداف الأجندة على ما يبدو رابحة في كلتا الحالتين ، في حالة وصول مظهراً دينياً إلى مقاليد الحكم والتي تتماشى مصالحهم مع مصالح الأجندة فيكون الخيل رجحان ، على الرغم من أن أصحاب تلك الأجندات يسرون على خطة الليبرالية والعلمانية لأنهم يعرفون جيداً أثر تدخل الدين في السياسة ، وعلى الجانب الآخر إذا إنتبه الشعب بعد تصليت الضوء على السلطة الدينية ورفض سياستهم الراديكالية التهمكية أصبح أيضاً الخيل هنا رجحان ، لأنه وصل لإحدى أهداف الأجندة أيضاً ، ألا وهي الإساءة لسمعة الدين وتشويهه واختزاله في عدة أمور رخيصة دنيئة ، وبالتالي أصبح هناك فريقان ، فباتت الانقسامات بين الدين وبين ثقافة حياتية مجتمعية كالليبرالية والعلمانية ، واتسعت الفجوات بين أتباع هؤلاء وأتباع هؤلاء ، ليس لأن المجتمع مثقف ويعرف ، بل لأن المجتمع أصبح يجهل أنه يجهل .

.....

_جلس عمر نصر في مكتبه ، يتفقد ملف قضية مقتل عماد العزازي (309 جنایات) ، يتطرق لاستعادة أحداثها ، ممسكاً بقلم يخطط به على ورقة بيضاء ، وضع دائرة في

منتصفها حرف الـ (M) ، وأخذ يخرج خطوطاً مستقيمة من الدائرة ، كتب على رأس أحدهم محبة ، ثم مايكل ، ثم مونت كريستو ، ثم محمود سرحان ، بالفعل اسم محمود أيضاً يبدأ بذات الحرف ، حرف الـ (M) ، وهو في أعماق.....تركيزه ، كسر وحدته رنة جرس هاتفه التي أفزعته ، نظرا لهدوء المكان ، وإذا بـ درغام هو المتصل المزعج ، الذي أخبره بأهمية سرعة لقاءهما ، بسبب معلومات غاية في الخطورة .

أغلق نصر هاتفه على الفور متأهباً يتوجه لمكتب درغام ، وأثناء قيادته لسيارته الشخصية جاءه هاتف بالتهديد بزوجته وأبناءؤه ، فشعر أنهم باتوا في خطر أيضاً .

في الحال أخطر عمر نصر زوجته بسرعة ترك الفيلا مع أبناءها ، بعدما تم ترتيب الأمر مع حارس عائلته الشخصي ، الذي أكد عليه سرية وتأمين وصول أسرته للمكان المتفق عليه.

أخبر درغام صديقه بآخر تطورات البحث ، بمعاوله سكارليت روبنسون للأراضي المصرية باسم حركي آخر ، وأنه جاري العمل على فك شفرة تحديد موقع الهاتف مرة أخرى ، وأنهم على مشارف الإمساك بخيط شديد الأهمية في قضية الصفقة المليارية و معرفة الجهة التي تعمل جاهدة لإقتناء بحث محبة نخيلة كاملاً بشق الطرق ، وأثناء المداولات صقق عمر نصر و درغام من الخبر الذي وقع على مسامعهم منذ قليل ، بمقتل رجل الأعمال محمود سرحان ، والعديد من رجاله أثر اقتحام فيلته وإطلاق النيران ، ومازالت الشرطة تحيط بالفيلا والتي تدخلت بالأمر مما أدى لأصابة بعد عناصر من

الشرطة ، ولا يزال إطلاق النار بين مقتحمي فيلا محمود سرحان وبين أفراد الشرطة قائماً_____أ.

_على الفور توجه عمر نصر و درغام لمقر الحادث ، نصر يحاول الوصول لمساعدة فيكتور الذي أغلق هاتفه ولم يعرف له سبيل ، وبعد وصول عمر نصر لمسرح الحادثة ، أخبره قائد العملية بوصول إشارة استغاثة للقسم عن مجموعة إرهابيين يطلقون الرصاص على فيلا محمود سرحان ، وعلى الفور تحركت قوه للحاق بالأمر والقبض على الجناة والخروج بأقل خسائر.

بعد تبادل إطلاق النار بين العناصر التي قد استولت على فيلا محمود سرحان ، الذي سقط قتيلاً ، وبين عناصر الشرطة التي حاصرت الفيلا ، تم القبض على من تبقى منهم بعد استسلامهم ، وسقوط قتلى كثيرين من بينهم ، باتت فيلا سرحان رماداً ، كما لم تتوصل الشرطة بعد التحقيقات إلى أية معلومات سوى أنهم مرتزقة مأجورين ، ولم ينبث أحدهم ببنت شفه .

_تدخل عمر نصر للبحث مع عناصر ورجال البحث الجنائي بنفسه ، إلا أن عثر أحدهم على لاب توب صغير ، يحتفظ به سرحان داخل خزانته السرية ، حاول أحد الرجال المختصين بمحاولة فك شفرة جهاز اللاب توب ، الذي لا يملك كلمة مروره سوى صاحبه القتييل ، وبعدما تمت العملية بنجاح ، أشار عمر نصر للشخص المعني بفك

الشفرة أن يترك له فحص ملفات الجهاز، أنفرد عمر نصر بجهاز اللاب توب ، في إحدى أركان الفيلا المحطمة جدرانها ، وعلى إحدى المناضد يستفرد عمر نصر باللاب توب ، أشعل سيجارته المارلبورو ، وأثناء التمهيص عثر على ملف فيديو بعنوان ((أنــــــا)) ، وعند فتحه وجد محمود سرحان يتحدث حتى أثار إنتباهه وكان في

مفاده

“ السلام عليكم ، أنا محمود السيد سرحان رجل الأعمال، الشهير بـــــــ
محمود عظمة.....!!!!!! ، أنا بسجل الفيديو ده صوت وصورة ، بعد التهديد بقتل وحرقت عائلتي أمامي ، لكن مؤمن أنه (لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) ، لكن الناس اللي بتهددني دي ناس قادرة ووصله وملهاش كبير ، أكبر مما تتخيلوا ، أكبر من شرطة وبوليس ، لأنهم بالعربي كدة أصابع دولية لأجهزة أمنية ، مؤخراً طلبوا مني مساعدتهم مقابل أي مبلغ أطلبه ، المهم أنهم يحصلوا على الفلاشة بتاعت دكتور اسمها محبة نخيلة ومخطوطة بحث بعنوان الغرفة الحسية المبرمجة ، هو العرض مش بطل لكن جازفت مرة وسرقت الفلاشة بس وهما محفظوش عليها ، المهم خوفت ، وخوفت جداً ، وأما رفضت ، ماحصلتش مساومة في العرض ولا حاجة ، هددوني على طول ، الناس دي كانت مفوضة شخصين بس هما اللي بيتواصلوا معايا ، لكن بصراحة حتى أشكاهم معرفهاش ، كانوا بيحاسبوا على ظهورهم معايا جداً ، لكن كل اللي نعرفوه إن فيه واحد منهم اسمه مايكل ، وواحدة عاملة نفسها أجنبية اسمها ناهد علام ، تعاملت معاهم أكثر من مرة، آه.....

قابلت الي اسمها ناهد علام دي في مكان زي كازينو كدة ، كان مكان ضلمة ، عامل زي الديسكو ، والأنوار كانت بالألوان وبتنور وتظني ، وكل ده أنا متأكد علشان ما أشوفهاش ، كانت بتكلمني من بعيد وهي قاعدة على ترايزه وواقف حوالها أربع رجالة زي الحمير و مكنتش نعرف أدقق ونشوفو تفاصيل وشها شكله إيه ، لكن فيها علامة في وركها ، لمحتها أما كانت حاطة رجل على رجل ، فوق ركبته وفي وركها من جوة علامة زي الصليب المتني شبه بتاع هتلر ، أما الي اسمه مايكل ده ، برده قابلته أكثر من مرة ، لكن برده كل مرة كان بيحاول إني ماشوفهوش ، وعلى فكرة مايكل ده هو السبب الرئيسي ورا محاولة إغتيال مدير أمن إسكندرية ، وهما برده الي خططوا لقتل مدير الأمن في حادثة كنيسة القديسين ، كانوا عايزين يلفقوها للجماعات الإسلامية زي ما قالي الطبط ، قالي كده كده كل عيد بيحصل فيه الحاجات دي ، فمش هتفرق المرة دي بس المهم عمر نصر يتقتل ، بصراحة أنا مش عارف إשמعنا عمر بيه ، رغم إن الي أعرفه إنه إنسان شريف ، وبصراحة خفت يبقني في رقبتني كل الناس الي هتموت في الكنيسة يوم عيد الميلاد ، وعلشان كدة برده رفضت ، لكن والله والله ، كل الي أنا عملته فعلاً بعث رجل من رجالي سرق الفلاشة مرة ، والله يرحمه مات ، كنت عامل حسابي وأكدت عليه يروح من غير أي حاجة تثبت هويته ، ولو حصله حاجة هتكفل بأسرته ، يقوم الغبي عايز يساومهم من ورايا فقتلوه ، فعلاً الي حسبته لقيته ، الله يرحمه ويرحمنا ، لكن موضوع إغتيال عمر نصر أو حادثة الكنيسة أنا مليش يد فيها ، وطالما تسجيلي طلع للنور ولو الحكومة بتسمعي دلوقتي ، فبالتأكيد أنا ميت أو اتقتلت ، وطبعا الي عمل كدة أكيد ناهد ومايكل .

وعلشان كدة برده , أنا عايز نعترف بحاجة خطيرة فات عليها سنين لكن علشان أكون برأت ذمتي , وعشمان في رحمة ربنا لو كنت ميت.

_ ضغط عمر نصر على زر إيقاف مؤقت , وهو يوجه نظره بعيداً , ثم أشعل سيجارة جديدة وهو يضغط مرة أخرى على استكمال الفيديو :—

“ الشخص الي اسمه مايكل ده أكيد وراه جهه كبيرة ومسنود قوي , أنا منكرش فضله عليا , هو الي عمل محمود سرحان , هو الي خلافي رجل أعمال زي مانتوا شايفين , بصراحة أنا ما كنتش أسوى مليم أحمر من عشرين سنة كنت صايع , قاطع طريق , أكل عيشي إني أثبت بالإكراه , إلا أما إتفتحتلي طاقة القدر , وعرض عليا مبلغ لو عشت طول عمري مش هعرف أجمع حتى ربعة , لأ وكمان مسح كل سوابقي من الداخلية , وقدام كل ده كان عايزني أنفذ طلب واحد , واحد بس .

في الأول كان الموضوع أبسط مما أتخيل , أقتل واحد , آه.. إيه يعني؟؟
كان بالنسبة لي القتل زي ما أكون بدبح فرخة , طالما التمن موجود , والتمن ده وقتها كان يخليني ممكن أعمل أي حاجة.. آه أي حاجة—————ة.

أول معرفتي بـ مايكل باشا , قالي على واد بتاع الجماعات الإسلامية , في الأول فكرته عايز يقتل الولا ده وفكرت إنه إرهابي , لكن بعد كدة قالي إني أسرق السبحة بتاعته وبعدين أبلغه وأقابله , وفعللاً عملت كدة , بعديها بلغني بالعملية , إني ألبس جلبية

بيضة وأنا والي معايا وأقتل شاب اسمه عمــــــــــــاد , إتضحلي بعد كدة إنه جوز الي اسمها محبه دي . وإني أرمي السبحة في مكان الواقعة , وقتها طبعاً عملت كدة وتمت بنجاح , لكن بصراحة غلظت غلظة وخفت أبلغه بيها , وأنا بضرب النار على الي اسمه عماد من على الموتوسكيل , وأنا بعدل الخزنة بتاعة السلاح الي مايكل جابهولي علشان أنفذ العملية , وقعت الخزنة , لكن الغلظة بقى الي معرفهاش أنه كان في مرة بيكلمني من العربية , ومد إيديه من الشباك بيناولني سيجار من علبة الي يبشره , والي أدمنته بعدها بعدما بقيت رجل أعمال طبعاً , عجبتي ميدالية كانت لازقة في بطن العلبة , فطلبتها منه ذكرى , وبصراحة الراجل متأخرش عليا , الميدالية دي وقعت مني قدام الفيلا الي قتلت فيها المرحوم , لكن خوفت أبلغه , بصراحة دخلته كان ليها هيبة كدة , الشخص الي اسمه مايكل ده , تقريباً ماشفتوش في العشرين سنة الي فاتوا غير ثلاث مرات تقريباً من بعد عملية عماد دي , الله يسامحني على الي عملته " .

تتغير ملامح عمر نصر أثناء سماعه لهذا الفيديو الدفين , كان بمثابة الحقيقة التي توارت منذ سنوات مريرة وهو يكمل :

“ كان تعاملنا تقريباً بالتليفون , هو الي كان بيوصل لي وقت ما يبقى عايزني , لكن لو بتسمعونني دلوقتي ليا رجاء , مش هطلب تسامحوني قد ما هطلب إنكوا تحذوا بالكوا من مراقي وابني الي ملهوش غيري , ابني الي جيبته على كبر“

بدأت الدموع تسيل من عين محمود سرحان وهويظهر من خلال شاشة اللاب توب ، مسح دموعه بيديه ثم أكمل :

“ الي بيسمعي دلوقتي ، إذا كان حد من الحكومة ، فأكيد يعرف عمر بيه نصر، فياريت تبلغوه إن الشر قريب منه قوي ، والناس دي مش سهلة ، وعابزين يتخلصوا من الرجل ده بالذات ، آه فيه شي مهم ممكن يفيد في موضوع تفجير الكنيسة ده ، شكيت في واحد من رجالي ، الي كانوا شغالين معايا ، فجأه كدة عمل نفسه ملتزم وانضم للجماعات الإسلامية ، مع إنه كان خمورجي وبتاع نسوان ، لكن العزبان عليه مرة واحدة ، ودي حاجة من الحاجات الي شككتني إن دوري انتهي ، وإن أجلي قرب على أيديهم ، لأنهم بالتأكيد استغنوا عن خدماتي .

المهم الواد ده اسمه (صبحي الديزل) أو الشيخ صبحي زي ما بقوا يقولوله اليومين دول ، أكيد صبحي ده خيط تقدرؤا توصلؤا بيه للناس دي ، ده لو الي بيسمعي من الحكومة مش الناس الوسخة ، لأنني بصراحة أما هددوني ، قولتلهم أنا مسجل كل جرايمكؤا صوت وصورة ، ولو حصلي حاجة يبقي قلبت التراييزه على دماغكؤا ، عليا وعلى أعدائي ، صبحي الديزل ده أكيد.. أكيد له يد في محاولة إغتيال عمر نصر الأولى والثانية ، وكمان في حادثة تفجير الكنيسة ، أنا عملت الي عليا ، علشان أنا فعلاً خايف وندمان ، مش خايف على نفسي والله ، بس خايف على ابني الوحيد ، كدة كدة لو مت أديني كلب وراح ، فيارب تحاولؤا تنصفؤا البلد من الأشكال الوسخة دي ، ولو عليا واحد وسخ زيهم وراح ، أنا مش زعلان على نفسي ، عيالي في رقبة الحكومة ، ملهمش ذنب في الي عملته ، أرجوكم تساعدؤهم ، وأتمني من ربنا حتى لو ماقدرتش أساعد وأنا عايش ، أهو أديني بساعد وأنا

المبهج الذي أراد مايكل أن يخبر به عمر نصر، إلا أنه قاطعه عمر نصر، بعد كثير من
الثرثرة المبالغ فيها :

“ تعرف إيه يا مايكل عن قضية مقتل جوز بنت عمك...؟؟ ”

نظر مايكل نظرة غباء قائلاً :

“ مش فاهم حضرتك السؤال..؟ ”

“ يعني ياسيدي وصلني معلومات عن القاتل الحقيقي في القضية ، وطلع مش أخوه ، آه
هي القضية بقاها عشرين سنة ، لكن طالما الحق ظهر لازم ننصره.. ولا إيه..؟؟ ”
ولا إيه.. إيه...آه.. آه طبعاً يا فندم “

تلثم مايكل عند إجابة السؤال ووجهه مقتضب ، لكنه ابتسم فجأة مستكماً :
“ يا استاذ عمر ، حضرتك بتدور في قضية من عشرين سنة ، وكم المجرم خد عقابه ،
إيه قولك بقى في قضية لسة معداش عليها أيام ، وأنا مسكت خيط ، وفرحان قوي ،
فرحان قوي! ”

بتهكم نظر عمر نصر ثم أكمل مايكل :

“ سارة عايشة يا استاذ عمر ، سارة عايشة ، حبيبتي عايشة وأخيراً
هتجوز ”

(الفصل الثالث والعشرون)

“ إنت بتقول إيه يا بني إنت..؟! إنت عبيط..؟؟!!يسأل عمر نصر

“ بصراحة أنا ماشوفتهاش من وشها ، لكن متأكد إنها سارة “رد مايكل

نظر له عمر نصر نظرة ثاقبة أرعبته ، جعلته يلقي ما بداخله مستكملاً :
 “ إمبراح وأنا معدي من عند الصيدلية الكبيرة بتاعت عمي ، الي فيها المعمل بتاع محبة ، كان حوالي الساعة 3 أو 4 الفجر ، بصراحة أنا اتفزعت وقولت عفريت سارة ده ولا إيه ، لكن لقيتها رايحة ناحية عربية كانت واقفة مستنياها بعيد شوية ، بس كانت متغيرة خالص ، لبسها كان متغير ، وبعدين قولت في نفسي إيه العفريت الشيك ده ، وأما مسكت نفسي من الخضة وصوتي طلع حاولت أنادي عليها ، وأما قولت اسمها وقفت لحظة لكن مابصتش وراها ، وبعدين كملت وركبت العربية ، أنا متأكد إنها هي علشان خاطر أنا عارف حاجة محدش غيري يعرفها على وجه الأرض ، مش لازم أقولها ، لكن والمسيح الحي هي سارة ، وبصراحة أنا مش فاهم إيه الي حصل ، بس أنا فرحان جداً..”

“ إيه الحاجة الي محدش يعرفها غيرك يا عم مايكل.. كمل

“ متأخذنيش يا باشا مش هينفــــــــــــــــع..”

قالها مايكل وهو ينظر إلى الأرض ، حتى أفرخته صرخة عمر نصر :

“ولااا..... انطق..”

إرتبك مايكل وهو يتلع ماتبقي من حلقة قائلاً :

“ بصراحة..... فيه وشم , الصليب بس المعقوف على رجلها , وأنا طبعا شوفته قبل كدة , علشان إحنا بنحب بعض وكدة , ومكنش ينفع أقولك علشان عيب , لكن الغربية إمبارح كانت لابسة جيبة قصيرة , فلمحت الوشم , وده اللي أكدي إنها سارة “

إرتباك في الخلايا العصبية في عقل عمر نصر, لم يعرف يصدق أم لا , الأمور والأحداث تتشابك , والتساؤلات تتعدد على مداركه , لم يستوعب ماذا يحدث , كيف تسير الأمور برتابتها خلال كل تلك الأعوام والجميع يرتدي أقنعة مختلفة , الأحداث إرتبطت جميعها بعقل عمر نصر , منذ نشأة شكوكه بعد تفجير الكنيسة الذي حدث منذ أيام , هل مايدور بعقله صحيحاً جازماً..؟ , أم هناك تأويلات أخرى..؟ , أم تلك الأحداث مجرد تمويه..؟ , أم أنه مصاب بإحدى الأمراض النفسية..؟ , لم يك يريد التصديق , بهت وجهه في الحال وتقضب جبينه , تخلل الدماء بالشعيرات الدموية بعينه فجعلتها أكثر إحمراً , الغيظ يظهر من خلال نقطة تلاقي فكاه , أسنانه تنكسر من الكز , الظنون تلاحقه , والخيبة تحوطه , تغيرت ملامحه كلياً في خلال الثواني التي تلقى فيها الأخبار من جلسيه , حتى أن مايكل بدا عليه التوتر والخوف من منظر عمر نصر الذي هب واقفاً متجهاً نحو باب المنزل مغادراً دون أن ينبث ببنت شفه.

.....

“سارة وصفي ماتخطفنش ، سارة وصفي مامتتش ، سارة وصفي هي ناهد علام ، هي سكارليت روبنسون الأمريكية الي هربت مننا على الطائرة ، والي رجعت مصر ثاني بإسم ثاني ، والي معاها التليفون الي قولت عليه ”

لم يتفهم درغام مايتفوه به عمر نصر لم يبدي أي إنطباع ، يتحدث عمر نصر من نفسه في حضور درغام ، ثم أخذ شهيقاً واسعاً وهو يقول ديفيد أندرياس.....؟؟؟!! , ضحك عمر نصر مع نفسه أيضاً ضحكات طويلة ، انتابته هستيرية ضحك عندما لفظ اسم ديفيد ، وظل يضحك حتى فاضت عينيه الدمع ، ودرغام يبدي بلاهته لم يفهم ما يحدث ، حتى أردف :

“إيه يا عمر.. ماتفهمني يا أخي.. في إيه..؟”

“إتفضل يا صديقي ، قوم بينا نازل نقعد شوية في مكان هادي ، علشان أنا مش مستحمل الجوده ، وأنا فههمك كل حاجة ، ومتقلقش كل الأسئلة الي بتدور في دماغك عندي أجوبتها ، ومش كدة وبس عندي أجوبة لأسئلة تانية لسة ماجتش في دماغك أساساً ، لكن على العموم أحب أقولك إني كنت مغفل كبير.. ههههع يلا بينا“

نزل الصديقان في حالة توهّم ، يقل كل منهما سيارته الشخصية ، حتى وصلا إلى الكافيتريا _المقهى_ الذي لطالما إعتادوا إرتيادها ، على مقربة من إحدى شواطئ الأسكندرية ، طلب درغام فنجانين من القهوة ، في حين أكد على النادل عدم إقتراب أيّا من الزبائن من طاولتهم التي تركز في إحدى زوايا الكافيه بجوار لوح زجاجي يطل على جنبات الشواطئ .

“ بعد حادثة الكنيسة الي اتصبت فيها كان الي عملها عايز يضرب عصفورين بحجر ، أولاً يخلص مني زي مانت حذرتني يا درغام قبل كده ، وده مش لأني عمر نصر مدير الأمن وإن الإرهابيين حاطيني على قائمة الإغتيالات ولا حاجة.. لأ.. لأ خالص ، ده لأني بنخرب في كام قضية ، ولو كنت وصلت فيهم لحل كنت عرفت الي ورا كل ده ، علشان عقوبة الجرايم دي على الأقل ثلاثة أو أربعة أحكام بالأعدام ، كان قلقان مني أنا.. بالذات أنا..، وعلى فكرة موضوع تفجير الكنيسة ده جه فيه في الميه في مصلحتي ومصلحة البلد كمان ، علشان ربنا يظهر الحق ، تعرف أنا صعبان عليا الشخص الي ورا كل الحاجات دي جدّا..!! ”

“ الي حاول يخلص منك.. ؟!! ”رد درغام

“ ده مش حاول يخلص مني بس ، ده حاول يدمر حياتي ويقتل عيلتي كمان ، والي حط إيده في إيد أنجاس ، أعداء للبلد ، علشان خاطر بيعع البحث بتاع الدكتور محبة

والمخطوطة بتاعت زراعة الذاكرة , الي طبعا أنت عارف تمنهم , وهو هو... الي خلانا منلحقش نقبض على حد منهم وقت موضوع العلمين , تقريباً قتلوا الواد الي تبع محمود سرحان علشان زود في المساومة معاهم , أو إنه علشان شاف وكشف شخصياتهم كلهم راحوا قتلوه , علشان مايبقاش فيه خيط وراهم ويلحقوا يهربوا , وكانت الي اسمها سكارليت دي معاهم , الي معاها التليفون “

“أيوه... أيوه استغرب كده شويه يا درغام والنبي...!! , شوفت الفيديو بتاع سرحان..؟! “

“أكيد طبعاً”

“أهو يا سيدي محمود عضمه ده الي اعترف بكل حاجه الله يرحمه , الي قتل عماد العازي بنفسه , والي اتحبس فيها أخوه ودمر عيله بالكامل , يعتبر مجرم عادي من الي بنقابلهم كل يوم , الموضوع أكبر من كده يا صديقي , المهم شوية العيال الي تبع الجماعات الإسلامية دي الي فجروا الكنيسة , يعني.. يعني هما الي عدلولي دماغي بصراحة , المهم.. المسلمين إتخافوا مع المسيحيين الي طبعا عندهم حق , ملطشه , كل عيد عندهم يحصل مصيبة وناس أهاليها وعيالها بتموت قدام عينيها , وجسس بتتفحم حاجه تقطع القلب , علشان عيل خ ل يفجر نفسه , ولا عيل عـ ص بعربية مفخخه يدخل يقتلوا عشرين ثلاثين واحد , علشان دول بالنسبة لهم كفار طبعاً , وفي رأيي إن الإرهاب مش العيال دي , الإرهاب هو في أصحاب الفكر والعقيدة السودا دي , وأقرب حاجة ليهم هو شكل لإسلاميين , لدرجة إن العالم كله شايف إن الإسلام دين إرهاب..شوية أنجاس..”

توقف عمر نصر لبرهه عن الحديث ، عندما أحضر النادل الطلبات ، وهو يمسح بيده مقدمة أنفه مستكماً :

“ المهم يا سيدي.. يقوم العالم كله يقولك الإضطهاد الديني والفتنة الطائفية ، وحماية الأقليات.. زي ما أنت فاهم..، لأ.. ده بيكذبوا الكذبة علينا ويصدقوها ويخلوننا إحنا كمان نصدقها ، ودي هي الإحترافية ، خد بالك أنا مش بقول إن العيال دي من شظية نار ولا إنهم مش إرهابيين ، أي إنسان خلقه ربنا يعتقد أو حتى يتم تلقينه إن الحل بالدم فيها شقين ،

أولاً : إن الجانب المظلم أو الشرير في الشخص طاغي على جانب الخير والحب جواه وعلى الفطره السليمه ، فتبقى عملية القتل شيء عادي بالنسبة له ، وخصوصا لو كان نتاج فقر قارص أو غني فاحش.

ثانياً : لازم تتغلف أفكار العنف والدم والقتل بغلاف ديني بحت ، علشان خاطر مفيش حد هيقول لحد روح فجر نفسك وهديك مليون جنيه مثلاً ، لا.. ده بيقوله إن ربنا عايز كده ، وإن موته بيبقي في سبيل الله وإرادة ربنا ، وطبعاً بيوعده بالجنة والفاكهة والخمرة والنسوان ، بيبقي يحرمها في الدنيا ويقولك موت نفسك علشان تفوز بالحاجات دي ، حاجة يعني في قمة الغباء والجهل ، وطبعاً المبدأ السائد مع القطيع الأعمي هو السمع والطاعة ،

" وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم "

الي أمسكها وكنت حاسس إني فشلت فيها ، مش عارف ، كانت كل حاجة مترتبة
سبحة أخو القتييل في مسرح الجريمة ، والواد اعترف بسبحته ، واتحكم عليه بالإعدام ،
ووقتها المستشار تقرئياً

(عادل المر) حكم عليه بالمؤبد ، رغم إن أوراق القضية متحولة للمفتي ، والراجل
بعدها أحيل للتعاقد ، وأنت عارف الباقي بقى ، المهم أنا إيدي مالمستش القضية وكانت
ماشية لوحدها وخلصت واتقفلت كمان ، بس كنت حاسس إن فيه حاجة غلط..”

ينادي عمر نصر على النادل ، ليطلب منه كوبين عصير لمونادا ، يشعر بألم في رأسه ، لربما
يكون وخزاً بسبب الضغط ، لإعتياده على شرب القهوة كثيراً ويأستمرار ثم أكمل :
“ وياختصار يا درغام ، بعد حادثة الكنيسة المهبية وأنا في المستشفى ، جاني صديق زارني
، مش بس زميل ده مساعد مدير الأمن ، المساعد بتاعي ، إنت عارفه فيكتور نخيلة
تلميذي النجيب أخو محبة ، المهم وهو عندي نسي مفاتيحه على الترايزة ، كان فيها
ميدالية على شكل صليب أو وردة زي الي شفناها في الفيلا بتاعت محمود سرحان ، هي
دي ”

أخرج عمر نصر من جيبه الدلاية أو الميدالية - العلامة التجارية لسيجار المونت
كريستو - مستكماً :

" دوختني البتاعة دي ، عليها حرف الـ M ، من عشرين سنة غلط غلطة كبيرة ،
لقيتها في مسرح الجريمة جنب سلسلة محبة ، فكرتها الدلاية بتاعت السلسلة ، روحت

ناولتهم لأبوها وأنا مش في دماغي ، وبعد عشرين سنة أما الموضوع إتفتح تاني ، لاقيت حرم الـ M ممكن يكون لـ مايكل ، الاسم الي جه كثير في القضية وشكيت فيه فعلاً ، وبعدين لقيته ينفع أول حرف من اسم محمود سرحان ، وبعدين طلع أول حرف من مونت كريستو ، لكن حرف الـ M الي محفور في ظهر الميدالية كان فعلاً لـ محمود بيه عضمة ، خد الثقيلة بقي...!! الجماعة بتوع البحث الجنائي ، أما خليتهم يكبروا دايرة البحث حول الكنيسة ، وبعد ما تمت الأحراز ، أكدوا حاجات غريبة ، نفس النمط بتاع قضية عماد العازي ، سبحة مرمية بردو في مسرح الجريمة ، إتأكدت إنها مش عملية إنتحارية ، علشان أثار الموتوسيكل الي كانت بعد الحواجز الي إتحدفت منها القنبلة ، وكمان الموتوسيكل ماجاش ماشي ، ده نزل من حاوية عربية نقل جنب الكنيسة ، فعلاً الواد الي اسمه صبحي الديزل ده هو الي قام بالعملية أنا عرفت ، لكن عن طريق التليفون ، زي ماكان بيتم مع محمود عضمة زمان ، وأمره يرمي سبحة في المكان ده بردو ، الحاجة الخطيرة بقي...!!! ، رجالة البحث الجنائي لقوا شنطة هدايا شكلها لسة جديد مش متأثر بأثار التفجير ، ولقوا جواها ورقة تسعيرة الي هي تقريباً 1 سم × 1.5 سم ، وعليها مبلغ كان نصه ممسوح ، زي مايكون الي كان ماسك الورقة كان فاركها بإيده ، المهم المبلغ 850 \$ ، عارف الـ 850 \$ دول إيه... ؟

سأل درغام

“إيه.....؟”

عارف يا درغام .. بردو أنا ما أخذتش بالي إن اللي مسك قضية مقتل سارة وصفي ظابط تبعه هو اللي مكلفه ، لأ وكمان السلاح اللي تمت بيه الجريمة ، اشترى واحد قدامي نفس الطراز ، لأن الأولاني طبعاً الخزنة وقعت من القاتل واتحرزت اللي هي من طراز (VZ.58) ، والسلاح ده خزنه مختلفه تماماً ومتركبش على الآلي (AK.47) ”

اتسعت عين عمر نصر عندما لفظ كلمة " ظابط تبعه " وكأنه عثر على شيئاً ما قد فقده :
 " طب مأكدة بقت سهلة ، أكيد الظابط ده يعرف أي حاجة عن مكانه ، أكيد "

أجهز الصديقين على المغادرة ، ركب كل منهم سيارته ، تحرك درغام أولاً ثم تحرك عمر نصر الذي تأخر لدفع حساب الفاتورة ، وأثناء طريقه لمح إحدى السيارات التي تراقبه من بعيد ، منذ أن خرج من المقهى ، لكن لفت نظره شيئاً آخر ، وهو أن تلك السيارة ليست المرة الأولى التي يراها ، بل كانت تتركن تلك السيارة على الجهة الأخرى من المقهى ، وعلى الفور ترجم عقله ما يدور ، فتح هاتفه يتصل بـ درغام يخبره بما يحدث ، وأن السيارة التي تتبعه كانت تستقر على جنبات الطريق خارج الكافيتريا ، بالكاد هناك أحداً كان يتابع حديثهما داخل المقهى ، وإذا صح ظنه ، إذاً فيكتور الآن يعلم ماذا يحدث .

_وقف عمر نصر بسيارته أمام فيلا نخيلة ، بعدما حاول التعرف على السيارة التي كانت تراقبه أو حتى معرفة هويتها ، إلا أنها لاذت بالفرار ، ولم يبال عمر نصر فقد كان لديه الأهم .

رحبت محبة بالسيد عمر نصر وهي في استقباله بمديقة الفيلا مع أحمد الذي كان يتجول في الحديقة ، يلقي عمر نصر على أحمد مجدي بعض الكلمات عن نصره الحق وظهور العدل ، لم يتفهم أحمد مجدي مقصده ، حتى انتهى الترحيب بالسؤال عن عبدالله و عماد الذي نزل عدة أيام لقضاء أجازته وسط عائلته ، فأخبرته محبة أن خالهم قد هاتفهم منذ قليل ، كما دعاهم لرحلة لـ (دير الأنبا موسى الأسود) .

“ دير إيه يا دكتور..؟ ”سأل عمر نصر

“ دير الأنبا موسى الأسود ” ردت محبة

“ الأنبا موسى الأسود ، يانهار أسود...!! ”لفظ عمر نصر مزمجرأ

ثم أخبرته محبة أنهما تحركا منذ أكثر من ساعة ، فتسلل التوتر الذي ينتاب عمر نصر إلي من حوله عندما سمع تلك الكلمات هاتفاً :

“ عماد وعبدالله في خط رررر...!! ”

قالها عمر نصر وهو يترك مكانه بسرعة متجهاً نحو سيارته ، قبل أن يرجع مرة أخرى على عجلة وهو يبحث في هاتفه على أرقام أحد التوأمين لعله يصل لأحدهم ، انفعّل أحمد مما جد على ملامح محبة ، فقد بدا عليها الخوف والذعر ، إلتصق أحمد بخطوات عمر نصر

نحو سيارته بعدما هدئ من روع محبة , حينما وعدّها بأن أولادها سيكونان بخير , وأنه لن يسمح لأحد أن يؤذي أبناء أخيه ولو دفع حياته ثمناً لهذا .

مازال أحمد مجدي و عمر نصر يحاولان الإتصال بالشابان على هواتفهما , لكن الشبكة على ما يبدو غير فعالة , طريق الدير يتفرع من الطريق الصحراوي القاهرة الأسكندرية , عند مدخل العلمين , ولم يبطئ نصر سيارته قط و بجواره أحمد مجدي الذي يجلس كاتماً غيظه , يستشيط غضباً .

يخبر نصر صديقه درغام بالتطورات على الفور , وأن فيكتور يعلم جيداً ما توصلوا إليه , حتى أنه سعي نحو أخذ رهائن وخصوصاً أبناء أخته , لأن من خلاهم يمكنه أو بمعنى أدق يمكن للجهة الضغط على محبة لتسليم فلاشة البحث وخطوة الغرفة , وعلى الجانب الآخر يعتبران رهائن مضمونة حتى يغادر البلاد , هو وسارة مع هؤلاء بسلام .

أحمد مجدي يجلس في حالة ذهول , لم يصدق ما سمع منذ قليل , الارتباك بدى على وجهه الصامت هامساً :

“ ممكن سيادتك تفهمني الوضع , أنا مش قادر أفهم , أرجوك فهمني “

نظر له عمر نصر نظرة يملأها العطف والندم , ثم تنهد وبين الغضب واللطف :

أجاب أحمد طلب عمر نصر دون إلتفات ، دون أن ينطق حرفاً واحداً ، الذعر يبدو على وجهه ، الإنتقام يسري في عروقه ، صوت شهيقه يدل على شدة الألم الذي يحويه صدره ، إحمرا وجهه يوحى بوجود غليان بين طيات جمجمته .

اعتدل أحمد ، وجه نظره للأمام ولا يزال يكتم كلماته بين حلقة ، يحبس أنفاسه رغماً عنه ، قبل أن ينحدر عمر نصر إلى إتجاه العلمين ، ينظر أحمد ويتابع اليافطة التي كتب عليها إتجاه العلمين ، مغمضاً عينيه ثم فتحتها فجأة ، فتدفقت الدموع على خديه مثل مطر النـوء .

_هاتف عمر نصر يتخبط بهزازه بجوار فرامل اليد ، درغام يتصل ، يفتح عمر نصر الخط وهو يستمع لصديقه درغام ، الذي أخبره عن تواجد ذات الهاتف على طريق العلمين ، وأن عمر نصر يسير بالإتجاه الصحيح ، وأن فتح الهاتف في تلك الأونة يدل على قرب موعد استخدام خاصيته ، رصدت الإشارة بعد فك شفرة الهاتف تحديداً الكيلو (26) ، وعلى الفور أغلق عمر نصر هاتفه ، ثم عاود الإتصال بإحدى مساعديه بالمديرية ، على تجهيز قوات من أقرب نقطة قسم والتوجه لطريق العلمين الكيلو 26 ، ولاسيما التعزيزات التي تجهز في الحال للتحرك من مديرية الأمن نحو الهدف.

درغام يتواصل مع صديقه وهو يخبره بقرب وصوله للمكان المعني بعد دقائق ، في حين تجنب عمر نصر بسيارته في ذات المكان ، بعيداً قليلاً عن باب دير الأنبا موسى ، وبعد توقف السيارة ، فتح عمر نصر تابلوه سيارته وبتودد :

“ خد يا أحمد خلي ده معاك.. دافع عن نفسك ”

يمد أحمد يده يلتقط المسدس ، أخذ يدقق النظر ويحملق ، يضعه داخل سرواله ، نزل نصر من سيارته شاهراً سلاحه الميري ، يتبعه أحمد ، يقتربان من بابا الدير ، وعندما تعدى الباب الخارجي وهو يمد يده ليفتح الباب الداخلي بهدوء ، إتسعت حدقتا عينا أحمد في ذهول ، رغم عدم وضوح أي تغيير على ملامح عمر نصر ، لم يثير المشهد إندهاشه بتاتاً.

عماد وعبدالله مكبلين الأيدي من خلاف ، الأسلحة الآلية موجهة لرأسيهما ، ماكثين على ركبتيهما أرضاً ، وهما ينظران لخالهما فيكتور في ذهول وعدم تصديق ، فضلاً عن سارة المائلة بشحمها ولحمها بجوار فيكتور ممسكة سلاحا هي الأخرى ، ويصطف حولهم مجموعة من الأفراد المسلحين ، الذين يبدو عليهم عدم مصريتهم ، يقبع تحت كل منهم رهينة ، الرهبان وخدام وعاملين الدير

ينظر عمر نصر لـ فيكتور نظرة لم تعرف معناها ، هل هي نظرة ألم ، أم إنتقام أم إشمئزاز أم ماذا...!!!! ، فبالتأكيد ليست نظرة عتاب ، ثم أخفض سلاحه ، ويكاتفه أحمد الذي تتبدل نظراته الإنتقامية ، يصطحبها الغل والأسى بين سارة وفيكتور اللذان تحولت أشكالهم إلى شياطين الأنس ، كل الصفات الشيطانية تبدو على وجهيهما ، الكذب والتلون ، النفاق والخديعة ، إنعدام الرحمة والضمير ، الظلام يخيم وجهيهما ، وتنبثق السادية من أعينهم .

ومن ثم قطع عمر نصر تبادل النظرات مباغتاً :

“كمان وصلت للدرجة دي , إنك تهددنا بقتل ولاد أختك , الي من دمك , سيبك من ال البني آدمة الي جنبك دي , دي الوساخة بالنسبة لها إحتراف , لكن دول عيال أختك من دمك ولحمك.. مش كفاية لحد كدة..!!؟؟

(الفصل الرابع والعشرين)

يقع الجميع داخل دير الأنبا موسى الأسود ، وبعد عبارة عمر نصر بسؤال فيكتور عن الإكتفاء إلى هذا الحد وعدم الخوض أكثر ، لم يمر ثوان ، حتى تقدم فرداً يبدو عليه الهيبة والقيادة لربما قائداً آخر لهؤلاء ، اقترب منه فيكتور دنى من أذنه هامساً ، يخبره بشيء ما ، حينها إختطف هاتفاً من يد فيكتور فجأة ، الأمر الذي تعجب له فيكتور لكنه كان خاضعاً تماماً ، فقد استسلم لما فعل هذا القائد ثم ابتعد عنه قليلاً ، وفي تلك الأثناء ، إنتبه عمر نصر لرعشة هاتفه الذي لحقه بسرعه ففتح الخط على المتصل .

_درغام يمثل خارج الدير مع بعض رجاله ، وبعض عناصر الشرطة التي وصلت للتو ، يستمع لما يحدث داخل الدير من خلال الخط المفتوح بينه وبين عمر نصر ،
والأن تحط طائرة هيلكوبتر ، لكنها تبعد كثيراً عن حدود الدير ، وهو مازال يتابع ما يحدث من خلال هاتف عمر نصر المائل داخل الدير .

بدأ الشخص القيادي هذا بمحاولة التحدث باللغة العربية ، لكنه يعرج في الحديث كثيراً ، وهو يوجه حديثه إلى عمر نصر الذي يحاول فهم حديث هذا الرجل ، فهو يساومه ، بين الشابين والرهائن المحتجزين وبين إنسحابه وتركه يغادر بسلام ، ثم أكمل حديثه عن فيكتور وسارة الذي أبدى عدم الإكتراث لهم ، وأنه على استعداد بتركهما تماماً والإنسحاب مع رجاله فقط ، وأن هاذين الشخصين ليس لهما أي أهمية بالنسبة له ، الأمر الذي أدهش سارة حتى نطقت بغضب :

“آه.. يعني سيادتكم عايز تتخلي عننا بعد ما أخذت فلاشة البحث كاملة..؟! , ده إيه الندالة دي..... ده إنت راجل وســــخ“

رد الرجل الغريب بعرج :

“ لقد تم تحويل مبلغكم بالكامل على حسابتكم الشخصية , بإسم سكارليت روبنسون و ديفيد أندريسا ، لكن إذا لزم الأمر بقتلنا ودفننا هنا بجوار الجنود الألمان والأنكليز ، فإن هذا لم يجدي نفعاً ، نحن دائماً نصدق القول ، لكننا لا نريد أن نتعامل مع أشخاص فشله مثلكمــــ“

تطرق الغريب للحديث مع عمر نصر وهو يوجه نظره ناحيته :

“الدير كله ملئ بالمتفجرات ، وأنا لا يهمني أي شخص هنا سوى فلاشتي التي بين يدي وطائرتي تقف خارجاً ، فلماذا نخسر سويًا مستر عمر نصر ، طالما هناك إختياراً آخر سيكسب فيه الطرفين ، تستفيدوا بأرواح أبنائكم ورهبانكم سالمين ، وأنتم أيضاً ، وأنا أغادر مع رجالي بأمان... ماذا تقول فيما أقوله.. مستر عمر ؟”

رد عمر نصر في الحال :

“أنا بقول نخسر كلنا أفيد ، ونموت كلنا في الدير أحسن ، وإذا كنت عايز تمشي بالفلاشة اللي معاك.. ممكن...!! بس أنا أكون جثة الأول..”

“لماذا يا سيد عمر ؟ ، أنت تحب الخسارة ، مشروع دكتور محبة نخيلة وصل للعالم ، وانتهى الأمر ، لماذا نخسر إذا؟! ، سيد عمر أنا لن أترك الفلاشة أبداً مهما كلفني الأمر ، أنا سعيد جداً بمعرفة رجل مثلك ، رجل شريف ، أترك لنا البحث حتى نستفيد مثلكم ، بل وسنكمل وننتج أبحاثاً عليه أكثر تطوراً للبشرية ، وإحنا وإنتم نبقي أصدقاء ، وعلشان كدة أنا..... أثبتلك صداقتي معكم وحسن نيتي..”

تدوي صوت طلقة رصاص ، خرجت في التو من فوهة سلاح الغريب ، لتستقر في رأس سارة التي تقف على بعد أمتار منه ، حيث سقطت على مقربة من عماد وعبدالله اللذان إتسعت حدقتهما ، فانبثقت الربكة تدب المكان ، صوت شد أجزاء الأسلحة يسري في فناء الدير ، وأما عن فيكتور الذي غضب واضجر لموت سارة المفاجئ ، فهو ينظر لها بذهول وهي تغرق بدمائها أرضاً .

يبدو التوتر على وجه عمر نصر الذي حاول التخلص منه سريعاً ، وهو يزيد من تركيزه نحو الشبان اللذان يبدو عليهما الفزع ، وأحمد مجدي لا يشغله سوى أرواح أبناء أخيه ، فهو لا يزال ينظر للفتيان وكأنه يلاغيهم بالإشارة ، حتى لاحظ عمر نصر ، إشارة تحرك واستقرار بعض عناصر الشرطة التي تتخفى داخل وحول الدير ، والتي تطل من فتحاته ونوافذه على مسرح اللقاء ، الذي سقطت سارة إحدى ضحاياه حتى الآن ، ثوان معدودة.. ،

وتم إطلاق النار بحظر نحو تلك العناصر التي تهدد الرهائن بما فيهم عبدالله وعماد ، تبادلت الطلقات ، تتطاير النيران ، تتقاذف الشظايا ، والكل يأخذ سائراً ، سقط العديد من القتلى من الجهتين ، الذعر والإرتباك سيد الموقف ، أسرعا عماد وعبدالله على الفور بعد إطلاق أولي الرصاصات باتجاه عمهما الذي قصدهما أيضاً مسرعاً يقفز نحوهم بأقصى سرعة ، و عمر نصر يلتقط سلاحه الملقى أرضاً بجانبه ، تعزز القتال ببعض القنابل المسيلة للدموع ، وصل أحمد للفتيان ، يحتويهم بين ضلوعه وهو يداري عليهم بجسده ، كدرع مائل حولهما ، وهم يتحركون نحو باب الدير ، لاحظ عمر نصر وقوع جهاز التفجير من يد الغريب بعدما أصيب بعار ناري في قدمه ، ثم حاول بعجز الوصول للجهاز حتى إنقضى مرة أخرى وسط صخب النيران والدخان ، مهدداً عمر نصر بالضغط على زر التفجير ، بينما يوجد عدد أقل من الرهائن داخل الدير مازالوا يحاولون الفرار ، ومنهم من أصيب بنوبة إغماء إثر إلقاء القنابل المسيلة للدموع ، وهو يطلب منه أن يأمر الجند بوقف إطلاق النار .

يتقدم عمر نصر بشجاعة وصمت وسط أجواء المعركة ، حتى مثل أمام الرجل الغريب الذي استقر أمامه ، انقض على سلاح عمر نصر في يده حتى سقط ، أخذ يصدر اللكمات لوجه عمر نصر ولم يبالي بالرصاصه التي اخترقت فخذه منذ قليل ، إلا أن بادله عمر نصر بلكمات أكثر عنفاً ، حتى تدخل بينهما فيكتور منقضاً على الرجل الغريب ، وهو يخطف الهاتف المليوني من جيبه ، لحق الرجل الغريب بسلاحاً كان ملقى أرضاً زاحفاً على بطنه ، بعدما تخلص من لكمات نصر الذي انشغل

بفعلة فيكتور. وبعدها التقطه وجه فوهته نحو فيكتور الذي سبقه بإطلاق عدة رصاصات اخترقته .

يبحث نصر عن الفلاشة بين طيات سروال الرجل الغريب ، وإذا بـ فيكتور يلتقط حقيبة سوداء كان يحملها أحد حراس القائد , يبدو أن بداخلها الفلاشة ، وفي ذات الوقت تقدم أحد العناصر الأجنبية مترنحاً , يلتقط جهاز التفجير الملقى أرضاً ، وهو يهدد عمر نصر بتدمير الدير , بينما ينظر عمر نصر حوله بألف عين ، أحدهم تتابع..

... الخروج الآمن لـ أحمد مع الفتیان سالمين ، وأخرى على فيكتور الذي يحاول أن يعتلي بعض الدرج للوصول إلى إحدى الأبواب المؤدية للخارج ، أخذ عمر نصر بالإقتراب من الرجل الضخم المترنح , الذي التقط جهاز التفجير حتى استقرت قدماه أمامه ، أصبحت وجهاً لوجه حتى أردف :

“ إنت بتهددني بإنك تفجر المكان ، على أساس إني أخاف , أترعب وأهرب من قدامك... صحیح.. , إنت سمعت قبل كدة عن يعني إيه ظابط مصري....؟ ”

أنهى عمر نصر عبارته وهو يصدر لأنف الرجل الضخم ضربات بجبهته ، ولم يبالي بجهاز التفجير الذي يحمله هذا الضخم ، ومازال الرجل يهدد بالضغط لكنه أصبح يملكه الدوار من شدة الضربات في أنفه ، حتى ضغط بالفعل على زر التفجير ، الذي سبب أصوات إنفجار هائلة ، والتي أدت لإنهيار جزء ضخم من الدير ، سقط العديد تحت الأنقاض ، ومنهم عمر نصر الذي يسلم روحه فداءً للوطن في أحضان عدو الوطن ، غارقاً

في دمائه التي أخلطت بدماء الأجنبي الذي يحتضنه ، وبين أشلاء وضحايا الحطام ، لا يزال التصدع يصيب الجدران التي تتهاوى واحداً تلو الآخر ، في مشهد يمتزج ما بين العزة والشجاعة ، وبين الحزن والأسى على فراق واحداً من أشرف ما أنجبت مصر ، وهو يقدم حياته في سبيل الوطن وأمنه ، فليحيا شهداء الواجب .

_فيكتور يحاول الفرار بين طيات الركاب والأطلال التي مازالت تثور ، وييده الهاتف والحقيبة التي تحوي الفلاشة ، وأثناء إحدى مناوراته لتجنب الحطام الذي يسقط من الجدران ، سقطت قطعة ضخمة بحجم شاحنة صغيرة من سقف الدير ، يخرج منها أسياً هائلة ، قصدت رأس فيكتور الذي رسمت على شفثيه إبتسامة ساخرة وظن أنه بمأمن عندما لمح الطائرة يانتظاره ، والقطعة الحجرية بأسيائها تتجه نحوه بقصد لتمزق جسده لنصفين ، أحدهما توارى أسفل ذلك الحطام ، والنصف الآخر ملقى أعلاه ظاهراً ، وكأن الحجر ينفذ فيه كلام الله ...!!!

((فالיום ننجيك بيدنك لتكون لمن خلفك آية))

هدأ صوت إنهيال الدير ، تلاشت سماء الدخان التي تكونت نتيجة التحطيم والأنفجار ، ردمت أنقاض الدير أرواحاً لم تميز بينهم ، لم تميز الروح الطيبة من الخبيثة ، لم تميز من يحمل الخير والفداء ومن يحمل الشر والكراهية ، كما لم تفرق بين جسد مجاهد في سبيل الله ، في سبيل الخير ، وآخر مجاهد في سبيل الشيطان ، في سبيل الطاغوت ، لكن الأرواح الآن باتت رهينة في معية الله ، كل إمري بما كسب رهينة .

_جنود الشرطة تساعد رجال الإسعاف في اللحاق بالمصابين ، تحول الجثث من تحت الأنقاض ، وأول بأول تنقل سيارات الإسعاف جثث الموتى والمصابين إلى المشفى ، كما لم يسلم أحمد مجدي الذي لازماه التوأمان إلى المستشفى ، حيث أصيب بإحدى الرصاصات التي إخترقته ، أثناء اللحاق بهما ، فقد أقسم على تقديم روحه فداءً لهما ، وبينما هو مغشىاً عليه من شدة النزيف ، لم يتركاه الشابان حتى وصل المشفى ، ودعمهما لم يفارق أعينهما لما حدث ولما سمعاه عن استشهاد عمر نصر تحت أنقاض دير الأنبا موسى .

_يجلس درغام ، ورغم إطمئنانه بالحصول على الفلاشة ، إلا أنه أصبح مشمت الذهن ، صامت ، حزين ، لم يصدق ما لحق بصديقه ، يتذكر حديثه معه ، ضحكاته ومناوشاته ، منذ أن كانا في المرحلة الثانوية والذكريات التي تجمعهما ، لكنه يحمل على عاتقه كيفية توصيل الخبر لزوجته وأبنائه ، لذا شدد على رجال الأمن عدم البوح لأي أحد يتبع الصحافة أو الإعلام عن خبر مقتل عمر نصر .

.....

_أخيراً نجحت محبة بالإتصال بـ عماد ، بعد محاولات عديدة منذ أن غادر عمر وأحمد الفيلا ، وهي لم يهدئ لها بال أثناء توجيهها نحو الدير ، فلم تقف مكتوفة اليدين ، ولم تقو على مقاومة الصبر ، حتى طمأنتها تلك المكالمات على أبنائها بتواجدهما في المستشفى مع

عمهما لإصابته بطلق ناري أثناء المداهمات ، وعلى الفور غيرت محبة وجهتها نحو المستشفى.

لم يحاول عماد إخبار أمه بأية تفاصيل سواء عن فيكتور أو سارة التي دبت فيها الحياة مرة أخرى ثم ماتت ثانية ، ولا حتى عن استشهاد عمر نصر ، لم يك يريد إفحامها بتلك الأخبار السيئة التي قد تؤثر سلباً عليها.

_توطئ الآن قدما محبة ذات المشفى التي تنتقل إليها حالات وضحايا حادثة تفجير الدير ، والتي سريعاً مانقلتها وسائل الإعلام والقنوات الفضائيات ، عن عملية إرهابية جاسوسية ، كادت أن تقضي على كبرياء الدولة المصرية ، لكن تصدى لها أبناءها البواسل من رجال الأمن والشرطة ، ونجحت المداهمات ، وأبطل أبناء مصر الشجعان كيد الخائنين ، إلا أن الإعلام لم يتحرى تفاصيل الحادثة بدقة.

أخذت محبة تتلفت يميناً ويساراً وهي تجول داخل المشفى ، تحاول أن تتسائل وهي ترى المشفى وكأنها خيمة علاجية داخل ساحة معركة ، تأوهات وصراخ ، ضجيج وألم ، حتى لمحت فلذة أكبادها عماد وعبدالله يستندان إلى حائط بجوار إحدى الغرف ، وكأنها ردت إليها روحها ، أسرع نحوهما ودمعها يختلط بالدماء التي لونت أرض المستشفى ، لاحظ عماد قدوم أمه من بعيد متلهفة ، حتى نكز أخيه في كتفه ، وهو يشير إليه برأسه نحو أمهما ، وهي تفتح ذراعيها نحوهما في شوق وإفتقاد ، استقام الفتیان لاستقبالها ، حتى اصدمت أجساد ثلاثتهم بالاحتضان ، لم تقو محبة على الصمود ، خانتها قدمها وأبناءها

نزلت تلك الكلمات على مسامعهم وكأن الروح دبت مجاناً مرة أخرى بعمر نصر ، ذهول وعدم تصديق وسعادة ، وهم مازالوا يتابعون الحديث المسترق....

_خرج طبيباً من غرفة العناية التي يمكث بها مدير الأمن السيد عمر نصر قائلاً :
 “ لازم ننقل سيادته لمستشفى أفضل إحنا قومنا باللازم ، لكن حالته تحتاج عناية ورعاية أكثر ، لأن الحالة متدهورة جداً ولا تستدعي أي إهمال “

علي الفور تدخلت محبة في الحديث وهي تقدم نفسها للسادة الضباط والطبيب ، وهي تؤكد على سرعة النقل بسلامة وأمان ، وأنها ستراقبه بنفسها حتى يصل للمستشفى ، إلى أن باغتها أحد الضباط بأن ذلك الأمر يتم تحت إشراف وزارة الداخلية ، حتى طمأنها بالألا تقلق بخصوص أمر عمر نصر .

_في غضون سويغات كان يستلقي عمر نصر في إحدى الأجنحة المجهزة للرعاية ، بإحدى أكبر مستشفيات الأسكندرية ، وحتى الآن لم يك من أهل الدنيا ، ظل في غيبوبته ، لكنه يبيت على فراش الحياة ، رغم أن الأسلاك والعقاقير الطبية تنهش في جسده محاولة منها لاسترداد وعيه.

.....

_بعد مرور أيام قليلة ، انتقل أحمد إلى البيت معافى بدنياً وذهنياً ، بعدما ظهرت براءته التي انتظرها سنوات وسنوات ، والتي كانت تمزقه ألماً أشد من الرصاصة التي اخترقته ، والتي تعافى منها بعد أيام ، لكن عمر نصر لا يزال قابلاً في غرفته بالمشفى بعدما أفاق من غيبوبته التي طالأت أربعة أيام متتالية ، وهو يتلقى العلاج بحالة أفضل بكثير مما كان ، لقد عاد من نفق مظلم ، النفق الذي يؤدي لحياة البرزخ ، دبت في جسده الحياة مرة أخرى ، لأنها لم تنتهي بعد ، لم يأت أمر السماء آنذاك .

_استقرت الأمور وهدأت في بيت نخيلة ، حالة محبة النفسية والصحية أصبحت أفضل مما كانت عليه ، لاحظت بعض التغييرات التي طرأت على حالتها بنفسها ، لم تعد تشتكي من القاولون العصبي ، لم تعد تشتكي ألم الدماغ - الصداع - ، هرب منها الخمول والكسل والإحباط ، لاحظت قدرتها على الاستيعاب بطريقة غير عادية ، والتركيز وعدم النسيان الذي يعاني منه أغلب البشر ، راودها شيء ما ، لكنها لم تعبر لنفسها انتباهاً .

لم تمتنع محبة أو أبناءها يوماً عن زيارة عمر نصر ، وحتى أحمد لم يك ليقطع زيارته ، حيث أنه رأى في عمر نصر رمزاً للأخوة والشهامة ، أحبه كثيراً ، توطدت علاقتهما ، لم يك أحمد في وعيه أثناء وقع صدى خبر وفاة عمر نصر ، فلم يتألم لذلك الخبر إلا أنه عندما سمع ما حدث ما كان ليصدق أن يفتقد هذا الإنسان ، وأما عن محبة فهي وحتى

الآن لم تعرف أدنى معلومة عما حدث من فيكتور وسارة ، ولم يريد أبناءها بالاتفاق مع عمهما أن يخبراها ما حدث على الأقل في تلك الفترة.

.....

_في صباح إحدى الأيام ، الأخبار تنقل استشهاد رجال الشرطة بأسمائهم بعد (المعركة السوداء) كما سميت مستوحاه من إسم الدير ، والجميع يتابع التلفاز بصمت وتركيز ، عمر نصر يجلس بين أفراد عائلة نخيلة ، يتوسط عبدالله وعماد اللذان يتابعان رصد الأخبار الحقيقية عن أحداث المعركة السوداء ، وإنهيار جزء كبير من دير الأنبا موسى إثر عملية التفجير ، إلى أن حدث شيئاً في غاية الغرابة إتسعت العيون له ، احمرت الجباه ، اضجرت الوجوه ، لم يك ليصدق هذا الخبر.. كيف..؟ ، لقد نقلت الأخبار المحلية بعض أسماء الضباط الذين استشهدوا في حادث الدير ، وكان من بينهم اسم العميد شهيد الواجب / فيكتور نخيلة.. هاااااااا؟؟؟؟!!!

ينظر الجميع في بلاهة وعدم تصديق ، أحمد مجدي يختنق غيضاً ، يستشيط غضباً لما تتداوله الأخبار ، كيف بعدما آمن أن الحق قد ظهر ، وأن براءته حلت منذئذ ، لكن الأغرب في الأمر ، هو الإنطباع المرتسم على وجه محبة ، فهي لم تنطق بكلمة منذ استيقظت ، إلا عندما حيت عمر نصر ، لم يظهر عليها علامات مفاجأة موت أخاها ، لم يؤثر بها خبر استشهادها ، التي تناقلته وسائل الإعلام ، إلا أنها تتمتع بإبتسامة رضا :

“ الله يرحمهم ويغفر لهم ”

وهي توجه نظرها لعمر نصر الذي يتابع من بعيد تغييرات ملامحها ، وهي مازالت تبتسم له ، وكأنه لا يبالي لها ، يتابع التلفاز ، حتى باغتهم محبة وبهدوء فاتر :

“ الله يسامحك يا فيكتور ويسامحك يا سارة ، عمري ما كنت أتوقع أبداً ، ورغم الظلم الي حصل منهم ، أنا مسامحة ، لكن إزاي فيكتور وسارة يفضلوا طول السنين دي يخدعوننا....!!!! ، ويارب مايكل ابن عمي كمان يسامحهم ، يسامح سارة الي عشمته بالجواز لمدة عشر سنين وأخرتها إيه ، قاعد في الكنيسة الي عمي كان فيها ، بيخدم ، مكتئب ، رافض الحياة ، الله معاه ويعينه “

سكتت محبة لبرهة ثم أكملت :

“ ولو سامحت في حق جوزي وعيالي وأبويا كمان ، ولو سامحت في حق نفسي ، لكن عمري ما أقدر أخلي واحد زي أحمد أجبره إنه يسامح واحد دمر عيلته كلها ، ورماه في السجن سنين ، إنت غلطت يا عمر بيه .. أه غلطت ، غلطة كبيرة “

نظر لها نصر باستعجاب ولم يعرف عما تتحدث ، حتى أكملت :

“ غلط إنك تحاجي وتداري ، لو إنت سامحت في حق نفسك مكنش ينفع تسامح في حق بلدنا ، ده خاين وهي كمان خاينة ، ومكنش ينفع تسامح في حقوق ناس كثير حضرتك ما أخذتش إذنهم بالمسامحة ، الي سيادتك عملته ده جريمة إنسانية في حق ناس كثير..”

ينظر عمر نصر في خجل وهو يبتلع ما تبقى من ريق بحلقه هامساً :

التي أدلت بتورطه بالعديد من القضايا ، منها محاولة إغتيال السيد عمر نصر مدير الأمن أكثر من مرة ، والتورط في تفجير كنيسة القديسين التي كادت أن تؤدي لإشعال نيران الفتنة بين أبناء الوطن ، كما ذكر سرحان في الفيديو الخاص بإعترافاته عن الشخص الذي حرضه لمقتل استاذ الفلسفة بجامعة الأسكندرية عماد العزازي ، القضية الذي مر عليها أكثر من عشرين عاما ، والذي عوقب عليها شقيقه ظلماً وبهتاناً ، والعديد والعديد من استخدام فيكتور لمنصبه في الإجرام والظلم ، حتى ظهر الله الحق .

حالة من الذهول والدهشة ، الصمت المدقع يدب في الأجواء ، لا أحد يتحدث ، لا أحد ينطق ، الكل يشاهد فقط ، حتى بعدما قامت ليلي وهي تذرف دماً ، بإغلاق التلفاز الذي نقل خبر تورط فيكتور ابنها ، وهي تستقبل كل كلمة كسهم مسموم يخترق قلبها ، لم تستطع استكمال ما سمعت عن ابنها الوحيد ، لم تقوَ على ذلك ، أغلقت التلفاز بالريموت كنترول ، ودموعها أغرقت رداؤها ، ثم أسندت رأسها بظهر المقعد ، حتى غابت عن الوعي ، الأمر الذي لزم نقلها في الحال إلى المستشفى .

.....

_تقدمت امرأة منتقبة ، في يدها فتاه ، تبدو أنها في ريعان شبابها ، عمرها ما بين الخامسة عشر والسابعة عشر ، أشارت لـ محبة بأنها تريدها في أمر في غاية الأهمية ، ألحت المرأة في دعوة محبة لسماع طلبها حتى إنفردت بها محبة على إحدى المقاعد في حديقة الفيلا

، خلعت المرأة عنها نقابها ، ظهر وجهها الذي بدى عليه الشحوب ، السواد يكثر أسفل عينيها الذابلتان ، المرض ينبعث من ثنايا تنهيداتهما أثناء الكلام ، حتى نطقت بقصتها التي كانت في مفادها :

“ امرأة لم تتجاوز الأربعين من عمرها ، ولدت في أسرة مسيحية ، لأب وأم مسيحيين ، وبعدما تعدت البلوغ بقليل ، أعجبت بشاب مسلم ، كما أعجب بها هو الآخر، دارت بينهما قصة حب متواضعة ، تسري في إحدى أحياء القاهرة الفقيرة ، كان الحال متجانس إلي حد كبير ، كان حبهما أقوى من الفقر ، وبطبيعة الحال لم ترتض أياً من الأسرتين باستكمال تلك الزيجة ، حاولت المرأة مراراً مع أهلها الذين عنفوها كثيراً ، تأذت مراراً ، وفي إحدى الأيام قررت تلك المرأة أن تتمسك بحبها رغم أي عقبات ، ففكرت في الأمر ملياً ، حتى أعلنت إسلامها ، ليس إقتناعاً بالإسلام أكثر منه حباً لهذا الشاب ، وموامة للموجة والصالح العالم ، وكما نعلم التقاليد ، فقد صلى عليها أهلها في الكنيسة صلاة الميت بعد علمهم بإسلامها ، اكتنز الشاب شقة إيجار ، بدء للعيش بها مع زوجته ، التي باعت أهلها ودينها وكل شيء من أجله ، مرت سنوات ، حملت المرأة من زوجها ، أنجبت بنتاً غاية في الجمال ، لم تك تعباً بالخوف على نفسها أو على ابنتها من غدر أهلها الذين عاهدوا أن ينتقموا لشرفهم ، وعزموا على قتلها فور ظهورها ، قامت المرأة بتربية ابنتها الوحيدة ، وزوجها الذي يعمل عملاً بسيطاً في إحدى المقاهي البلدي في حيه ، إلترمت بالنقاب ، منها تدين ومنها تواري نفسها خلفه ، حتى لا يكشف أمرها أحد من عائلتها ،

وفي إحدى الأيام ، وبعد بلوغ ابنتها حوالي أربع سنوات ، اختفى عنها زوجها ، نعم اختفى إلى الأبد ، وحتى الحين لم يعرف أحد حتى من أهله أين ذهب ، كانت آخر ما تعرفه عنه أنه عزم على السفر الغير شرعي ، لأنه نوه لها بتلك القضية في إحدى الأيام ، لكنها لم تعرف ، هل مات...؟ أم إعتقل...؟ أو سجن...؟ ، ظل رجال أمن الدولة يتابعونها من حين لآخر منذ إشهار إسلامها ، وهي تحت عيون أمن الدولة ، يزور بعض رجالها بيتها شهراً بعد شهر ، للإطمئنان على سلامتها وحياتها ، عازمت على العمل حتى تستطيع استكمال تعليم ابنتها وتربيتها كما أملت ، مرت رتبة السنوات والمرأة تنتقل من عمل لآخر ، حتى اشتد عود ابنتها ، إلى أن إبتلاها الله في أيامها الأخيرة بمرض السرطان الذي أصاب الدم ، والذي نحل جسدها واصفرت بشرتها وذبلت ، حتى عرضت على إحدى معارفها باللجوء للمستشفيات الخاصة لعلاج مرضها هذا ، وبالفعل بدأت بارتياح المستشفى ، لكنها لم تضع في الحسبان إطالة فترة العلاج بالكيماوي ، أخبرها الأطباء أنها ستقبع فترة طويلة داخل المستشفى ، وعلى ذلك بدأت حيرتها ، أين ستمكث ابنتها الصغيرة صاحبة الأربعة عشر عاماً حينها ، كيف ستعيش بفردا ، كيف ستأكل وتشرب ، من يهتم لحالها..؟ ، عرضت إحدى جيرانها بمكوث ابنتها معها ، وسط أبناءها ، ورغم وجود علاقة حب بين ابنتها وبين ابن جارتها تلك ، وأن الشاب جاء قبل بضعة أيام ليحدد موعداً لخطبة ابنتها ، وافقت الفتاة على الفور ، نظراً لتعلقها وحبها لذلك الشاب ، خافت الأم على ترك ابنتها بينهم ، رغم العلاقة الوطيدة التي جمعتها بأم الشاب كجيران لسنوات ، لكن لم يكن أمامها أي خيار سوى ذلك ، فهي لم يك لها أحداً سوى زوجها الذي هجرها منذ سنوات ، وعلى ذلك تم الأمر .

وبعد فترة العلاج داخل المستشفى ، خرجت لترى ابنتها التي إفتقدتها كثيراً ، بالفعل وجدت الأمانة كما هي ، لم تنتقص ، حمدت الله على جمعها بابنتها ، إلا أن ماسمعه عن معاملة هذه العائلة لها كان في غاية القساوة وعدم الإنسانية ، فقد عاملوها كخادمة من أول يوم مكثت فيه ، تنظف المنزل ، تعد الطعام ، تجلي الأواني ، تحضر طلبات المنزل ، تجوب السوق ، تببت في المطبخ على الأرض ، وعلى الرغم من تلك الشكاوي إلا أنها مازالت تحب هذا الشاب ، وتريد الإرتباط به كما كان من قبل ، وأنها على العهد والموعود الذي حددته عائلة الشاب لخطبتها ، ورغم وجع الألم الذي شعرت به أمها والذي كان أضخم وأكبر بمراحل من تلقيها كيمائوي السرطان ، لم تك لتنطق ، كيف لإبنتها التي رخصت نفسها وخدمت هؤلاء الأوغاد ، أنها لازالت تريد الإرتباط والعيش بينهم ، إنهم بلا رحمة ، بلا شهامة.. كيف..؟

أصابها الإنهيار ، وابنتها لا تبالي سوى بالإرتباط بهذا الشاب الدنيء العائلة ، الأحمق الشخصية ، والذي زاد الأمر سوءً ، عندما أجبرت الفتاة أمها على تأكيد موعد الخطبة مع أم حبيبها ، وبالفعل تواصلت أمها مجبرةً ، ولم يكن الرد سوى أنهم قد أجلوا موضوع تلك الخطبة إلى العام المقبل ، نظرا لتوعك حالتهم المادية .

الأم تسأل نفسها : ماذا فعلت..؟ هل دنوت بابنتي..؟ هل رخصتها عندهم ؟ لماذا يفعلون هكذا ؟ كان موعد الخطبة الشهر القادم ، وقد اشتروا الشبكة بالفعل ، فلم يؤجلون الخطبة ؟

تأوهات وتسأولات شنيعة ، ذئاب ضارية تأكل وتنهش في عقل وقلب تلك المرأة التي عجزت وكهلت قبل الأربعين من عمرها ، يا لها من حياة بائسة ، حياة غير منصفه ، فهي الآن تقبل على الموت في رعيان شبابها ، تريد أن تطمئن على ابنتها الوحيدة ، على فرعها الوحيد ، لم يتبق أحد غيرها ، دموعها لم تتوقف يوماً منذ أن خرجت من المستشفى ، إلى أن سمعت عن أمر الدكتورة محبة ومشروعها (بيت الله) فعمدت على الذهاب من القاهرة للأسكندرية لتلتقي بها ، شعرت بأن هناك أمل ، طاقة نور ، شيء ما يجبرها على الذهاب للدكتورة محبة ، لم تعرف ما يدور بخاطرها إلا أنها لابد وأن تذهب بابنتها ، وعندما سألتها محبة في نهاية شكواها عن اسم ابنتها ، ردت السيدة قائلة :

إسمها (مريــــــــــــــــم)

نظرت محبة في الأفق وهي تبتسم وكأنها تذكرت شيئاً
ما.....

(الفصل الخامس والعشرون)

(الفصل الأخير)

“الشيخ عبد المحسن سلامة الله يباركه يارب ويجازيه خير كان على حق ، كان شايف حاجة أنا مكنتش شايفها ، أو يمكن ربنا لسة إرادته مانفذتش علشان أعرف ، كان موضوع غريب جداً بالنسبة لي ، إن الحلم الي بجلمه من يجي أكثر من ثلاثين سنة ممكن يكون رسائل من الرب ، وإزاي تقابلني عيشة في الحلم وتبعت السلام للشيخ سلامه ، زي بالظبط ما قالي إني أبعثلها السلام ، فعلاً عيشة الممرضة دي حاجة غامضة بالنسبة لي لكنها شيء جميل من ربنا ، والحقيقة أكدت ليا إن الحلم ده مش عادي ، إني شوفت وش الشبح الي كان لابس ميرى ، كان فيكتور ، وسارة الي من عشرين سنة وأكثر وإحنا صحاب ، شوفتها برده زي ما يكون إنها ميتة وقامت وقفت جنب فيكتور ، كان وشهم كله شر وغل ، علشان كدة أنا كنت عارفة ومتأكدة من كل حاجة ، وطبعاً موضوع مريم الي مكنتش أعرف عنه حاجة ، لحد ما جت مامتها وحكتلي ، ربنا ده كبير وعظيم أوي.

المهم بلاش نظرات للبننت مريم دي يا حضرة الطابط ، البننت لسة صغيرة ، ماتشغلهاش بيك...!!

سردت محبة حكيها وسط أبنائها ، وهم ينظران لها بتمعن وإصغاء إلى أن إرتمت إبتسامة حياء وخجل على وجه عماد ، الذي باغته أخيه بنكره بيده في كتفه ، بعد تحذير

إنسانفريديا

أحمد عماد

أمه له بوقف نظراته التي توجي بالإعجاب بـ مريم التي أصرت محبة أن تعيش بينهم في الفيلا ، بعدما وفرت لها عملاً في مشروعها بيت الله ، بجانب استكمال دراستها، حتى نطق عماد بنجل :

“ نظرات إيه يا ماما بس ، دي مريم دي زي أختي ، أنا بس بحس إنها بتصعب عليا قصتها مع أمها الست الغلبانة دي ، ربنا يشفيها..”

“ المهم يا ماما عايزك تجهزي علشان موضوع الندوة دي ، ده باقي ساعات..”
أردف عبدالله

“ لسة يا عبده، ده بعد بكرة “ رد عماد

“ ماهو بعد بكرة ده يعني أقل من 48 ساعة ، يا بتاع الجيش “

ضحكت محبة من جملة عبدالله ، وهما يستئذنان أمهم للمغادرة ، ويمسك كلاهما يد أمه مقبلاً إياها ثم غادرا ، و محبة توجه نظرها نحو الأفق ، ويعتلي وجهها ابتسامة حب ورضا وأمل ، رغم الأيام العصيبة والصدمات التي مرت بها في الأونة الأخيرة .

.....

“السلام عليكم.. السلام لكم وعليكم ، في بداية لقائي .. لم آت إليكم كي أحدثكم عن أعمالي التي حصلت بسببها على نوبل والذي يقام هذا الحفل لأجله ، ولم أكن أنتوي الحضور إذا كان هذا هو هدف المنظمين لتلك الحفلة أو الندوة .

فبعد التحية و السلام.. أريد أن استفيض بينكم كإنسان ، نعم.. فقط كإنسان ، إنسان يريد سرد تجربته الشخصية ، لربما تلك التجارب هي من قادتي للمكوث على هذا الكرسي ، وجعلتني أختلس فرصة أوضح فيها لكم رسالة ، رسالة محبة.. عفواً ليس هذا اسمي بل أقصد رسالة حب ، لكن أمرعنوان الندوة رسالة محبة من الممكن أن يكون قبيل صدفة ، وأحب أيضاً أن أنه عن أهداف أخرى ، جعلتني أشد المريدين للحضور والتي منها مواجهه موجة الإرهاب وموجة الألحاد معاً ، أنا لم أزايد على أحد أو على معتقد أحد ، بالطبع كلنا أخوة كلنا واحد ، أبناء أبينا آدم .

أنا لا أتحدث إليكم الآن كإمرأة أو كمسيحية ، لا.. بل جئت لأتحدث وأوصل صوتي للعالم كإنسان كما ذكرت.. ولم تك بضع الكلمات التي تتراص أمامي في تلك الوريقات منظمة أو مكتوبة لألقيها على سيادتكم ثم تردونها بالتصقيف والتشجيع ، لم يكن غرضي أبداً.

جئت إليكم كما ذكرت قبل قليل لأوضح تجربتي ، التي لربما يستفيد منها أحد ، رحلتي مع والدي رحمه الله الدكتور أشرف كمال نخيلة الذي لم أقابل مثله حتى الآن ، لا أقول ذلك لأنه أبي.. الجميع يعرف من هو هذا الرجل ، وأما عن الشخص الثاني الذي عزمت على ذكر اسمه مع اسم أبي هو زوجي العزيز الاستاذ عماد مجدي العاززي المسلم العقيدة ،

والذي أوصف رحلتي معه بأنها ثمينة رغم ضلالة وقصر عمرها ، لم يكن الدين أو العقيدة بالشيء المفرق بيني وبين زوجي رحمه الله ، الذي اشتعلت بيننا نيران الحب ، الحب الحقيقي الذي لم يعيش طويلاً ، كما لم يكن الدين أو العقيدة عائناً بيني وبين عائلتي وخصوصاً أبي ، الذي جاهد كثيراً حتى أحصل على ما أريد.

لم أملك الآن من زوجي عماد العزازي الاستاذ بكلية الآداب قسم الفلسفة بجامعة الأسكندرية سوى وريقات قليلة ، والقليل من الحبر الأزرق الذي شكل كلماته ، والتي أثرت وشكلت وعي وإيماني حتى بعد إفتقاده .

اعذروني أيها الأخوة والأخوات إذا طال حديثي عن هذا الشخص - زوجي - لأنني أؤمن أن صفحات كتب العالم لم تكفي لما ورثته من علم وإيمان عن هذا الشخص الذي قضيت بجواره شهور قليلة قبل أن أفقده للأبد ، وقبل أن يري حتى بذرته ، لذا قررت أن أكتب كلماتي بيدي ، حتى أحاول أن أوصل الشعور الذي يكمن داخلي إليكم بل وإلى العالم.

قبل أن أسرد إليكم بقية حديثي ، أتودد إليكم أن يتسع صدوركم لقبول ضيف شرف ندوتي الاستاذ عماد العزازي زوجي الذي أعيش على ذكره ، كما أود أن أنوه عن سبب دخولي علاقة حب معه ، علاقة لم ترحب بها مجتمعاتنا الشرقية ، كنت أعرفه قبل أن أعرفه ، عرفته من عبارته التي علقت وماتزال على جدران جامعة الأسكندرية ، والتي تحوي الكثير من المعاني الصادقة القوية ، التي تؤمن بالإنسان والإنسانية ، كان من

الممكن أن يستفيد منها ليس فقط من يؤمن بدين سماوي بل الملحد واللا ديني وغيرهم من شتى أشكال البشر ، كانت تقول تلك العبارة بأن :

“ قدرتك التي تحدد علاقتك بالله ، وليس قدرة الله ، وهذا من عظمة قدرة الله ، الكلي القدرة ”

عندما قرأتها لأول مرة لم أجد منأى كي أداري فيه ما يدور بعقلي ، لكنني آمنت بها فوراً ، شعرت أن كاتبها قد ضغط على منطقة أكثر حساسية بالنسبة للكثيرين خصوصاً أصحاب العقائد السماوية .

تحسست خطواته، تطلعت لمدونات الفلسفية ، أبحاثه عن العقيدة والإيمان كشخص مسلم ، لكنني وجدت شيئاً ما جعلني أتطوق له أكثر وأكثر ، وجدته يؤمن بما أؤمن به ، لم أجد بين طياته الفروق التي تلقينها في مجتمعاتنا الشرقية بين المسلم والمسيحي، حتى في أدق الامور..هل تصدقوني إنني حتى أخذت منه طريقه في الصلاة أو الدعاء كما يلقيه المسلمون ، وحتى الآن جعلني في دعواتي أذكر المسلمون أولاً ، لا أعلم كيف ، لكن وجدتها أكثر إنسانية ، جعلني عندما أدعو الله أدعو للمسلمين أولاً.. مثلاً دائماً أقول مثلما كان يقول :

“ اللهم أرحم أمواتنا وأموات المسلمين والناس أجمعين..وأيضاً اللهم اشف مرضانا ومرضى المسلمين والناس أجمعين ”

وعلى الرغم أنني مسيحية ، فالتعارف أن أنتمي لمسيحيتي وأدعو أولاً للمسيحيين ثم أتبعها للناس أجمعين ، لكنني وجدتي أسير على نهجه وأتبع خطاه ، حتى في أنفه وأدق التفاصيل....

دائمًا كان يؤمن كما قال لي في أحد الأيام ، أنه يعبد إله ورب العالمين ، وأن نبيه (محمد) صلي الله عليه وسلم أرسل رحمة للعالمين ، فلما نقصي أنفسنا..؟ ، أوليس الله رب العالمين.. الرحمن الرحيم ، كلما خالطته أكثر تعلمت منه المزيد.

والجدير بالذكر أن القضية التي أحدثكم فيها بعد ثوان، تعتبر من أخطر القضايا الشائكة التي وبالتأكيد سوف أتلقي هجمات شنيعة أكثر عنصرية بسببها ، لأنها تهدم معتقدات وتزلزل عقول ، لكنه دين.. نعم دين على ولابد أن أوفيه ، وأحاول أن أساعد على نشر فلسفة أرى إنها أكثر إنسانية كما أنني عاهدت نفسي على أن أعمل في سبيل الإنسانية وأن أنشر ماعجز زوجي على نشره ، وبالتأكيد كلمة الحق ستعرف طريقها ، ستتجه بقوة حق ولو كانت عكس اتجاه التيار.

تختص تلك القضية على الصعيدين الإسلامي والمسيحي ، في إحدى العلوم التي إنتشرت فيما تسمى (علم مقارنة الأديان) .

.....عذراً أيها السادة ، أنا لم أزايد على أحد ، أقصد زوجي لم يزايد على أحد ، لكنه كان لديه رؤية لا بد وأن تحترم ، كان يرى أنه إذا كنا نؤمن بتعدد الألهة مثل العديد من الحضارات الأخرى ، أو تحوي بلادنا العديد من المعتقدات والمعبودات ، فكان حينها من الجائز أن ينمو مايسمى بـ (مقارنة الأديان) ، لكنه للأسف لم نجد مقارنة أديان إلا في نطاق الأديان السماوية التي يؤمن أهلها أنها نبع إله واحد ، لأن الله واحد كما ذكر القرآن الكريم

“والهنا وإلهكم واحد“

وإذن فكيف لنا أن نؤمن بالواحدانية ، ثم ننظر ونقارن بين كتبه السماوية التي أرسلها على رسله ، فهل كان الله ليغير أقواله أو شريعته من كتاب لآخر.. بالطبع لأ ، إذن بالتأكيد هذا من لإفعال البشر الذين يريدون التفريق.

عثرت على بحث من أبحاث عماد العازي الذي أفتخر أنه زوجي ، كما أفتخر أنه مسلم حق ، مسلم فقط كما كان يؤمن ، لا هذا ولا ذاك ، فقط مسلم ، كان بحثاً بعنوان (تكافؤ ومقاربة الأديان) ، كان يريد أن يرى شيئاً ، أغمضت العيون بل وعميت القلوب على رؤيته.

دائماً ما يؤكد لي أنني كمسيحية بإنني مسلمة مثله تماماً ، لأن الدين عند الله هو الإسلام هو التوحيد ، وأن المسلم من سلم الناس من لسانه ويده كما قال النبي (محمد) صلى الله عليه وسلم.

... وعندما استوقفته ، كيف أن أكون مسلمة وأنا مسيحية الديانة ، أخبرني بأن أي إنسان بحث وتوصل لوجود خالق واحد أحد للكون ، فهو موحد وطالما أنه موحد فبالتأكيد هو مسلم ، ينشر الحب والسلام ، لأن الله هو السلام ، وذلك بغض النظر عن المسمي الذي ينتمي إليه أمته التابعة ، سواء كان مسلماً أو مسيحياً أو يهودياً.. أو.. أو.

الشريطة هنا هو الإيمان بالوحدانية ، ونشر الإنسانية والسلام ، وأما عن الاختلافات التي تبدو من عقيدة لأخري ، ليست إلا إختلافات أراد بها البشر الظهور ، ليشبع طابع العنصرية.. والدليل على ذلك كثرة المذاهب والطوائف التي تغزو كل دين سماوي ، سواء في

الإسلام أو المسيحية أو غيرها ، ولذلك كان يؤمن بأن الأولى بالإنتماء أن يتمسك الفرد بدينه ، بإسلامه أو مسيحيته أو يهوديته ، فالتعدد والتشتت في الدين الواحد يوسع من دائرة التطرف والطائفية ، ليس فقط في الدين أيضاً في الأمور الحياتية سواء سياسة أو رياضة أو غيرها ، فلم يك عند شرقنا ثقافة الاختلاف بالمره والتي هي أساس الحياة لذلك قال الله تعالى في القرآن :

“ وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم “

لم يكن الأكرم هو المسلم أو المسيحي أو اليهودي ، بل من يتق الله فقط كما ذكر . كثيراً ما يدعوا رجال الدين وكهنوته إلى تمييز الفرقة التي ينتمي لها ، وكأن الله جعل منهم الأمة الوحيدة التي تفوز بالنهاية ، وأنها هي الأقرب إلى الله ونبيها هو المختار الذي لا نبي بعده ، ورغم أن هؤلاء الكنهة لم يكونوا إلا وارثين للدين ، ولم يبحث أحدهم في رحلة علم كي يصل لأختياريه ، بل مجرد أنه ولد كذلك ، إلا أنه يؤمن أنه الأحق .

إذا ولد مسيحياً لعائلة مسيحية أو مسلماً لعائلة مسلمة ، ولم يدرك هؤلاء أن الله جعل في رقابنا أمانة يثقل علينا حملها وهي حرية الاختيار ، وتلك الخاصية التي ميز الله بها الإنسان جعلها في غير مكانها ، فبدلاً من البحث والتدبر والتفكير ، جعلها في التفرقة والعنصرية ، بدلاً من أن يتولي الفرد ويكون هدفه البحث عن الله ، أصبح هدفهم البحث عن الدين الأفضل والحزب الأفضل والفرقة الناجية ، رغم أن الدين كله لله .

قرأت في إحدى مدوناته عن قضية في غاية الأهمية ، آمن بها كثيرون من رموز الإسلام ، والتي أدينوا بشرياً بسببها ، كشمس التبريزي المعلم الأول لمولانا

(جلال الدين الرومي) الذين أحببتهم ملياً وقرأت عنهم كثيراً ، والذين ينتمون إلى الجانب الصوفي في الإسلام ، فوجدت في سير هؤلاء قيم ومفاهيم معتقدية أكثر روعة وأكثر إيماناً ، ومنها قضية (البحث عن الله) التي رأوا أنها القضية الحقيقية ، وأن تلك القضايا الأخرى التي تنظر في إختلافات الديانات قضية تافهة كما وصفوها هؤلاء العظام ، لم يفرق عند هؤلاء إلى أي جنب تنتمي قدر ما يفرق إنك إنسان ، من منا..؟ وكم منا..؟ يحيا بتلك الخلق والقيم ، التي أكرمنا الله بها.. أن نحيا كإنسان.

يقول الله في القرآن :

“ إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصاري والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد “

هنا يؤكد الإله الأعظم أنه منفرداً له الفصل بين الناس وبين معتقداتهم ، ولا يؤول تلك الخاصية لأحد غيره ، هو فقط بيده الفصل لأنه الحكم.

إذن لماذا يتدخل كل منا في معتقد الآخر ، عفواً ليس تدخل معرفة وعلم أو شيء من هذا القبيل ، بل تدخل تطفلي دميم ، بذيء ، جاهل ، أتدركون لماذا..؟ ،

لأنها الطبيعة البشرية ، نبع الشر ، ورغم أن الجميع يؤمن بأن الله هو الخير والجمال والحب ، إلا أن البعض يرى تطفله على معتقد غيره وبحته عن ثغرات تعيبه حتى يثبت لنفسه أن من على غير دينه مخطئ ويؤمن برسالة أو معتقد ناقص -ليس دين الله - حتى تستكين نفسه ويثبت لها أنه على حق ، وتقوم المقارنات والجذالات بين الناس فقط

ليثبت كل منهم للآخر أنه أحق منه بالدين وبالفوز بالجنة أو الملكوت ، ولم يفقه أحدهم ماذا تعني الاختلافات ، ولماذا لم يكن كلانا على حق..؟ أو يكن كلانا على باطل..؟
حقاً.. من يطلع بقلبه على آيات الله وكلماته لسوف يرى ، يرى ببصيرته ، وسوف يساعده الله على الوصول ، من قرأ الكتاب المقدس بعهديه ، توراته وإنجيله ، من قرأ القرآن سيدرك معني الألوهية والوحدانية.

فاجثوا عن الله واقراءوا كتبه منه مباشرة وليس عنه ، ومن فعل ذلك سيجد أن تلك الكتب لتخرج من مشكاة واحدة.

حالياً يدور في أذهان أتباع يسوع.. كيف أنني مسيحية وأؤمن بكتاب القرآن..؟
أليس كذلك..؟

_عمدت محبة على سرد أكبر كم ممكن من تجربتها ورسالتها في هذا اللقاء ، كما أصرّت على البوح بكل ماتملك من معرفة عن حقيقة الدين والمعتقد، حتى تكون قد أوصلت رسالتها على أكمل وجه ، لدرجة أنها لم تلتفت حتى لكوب الماء أو القنينة الماكثان أمامها على منضدة الندوة ، لترتشف منها حتى ولو رشفت واحدة تساعدها على استكمال حديثها ، وهي مازالت تلقي كلماتها.

“أولاً أود أن أذكر قبل الخوض في تلك القضية عن بعض ماجاء به استاذنا العبقري (عباس العقاد) ، عندما تطرق لتلك القضية في كتابه بعنوان ((الله)) ، حينما قال عن الخير والشر عن فكر القديس (أوغسطين) حينما ذكر أن الله هو الخير ، لأن الله

هو الخالق اللانهائي ، وعندما خلق المخلوقات باتت محدودة وأنه ليس بمحدود ، وأن المحدود لا يمكن أن يكون خيراً محضاً أو يكون كله خير ، وأما عن الشر لم ينسب إلى الله أبداً لأن الشر في الأساس ليس موجوداً ، بل هو فقط إنعدام الخير داخل المحدود. وعلى ذلك قد ذكرت الخير والشر لسبب وحيد ، لأثبت أن الكراهية ليست موجودة وإنما هي فقط إنعدام الحب ، وأن أقرب الناس إلى الله ، من أحب الله وأحب خلق الله، وأنه) لا يستحق غفرانه من لم يتعلم كيف يغفر للمسيئين إليه (

وكما قال المسيح أيضاً (أنا ابن الإنسان) أؤمن بالمسيح ، كما أؤمن بالأب والابن والروح القدس -الثالوث المقدس -، مسيحية حتى النخاع وأفتخر كوني ذلك ، لكنني وبكل صدق لم أنكر على المسلمين نبيهم (محمد) صلي الله عليه وسلم ، ولم أنكر إنساناً قط ، ولا حتى أنكر رسالته ، لربما تكون من ذات المشكاة ، هذا النبي الذي بعث في العرب في بادئ الأمر كانت فكري عنه قبلية ، سيئة ، لأنني كما ذكر أخذت عنه ، أخذت ممن نقلوا عنه ولم أخذ منه ، وعندما قرأت القرآن ماجاء به (محمد) وتعلمته وتدبرته وأدركت مفاهيمه ، رأيت (محمد) حقاً ، رأيت توأماً للمسيح ، وجدت الحب والخير، الرحمة والإحسان .

لم ألق هذا الكلام رياءً أو مبالغة أو نفاقاً ، فقد علمت ونشأت ابني عماد قرة عيني ، على تعاليم نبيه التي تلقيتها ، تعاليم الإسلام السمحة التي للأسف لم أري تطبيقها على أرض الواقع ، عذراً.. لم أجد في حياتي تشويهاً مثلما فعل أتباع يسوع وأتباع محمد في عقائدهما ، منذ العصور الوسطى التي امتلأت دماءً بإسم المسيح ، وأيضاً ما فعل المسلمون من تطرف وتعصب بإسم دينهم ونبيهم.

والحقيقة أن تلك العقائد والرسالات أكثر رحمة وإنسانية ، وهذا سبب تدخل رجال الدين والكهنوت ، فالنبي (محمد) صلى الله عليه وسلم كما ذكرت وأنا أو من به كإنسان، سيرته عطره وأو من به كنبى أيضاً ، فلم يذكر في الإنجيل انتهاء زمن الأنبياء قط .

وإذا كان حديثي هذا لم يقع بالجميل على مسامعكم ، وإذا تجلى إليكم أنني أضحيت مهرطقة.. فعذراً، لكن فكروا معي .

(محمدآ) رسول الإسلام ، يحمل على عاتقه قضية كبرى في غاية الأهمية والحساسية ، كما ذكرت لم يأت الإنجيل بنص يوضح انتهاء زمن الأنبياء ، لأن على حد تفاسير الإنجيل أن النبي هو الذي يتنبأ ، وعلى ذلك فالحمل الذي يحمله (محمدآ) على عاتقه ، هو ذكره في كتابه أنه آخر الأنبياء والمرسلين ، فدعونا نعمل بصمت ، هل تدركون كيف يكون هذا الرجل الذي تعدى أتباعه المليار والذي عاشت رسالته أكثر من ألف وربعمئة عام ، وبالفعل لم يظهر نبياً بعده ، فهل كان يعلم الغيب..؟ ، أم أنه مهرطقاً قال تلك الكلمات ولم يعي معناها..؟ ، وبغض النظر عن حياة القرآن الذي عاش أيضاً مايزد أن ألف وربعمئة عام ، إلا أن ماحمله (محمد) على عاتقه أضحي حملاً ثقيلاً من الممكن أن يذوب في أي لحظة ، فسلاماً عليك نبى الرحمة .

والأن جاءت اللحظة التي سأجيب فيها على مايراود عقولكم ، مسيحيكم ومسلميكم.. كيف تؤمنين بكتاب يقول أنه : " كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة "

ويقول أيضاً : " كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم "

أولاً إذا كان المسلم لم يؤمن بالوهية المسيح الابن ، فهو يري في الأب -الله- المصدر، فدعهم وقولهم كما قالوا : “ إن الله يفصل بينكم يوم القيامة “

وأما عن كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ، فبالفعل كفر.. كفر من قال أن هناك ثلاثة آلهة ، كفر من قال أن هناك ثلاثة أديان.. ، لم يكن هناك تعدد آلهة قط ، كما ذكرت في بداية لقائي ، كما لم يكن هناك ثلاثة أديان ، فبالفعل كفر من قال ذلك ولهذا تطرق بحث الاستاذ عماد في بحثه عن (علم مقارنة الأديان) ، حينما قال :
بأن الله واحد ، ودينه واحد ، ولم يستطع أحداً قط أن يغير كلام الله ، لأنه قال بالقرآن
“أنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون“

والذكر على حد علمي أنه كلام الله ، الذي يشمل التوراة والإنجيل والزبور والقرآن ولا مبدل لكلمات الله.

ثانيا : عن شبهة أقانيم الله الثلاثة في المسيحية ، فأنا أؤكد نحن لم نؤمن بثلاثة آلهة
“ باسم الأب ، والابن ، والروح القدس إله واحد آمين “
والمعلومة الراسخة والتي تلقيتها عن زوجي أيضاً ، أنه لا يوجد تفسيراً محضاً لكلام الله ،
لأنه ليس له منتهى ، وأن الآية الواحدة سواء كانت في الإنجيل أو القرآن من الممكن أن
تخاطب ملايين البشر ، وعلى ذلك قال الله :
“قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي ، لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ، ولو جئنا
بمثله مددا“

وقبل أن أتطرق لنقطة تالية ، أود أن أطرح سؤالاً على الجميع ، سؤالاً لربما وجد أكثركم فيه خلافاً ، أوليس الله كلي القدرة..؟؟ بالطبع نعم ، أوليس قادرا على كل شيء..؟؟ بالطبع نعم ، السؤال هنا.. إذا كيف أنه لا يستطيع أن يتجسد مثلما يؤمن أتباع يسوع.. في الله المتجسد..؟

هل بدأت أزيد هرطقتي.. عفواً.

أوضحت بعض التساؤلات التي أؤمن بها ، ولا أرغم أحداً على الإيمان بها ، والتي يختلف على كثيرين من أتباع الديانتين ، وعلى ذلك أحاول أن أدعوكم لكلمة سواء بيننا وبينكم “ لا إله إلا الله “

أحبائي لم ينظر لنا الله العظيم بنظرتين مختلفتين ، سواء مسلماً أو مسيحياً أو بوذياً أو عابداً للبقرة والنار، الله أعظم وأكبر وأقدس من كل تلك التراعات التي تتداولها عقولنا ، الله هو الحب والخير والسلام .

نعم (المعادلة الإنسانية) ، تلك التي وجدتها في إحدى مدونات زوجي ، فاعتبرتها من أقواله الماثورة ، حينما قال :

“ إذا كان الله هو الخير والحب ، ثم أن الخير هو الضمير ، فإذا قتل الضمير ، فهل تدركون على من تعتدون “

دائماً وأبداً كانت رسالته في الحياة هي الحب وصدق حين قال :

“ الحب إكسير الحياة ”

، كما أن الحب هو الطريق الأسرع للسعادة والجنة ، التي من الممكن خوض تجربتها في دنيانا على حد قوله ، مستشهداً بقول الله على المؤمنين

“ هذه الجنة التي رزقنا بها من قبل ”

فلنأخذ بيد بعضنا نحو الجنة بإعلاء القيم والأخلاق ، بإحياء الضمير في شتى تعاملاتنا ، والتي هي سمات المؤمنين ، صفات العلم والمعرفة في الفرد ، لأن الجهل إن لصق بشيء قلبه للضد ، فالعلم والمعرفة رسالة الله في ... “ اقرأ ” ... أول كلمة في القرآن ، فأتى من الله أن يحوطنا برعايته ويجعلنا أهلاً لفضله ويقربة ذات بيننا ، فإن

“العلمة ذات وجهين ، فدعونا أيها السماويون أن نكون وجهاً واحداً لها ”

“ طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض ، وطوبى للرحماء لأنهم يرحمون ، وطوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله ، وطوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون ، فليضئ نوركم هكذا قدام الناس ، لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذي في البيت ، فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا ، يدعى أصغر في ملكوت السماوات ، وأما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيماً في ملكوت السماوات ”

فأرجو من إخوتي أن تتمسكوا بتعاليم الأب ، بتعاليم الله ، التي لا تبديل لكلماته ، الله ذكر في سورة النساء :

“ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ”

تلك الجملة أو الآية عميقة المعنى ، ولم يتداركها الكثيرون ، وعوا أيها الناس أن رسالات الله تورا وإنجيل وقرآن هي رسالات وكتب تحيا من آلاف السنين ، ولم تتبدل.

الشخصية الإيدولوجية الشرقية لا تمثل ثقافة معتدلة البتة ، وذلك نتيجة الجهل المدقع الذي لزم الإنفتاح ، والذي لزم كل شئ ، تجارة ، صناعة ، زراعة ، سياسة ، إقتصاد ، وحتى الجهل في الدين والذي يعطي أكبر النتائج عبثاً ، فهو ينتج التطرف.

ولم يع أحد أن التطرف الفكري وثقافة عدم تقبل الآخر ، الذي يشمل الجهل وعدم الإيمان ، هو نتاج وعمل بشري بحت ، والدليل على قولي هذا أنه

“ عندما عصى إبليس الإله ، كان هناك حشد عظيم من الملائكة العظام لأن الأمر حينها كان السجود للمخلوق الجديد من قبل الملائكة ، وعندما وقع الأمر ، لم يخرج فرداً واحداً من ملائكة الله في ملكوته للقيام بالدفاع عن الإله الأعظم ، أما على الأرض فعندما تجد إختلافاً مع أحدهم خصوصاً في الدين أو العقيدة ، يصبح الأمر أكثر عدائية ، لم تكن تلك الثقافة مقتصره إلا عندنا ، أهل الشرق والعرب خصوصاً ، مع العلم أن هناك شعوباً تحيا أكثر إنسانية رغم إنكارها لوجود خالق ، كما أنها لم تعرف الله البتة ، وهذا إن دل فيدل على مرور فكرة تشويه الأنبياء والرسل ، حتى وصل التشويه إلى الإله ، بات إلهنا مشوهاً لدى بعض الشعوب والأمم ، ورغم العبث الذي طال موروثاتنا والتي أدت لتلك التشوهات من علماء ورموز تلك الأمم التي تريد الخلاص منا ، فقد وضعوا منهج التشويه ونحن نسير على خطى هذا المنهج بدقة متناهية ، ندمر ذاتنا بأنفسنا .

فكثرت موجة الإلحاد ، وانتشر العنف والتطرف والإرهاب ، وغزونا العالم بجهلنا ، ولم تظهر تلك البذرة إلا من بين شعوبنا وأممنا الذين يصفون أنفسهم بالمؤمنين ، ولم يشعروا أنهم سبباً رئيسياً في نشر الإرهاب والإلحاد .

أضحينا بلا معني ، كما قال (الرومي) في مثنويه :

“ ما كان ذا معني يبدو طيبا حلواً ، وما لا معني له فضيحة في حد ذاته “

فأصبحنا فضيحة ، كارثة ، يشاهدنا العالم من بعيد ، وأيضاً قال :

“ لك قدم فكيف تجعل من نفسك أعرج “

وعندما ذكر “ الخفايا تظهر بأضدادها ولما كان الحق لا ضد له ، يظل خفياً “

كان يقصد بضرورة البحث عن الحق ، والحق هو الله .

كما لا بد أن يعلم كل فرد بأن “ القمر في السماء وليس في ماء النهر “

فنحاول أن نرى ونصبر جيداً أين الوجهة الصحيحة ، ودعك من تلك الأغلال التي تقيد بها ذاتك .

“ ما أكثر المغلولين بقيود غير ظاهرة “ ذكرها الرومي أيضاً ، لأن هناك أناس لم تبصر ما يقيدها ، وفي رأي

“ دعك من كل القيود أمام الخلاص من قيد عقلك “

لذا أسرد (المعري) في واحدة من أعظم أبياته :

يرتجي الناس أن يقوم إمام ناطق في الكتيبة الخرساء

كذب الظن لا إمام سوى العقل مشيراً في صبحه والمساء

فإذا ما أطعته جلب الرحمة عند المسير والأرساء

إنما هذه المذاهب أسباب لجلب الدنيا إلى الرؤساء .

ننتقل الآن للنقطة الأكثر جدلاً ، في إحدى اللقاءات التي لاحقت حصولي على (نوبل الكيمياء) ، بعدما شفاني الله من وعكتي ، أثير تساؤل عن المسمى الذي أطلقته على بحثي باسم : (إنسانفريديا) ، بالفعل هو مسمى ليس له وجود في اللغة وإنما هو اسم فلسفي مركب ، يتكون من كلمتين الأولى إنسان ومذيل بكلمة فريديا والتي تعني بالإنجليزية (مرض نفسي) ، الحقيقة لم يكن المسمى من إختلاقي ، بل كان عنواناً لإحدى المقالات الفلسفية التي عثرت عليها في مكتبة زوجي ، والذي لفت إنتباهي بشدة ، أشار في تلك المقالة وباختصار ، عن إحتياج البشرية لمرض أو لداء يصيب ذاكرة الفرد فيتحول دون ذاكرته المؤلمة والحزينة والقاسية إلى ذاكرة مرضية وسعيدة ، فتوثر طردياً على السلوك العام للفرد ، والتي بدورها ستغير في الوعي العام الكامن والمنتشر بشدة ، نحو الصرعات والسلوكيات الأكثر سوءاً والأخلاق المذمومة ، لربما كان الأمر أكثر فانتازياً لكنه أمل في أن تكون البشرية أكثر إنسانية وتعلو القيم وتسود الأخلاقيات ، لأنه وجد أن تأثير المرض ما يكون أكثر فعالية على الفرد.

لم أعي كم أثرت تلك التجربة على مداركي ، ولم أعرف لما انتقى زوجي كلمة المرض لإصابة الفرد حتى يكون أكثر إنسانية ، كان يري أن الفرد تتكون شخصيته طبقا للتجارب السابقة ونشأته ، ومجموع ذكرياته التي يتلقاها عقله على مدار سنوات، ومنذ لحظة تطلعي لتلك المقالة ، وهي لا تزال تراودني ، تحسست خطاه ، آمنت أيضًا بها ، وبعد سنوات عدة حال الأمر معي من أنه مرض أو داء إلى دواء للمرض، وعلاج للمتألمين ، عندما انتهيت من مشروع

(إنسانفريديا) والذي انقسم إلى جزئين ، جزء يتمثل في عقار (BRAIN ETRINITY) ، والذي أصبح عالمياً ، والآخر يتمثل في الجزء البرمجي لزراعة الذاكرة ، لم أنتبه في بادئ الأمر ، إنني أسير على منهج... ذات الفكرة التي أشار لها الاستاذ عماد العزازي ، لكنه كان آملاً في إنجاح مشروع أو تطور طبي مثلما يحدث كل يوم على أيدي العديد من العلماء البارزين في مجال الطب والكيمياء ، وأخيراً لاحظت أنني على مشارف تحقيق الحلم الذي أمل به زوجي يوماً ما. لهذا وجدتني وضعت عنواناً لبحثي باسم (إنسانفريديا) في تأهيل وزراعة الذاكرة لأن ((المعرفة وحدها لا تكفي ولا بد وأن يصاحبها التطبيق)) كما أشار الأديب الألماني ((يوهان غوته)).

تلك هي المرة الأولى التي أذكر فيها المعنى الحقيقي لإسم البحث ، وجعلته لم يقف عند كونه عنواناً في مقال أو بحث ، بل فعل تطبيقي يؤدي لنشر الصحة والسعادة والحب والسلام أيضاً.

والآن ومن منبري هذا أود أن أهدي ذلك العمل له ، لأنني أظن أنه في مكان ما أفضل بكثير مما نحيا ، ليس العيب في دنيانا ، لكن الجهل المدقع هو الذي حال ثقافة الحياة إلى ثقافة الموت ، فلتعلوا ثقافة الحياة.

كما أود أن أقول له إنني أراك بعين قلبي ، ولم تفارقني منذ أن إلتقينا ، لأنك تحيا بداخلي ، كما حييت بك دائما ولا أزال.

_وأخيرا انتبهت محبة لكوب الماء الذي مل من المكوث أمامها ، لربما جفاف حلقها هو من أشار إليها بالثقاة ، رشفت رشفه صغيرة منه ، بللت حلقها ، دون أن تعيره انتباها ، ومازال نظرها بين ورقاتها وبين جموع الحاضرين ، مستكملة :

“ السيدات والسادة ، أحب أن أقدم بخالص تقديري وحيي وإحترامي ، للفئة الأكثر إلتفاتاً ، إلى العقل الملحد ، الذي قبع في تلك المرحلة ، بناء على عدة توجهات ، والتي منها الفكر الدائم والإرادة الحرة ، والشك الذي أريد أن أبين أنه بداية طريق الإيمان ، كما لا ننكر بعض العناصر الأخرى والمعلومات المشوهة والخاطئة عن الدين وعن الإيمان ، تستريح العقلية الملحدة عند مرحلة الشك ، ولم يكلف نفسه عناء البحث أو لربما عمد عقله بأن تلك المرحلة هي نهاية المطاف ، بالطبع لأ.. طالما يسري سر الحياة داخل الجسد لا بد وأن يعلم كل فرد أنه في مهمته الأولى والأهم وهي البحث ، ولا بد وأن يدرك أن الفرد دائماً وأبداً في مرحلة البحث...

توصل الإنسان الملحد والتي معناها الكفر البين ، لا أقصد بكلمة (الكفر) ذمّاً في أحد ، بل أقصد بها إنكار وجود الله ، وإنكار وجود خالق صمدي ، ولا بد وأن يعرف

الفرد الذي مال عقله وانتهى إدراك عدم وجود إله للكون أو عدم وجود أديان ، وأتبع مقولة (كارل ماركس) بأن الدين أفيون الشعوب ، هذا يعني وبالتأكيد أنه الأقرب للوصول والمعرفة والحكمة أيضاً ، ومعرفة الله حقاً ، لكنه لم يجد من يؤازره أو يقوم هذا الفكر، وهذا الدين الذي توصل إليه

(دين الكفر) ، لأن الكفر بالفعل هو الدين الآخر ، كما قال (محمد) لقومه (لكم دينكم ولي دين) .

ذلك بالطبع غير الفرد الذي ورث دينه ، كما لم يأخذ خطوة واحدة تجاه إعمال العقل أو التدبر .

فمنذ آلاف السنين ومن قبل نزول المسيح ، عندما توصل (سقراط) إلى أهمية المعرفة وإعمال العقل ، حينما قال :

“ كل فرد منا يتصف بالطيبة بقدر حكيمته وبالسوء بقدر جهله ”

فالجهل في رأيي هو عدم التدبر ، فالجاهل لم يع ماذا يفعل ، كالمريض الذي يحتاج للدواء ، ولأننا نعيش في مجتمعات تجهل معنى الحياة ومعنى العلمانية والتي يراها المتدين أنها ضد الدين ويراهها غير المتدين أيضاً أنها ضد الدين ، ولم يعي كل منهم أن الفيلسوف الثائر (سقراط) قد أشار إليها أيضاً منذ آلاف السنين ، وهي لم تكن وليدة اللحظة ، أو أنها شيء مستحدث فقال :

“ إن الكمال العلماني ليس بديلاً للكمال الديني وإنما نفس الشيء ”

إذن فدعوتي لهؤلاء الإخوة الملحدون ، ليس دعوة إيمانية ، بل هي دعوة لمواصلة واستمرار البحث والتدبر والتأمل ، كما أدعو نفسي معكم ، ولأنه بالكاد سيصل ، وأن تلك (الصدفة) التي يؤمن بها الملحد ، لم تكن بتلك الدقة المتناهية في سرد الحياة على الكون ، وإذا كانت ما تسمى بالصدفة تلك القدرة العالية على ترتيب الكون وعناصر الحياة ومشتقاتها ، فأنا أول العابدين ، أنا لم ادعي أنني ضد الداروينية أبداً ، تحترم النظرية ويحترم خالقها ، كما أؤمن بها في شتى مواقع الحياة ، لكنها وبكل صدق في رأيي لم تتعارض أو أنها تنفي وجود خالق واحد أحد...

لأن الله هو من خلق الأسباب، والأسباب هي أدوات الحياة ، ونظرية التطور لم تخرج من نطاق السببية .

اسمعوا ماذا سرد (العزازي) في قوله :

عندما قال الله كن....

ترنحت مليارات السنون.....

بين الكاف والنون

فصار كونا مباشرة....

بعد الكاف وقبل النون

فحالت تلك السنون من كونها لفظه لحظه إلهية زمنية

إلى مليارات السنوات الكونية

وإذا جاء أجل انتهاء الأمر الإلهي كن...

ولحقت الكاف بالنون

صار ماضيًا مكنون

فيحول الأمر من كونه كن....

إلى ماضيه كان

وذلك إشارة إلى الإنسان

لتنتهي على إثره الأكوان....

وتأتي حياة الخلد والجنان

فالزمن مخلوق مثلنا فان....

يظل خاضعاً لأمر الرحمن

.....

منذ إنفجار ذرة الضوء في نظرية (البيج بانج) منذ حوالي أربعة عشر مليار عاما ، أوجد الإله السبب الذي جعل تلك الذرة تنفجر ، والتي تكون منها كوننا هذا على مدار مليارات السنين أيضًا ، ورغم أنه يملك الكلمة ، كما تؤمن مسلمينا ومسيحيينا ، أن الكلمة تقتصر على حرفي الكاف والنون - كن - ولكن الإلهية لم تقف حائلاً بين تنفيذ الأمر ، لكن قواعد الكون حالت إلى نظرية السببية ، فكان لابد من سبب لكل شيء ولكل خلق ، وبعد عشرة مليار عاما بشرياً ، أخذت الأرض في التكوين والتي يصل عمرها إلى أربعة مليار عام ، ومن ثم يأت الإنسان العاقل ليتربع على عرش الكون ، والذي لم يتعدي عمره الأربعين ألف عام مثلما توصل العلم ، أو إلى أربعة عشر ألف إلى خمسة وعشرون ألف عام مثلما توصلنا إليها من الكتب السماوية.

الإنسان هو الأحدث على الأرض ، يثور تساؤل هنا ، هل يتعارض العلم مع ما جاءت به الكتب السماوية..؟ ، في رأي أو من وجهة النظر المؤمنة لا يوجد تعارض أو مقارنة ، هناك مقولة من إحدى أعظم ما توصل إليه ضيف شرفنا الاستاذ عماد العزاوي فيقول :

“لما نقارن لطالما في أيدينا أن نتقارب ، لا يتعدي الفرق سوى نقطة يختلف موضعها ، فاجعل من نفسك إنساناً حراً ، وفكر جيداً أين ستضعها ، ولما..؟ ، وتلك النقطة هي الفارقة في مفهوم حياة كل منا“

تلك العبارة التي قرنها ببحثه عن ما يسمي بمقارنة الأديان كما ذكرت سابقاً فإني المقاربة أكثر إنسانية وتعايش من المقارنة.

العقل المؤمن بطبعه يريد التقريب في أي شيء وفي كل شيء ، أما العقل المتطرف فينحاذ دائماً لتلك الفكرة التي تمجي تقييده من أي شيء، وهو يرى السعادة في ذلك ، فيبحث عما يرضي عقله ، وإذا تبصر قليلاً لوجود السبب.. ، السبب في الوجود لأن القاعدة هي أن لكل موجود واجد ، والله ليس موجوداً لأنه ليس محدوداً وإنما له صفة الوجود بقدرته اللامنتهية ، ولما ذكرت الآية أن الله موجود فمعني أنها إحدى صفاته...

لأننا في رحمه في رحم الله ، لأنه أزلي لا بداية له ، وسرمدي لا نهاية له وكلمة الصمدي العظيمة التي جاءت بالقرآن ، والتي تجمع بين الأزلية والسرمدية .
وعن مليارات السنين منذ بداية الانفجار العظيم ، تلك المليارات على حساباتنا البشرية ، فهي عند الله لم يكن لها وجود بالأساس ، فلا وجود لموجود في وجود الواحد ، لأنه خالق الزمن ذاته ، فهو يتعالى عن كل تلك المفاهيم.
يا أيها المؤمنون ، أعلوا ثقافة الحياة والحب ، حتى لا ينفر من سبيلكم الباقون ، تقبلوا الآخر ، فنحن سبباً رئيسياً في نشر الإرهاب والإلحاد..
عندما ذكر الله في القرآن:

“وقالت اليهود ليست النصاري على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء ، وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون“ صدق الله العظيم..

وجدت ذكر الله لكلمة اليهود في رأي أنه يقصد بأنهم القوم الوحيدين الذي هداهم الله ،
والنصارى أيضًا هم تلك الذين آمنوا أنهم الوحيدين أصحاب النصرة ، لذا يقول هؤلاء
ليسوا على شيء ، ويتهمون أنفسهم مثل الذين لا يعلمون.

فدعونا نؤمن بالحب ، ويؤمن كل منا بالآخر ، لأن الذين يعلمون سيقولون من قولنا كما
ذكر الله ، فدعونا نكون ودعاء

“ فطوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض “ ، دعونا نكون كالأطفال ، حتى نفوز بملكوت
السماء ، دعونا نصبح قاتلين ، فلنقتل الحقد والكراهية ، نقتل الغل والكذب والغرور
والغش والكبر ، نقتل المرض الذي يصيب النفس لأنه من أخرج إبليس من الجنة ، بعدما
كان طاووس الملائكة رفعه الله مكانه غير عادية بين الملائكة وقربه كثيرًا ، ولكنه
أصيب بمرض في نفسه هناك فروق شاسعة بين الخطأ الذي يصيب الجسد من سرقة وزنا
وقتل حتى ، وبين الخطيئة التي تصيب النفس مثل الكذب والكبر والغرور ، فتلك أكثر
وأشد خطراً على الإنسان ، لأنها تصيب الإنسانية وأودت لطرد طاووس الملائكة من
الجنة ، وتحول إلى عدو يودي بنا في نهاية المطاف إلى الهلاك.

والحب هو السر هو علاج للأنفس المريضة

“ الحب سلاح الحياة ، وبطاقة دعوة الله لك بالجنة “

وهو دواء لمرض القلوب

“ هناك دائماً دواء لمرض القلوب ، لكن لا يوجد أطباء سوى أنفسكم “

ولا بد أن نتيقن أنه

“ستنبت نبتة الخير ولو في حقول الشر“

وأنا “لابد وأن ننظر للأمور بوجهات متعددة، حينها سنكون قادرين على الرؤية”
 “وزاوية الحب هي أفقى زاوية للرؤية”، فبالحب نرى ونبصر أشياء لم نقو على رؤيتها
 دونه.

وأخيرا أوجه لأهل التوحيد، تلك هي دعوى الله لكم، دعوى الحياة والحب فاحذروا
 من أفعالكم وسلوكياتكم التي تنفر أجيالاً، ترى التقيد في أفعال من يؤمنون – أهل
 الديانات، بالحب ستعم الحياة، سيعم التقارب والرحمة، ستعم المودة والسلام.
 “العملة ذات وجهين فدعونا أيها السماويون أن نكون وجهاً واحداً لها“

الله ورسالاته لم تقصد بنا إلا الخير والسلام، تريد أن يحيا كل منا بصفته الربانية، أن
 يحيا بالإنسانية حتى يطول النهار، وتظل شمس الحب تسطع على أرجاء نواحيها، وأن
 الإله لم يقصد بنا شراً البتة لأنه أيضاً يحبنا، وجاءت حكمة (بوذا) عندما تحدث
 عن عدم الحب والكراهية فقال :

“إذا كان دينك يتطلب كره أحد ما فأنت بحاجة إلى دين جديد”

فانظر ماذا ترى.. أيها الإنسان إلى أي دين تنتمي..؟
 دين الحب.. أم دين الكراهية.

يستمتع الجميع بإصغاء وتركيز ، الكل يبتسم لم تنتج حركة بين جموع الحشد ، الجميع في حالة غير إعتيادية من الإلتزام والهدوء ، وبعد المجهود الشاق المتواصل لم محبة أخذها الدور ، أخذت تتناول الماء كل ثانية وطلبت المزيد ، عينيها يصيبها التشويش والغمامة ، لم تعد قادرة على الرؤية جيداً لربما من شدة تركيزها ،

استمرت بعرج في حديثها عن الحب والحياة ، تعتمد على استكمال رسالتها التي أرادت أن تنهيها في هذا اللقاء العالمي ، وأثناء حديثها عن قدرة الله اللا محدودة وأن العناية الإلهية تتدخل دائماً في حياة كل منا ، ويلمس كل منا ذلك ، وهي تنادي بمحاولة الوصول إلى الربانية بأن نكون ربانيين ، وأن نقص الشر والكراهية من حياتنا لأن الجميع سيذوق من ذات الكأس التي يذيق منها الآخرين ، فاكثروا في السماء وليس على الأرض ، يقول الله في إنجيل "متى" :

“ لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ ، وحيث ينقب السارقون ويسرقون ، بل اكنزوا لكم كنوزاً في السماء حيث لا يفسد السوس أو الصدأ ، وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون ، لأنه حيث يكون كنزاً هناك ، يكون قلبك أيضاً ، سراج الجسد هو العين ، فإن كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيراً ، وإذا كانت عينك شريرة ، فجسدك كله مظلماً ، فإذا كان النور الذي فيك ظلاماً فالظلام كم يكون .

وقال أيضاً :

“ اسألوا تعطوا واطلبوا تجدوا واطلبوا يفتح لكم ، لأن كل من يسأل يأخذ ومن يطلب يجد ومن يقرع يفتح له “

وأيضاً

“ فكل ماتريدون أن يفعل الناس بكم ، افعلوها هكذا أنتم بهم ، لأن هذا هو الناموس والأنبياء ”

فكونوا بالحب وأحيوا بالسلام ، وأعلموا قوة الكلمة ، واجعلوها دائماً طيبة حسنة مثلما قال النبي (محمد) صلى الله عليه وسلم “ الكلمة الطيبة صدقة ”

واجعلوا رزقكم خيراً وسلاماً ، لأن الدين رزق ، فاطلب الحسنى ، اطلب المحبة والسلام. ذكر النبي (محمد) صلى الله عليه وسلم أيضاً ذات مرة في إحدى أشد أقواله إعجاباً حيث قال “ وعلى نياتكم ترزقون ”

“ إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ” ،

“ النية محلها القلب ”

وهي “ القدح الذي تتحكم في محتواه ، فاملأه بالخير والحب ، حتى نرزق رزقاً طيباً ” فلنصحح نوايانا ، ونجعلها بريئة براءة الأطفال لأن المسيح قال :

“ الحق أقول لكم إن لم ترجعوا وتصيروا كالأولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات ”

“ إن لم تعودوا كالأطفال ، لن تدخلوا ملكوت السموات ”

سكت الحديث لبرهة عن محبة التي دقت النظر عند الأفق ، في نهاية الحشد الماكت أمامها ، وإذا بشيء لم يكن بالحسبان ، شيء غير متوقع بالمرة ، لم يدرك عقلها حينها أن ما تراه عينها حقيقة أم خيال..؟!

هل هو وحي في زمن انقطع فيه الوحي..؟! ، أم انتابتها حالة من الهذيان... هل تلك المليمترات التي تم حقنها بها أودت بها إلى الهوس والهلوس..؟!

فهل هذا وسواس قهري..؟ هذا مرض أم مجرد تراهات نتيجة إرتفاع ضغط الدم ورؤيتها الضبابية نتيجة إرهاق..؟

لم تستطع محبة إدراك وتشخيص ما يحدث لها في تلك اللحظة العجيبة. لاحظ الجميع تكرارها بحك عينيها ، ومحاوله إتساع حدقتها في اتجاهات متعددة ، كما لفت إنتباه بعض الحاضرين وخصوصاً القريبين أمثال عمر نصر و أحمد مجدي اللذان يمكنان على طرفي التوأمين ، اللذان اشتد إنتباههم لما تلقيه أمهم من كلمات ، لكن العجيب في الأمر هو ثبات نظراتها على ولديها فجأة ، مما جعل الأمر أكثر لفتاً للأنظار ، حتى أنهم بدأوا يلتفتون يميناً ويساراً محاولة منهم لرصد ما يلفت إنتباه أمهم ، ولم يعي أحداً قط إلى ماذا تنظر محبة..؟!

وجهت محبة إبتسامة للحضور ، وعينيها معلقتان في تجاه أبنائها وهي مازالت تبتسم وتحقق نحوهم ، وعينيها لم تقو على التصديق ، فهي تقول في نفسها هل أنا أحلم الآن..؟ ، كيف يبدو ما آراه الآن..؟ ، هل اختلط الأمر علي...؟ ، وحتى الآن تحاول محبة البث في ما تفكر ، هل هي حقيقة أم خيال..؟ ، ما الذي جاء بهؤلاء إلى القاعة..؟ ترى محبة طيفاً وسط الحشود الجالسين ، يشبه طيف العذراء التي تراه في حلمها ، بالطبع هو ، فهي لاتزال تراه منذ عشرات السنين ، لكنه الآن ليس حلمًا.. إنه حقيقة .

الدهشة والذهول تعتلي وجهها المحقق في الأفق ، تتابع هيام الطيف بعينيها ، خصوصا بعدما تحول وجه الطيف الذي تراه بدا نورا إلى وجه أكثر بشرية إنها عائشة.. نعم عائشة.....!!! ، تحوم بين الحضور في أرجاء القاعة ، ويبدو أنها الوحيدة التي ترى ذلك ، حتى استقر الطيف بين أبنائها اللذان يبديان كزهرتين يافعتين الجمال ،

و عائشة تحفهما بين ذراعيها ، وشيئاً فشيئاً بدى وجه عائشة وكأنه إحدى الحضور ، تجلس تستمع لما تلقيه محبة ، حتى هبى له محبة آنذاك بعد مصاحبة دمعها لابتسامتها أن عائشة تشير لها باستكمال رسالتها .

الدمع يجري على وجنتي محبة ، يهطل على الورقات التي تقبع أمامها على الطاولة ، حتى أن الدموع جعلت من حبر الكلمات المتراصة كلمات غوغائية ، لم تستطع قراءتها ، والحين تحاول مسح دموعها وهي تقلب بين الصفحات ، إلى صفحتها الأخيرة ، ثم أكملت في خشوع :

“أنا لم أقف هنا لأبشر بالمسيحية أو أدعو إلى الإسلام ، لأنهما وغيرهما أحاديّ المصدر ، وإنما جئت لأدعو للإنسانية ، والتي جاءت الأديان لتقومها ، فالإنسانية والحب هم سبيل الإرتقاء ، وعلى ذلك إذا تعرضتم لأي شيء لا يبشر بالإنسانية أو الحب فهو ليس من دين الله ، إله الحب ولا حتى من رسالاته ، وحتى لو غلف هذا الشيء بغلاف ديني ، فاجشوا وتدبروا واقرأوا ، فتلك ليست دعوتي وإنما هي دعوي الله ، فالله خلقنا إنسان وجعل الملائكة المقربين يسجدون له .

إننا أبناءه ، أبناء روحه ، كما خلقنا بالخطية لأنه يحبنا ويجب أن نلجأ إليه حتى يغفر لنا ، ولن نصل إلى رؤيته ، إلا إذا أبصرناه في جميع خلقه ، ولم يكذب (الرومي) حين قال :

“ قلت للوردة حديثين عن الله ففاحت عبيرها “

وأحب أن أختتم لقاءي معكم ببعض الأقوال التي لاقت لدي قبولاً عن هذا الإنسان المؤمن العظيم ، العالم الإسلامي (جلال الدين الرومي) ، لما قال عن الحب والجمال

“أنا لم آت لأعطيك شيئاً جديداً ، لقد أتيت لأخرج جمالاً لم تك تعرف أنه موجود فيك
“

“حين تعثر على الجمال في قلبك ، ستعثر عليه في كل قلب“

“قلت للحب لن يموت حتى أعرفك ، قال الحب من يعرفني لا يموت“

“لا تحزن فالله يرسل الأمل في أكثر اللحظات يأساً ، فالمطر الكثير لا يأتي الأمن الغيوم
الأكثر ظلمة”

وأخيراً أحب أن أقول شيئاً في غاية الأهمية ، وهذا بناء على تجربتي الشخصية ، وهذا
الشيء عبارة عن تبرة .. نعم تبرة ، براءة الإسلام مما لصق به من الإرهاب ، لم يكن دين
الإسلام إرهاباً قط ، والعقل لم يلصق أفعال البشر له لما يدينون به ، نعم وبالفعل قام
كثير من أتباع الإسلام بتشويهه لكن الإسلام ، نجد العديد من القنابل النيرة التي تضيئ
الطريق للاتباع ، لكنهم دائماً مهمشون ومخبئون ، لأنهم على علم ومعرفة وصدق الإمام
(محمد الغزالي) -والذي توفاه الله منذ سنوات- حين قال :

“إن كل تدين يجافي العلم ويخاصم الفكر ويرفض عقد صلح شريف مع الحياة هو تدين
فقد كل صلاحيته للبقاء“

فهنيئاً لمن عقد الصلح ، وقريباً سيختفي كل تدين جاهل مارق .

لم يصدق أحدكم أن التي أمامكم قد طالها الحقد والكراهية والشر من أقرب الناس
إليها ، لم يكن الإرهاب في الدين ، فقط نحن ما لبَّس علينا الأمر ، كما وجدت أيضاً
الحب من حولي ، فلا تتهموا قوماً في المطلق بالتطرف والإرهاب والعنصرية ، بل هو

الشخص فقط ما يكون مسئولاً عما يخرج به ، فالإرهاب دين في حد ذاته ، دين الطاغوت ، دين الشر ، واعلموا دائماً أن

((الدنيا دائن ومدين ، فقدموا الخير عندما تكون مديناً ، حتى تراه عندما تدان))
رسالة أخيرة لتلك الأرواح الطيبة التي تركتنا ماديّاً بجسدها ، لكنها لم تتركنا روحياً بل وتعيش فينا ، ومن خلّالنا ، الأرواح التي أحبها واستودعها الله أينما كانت...
فـ (الرفيق يهل على جسدي باحثاً عن مركزه ، حين يعجز أن يجده ، يستل نصلاً نافذاً في أي موقع) من أقوال الرومي.

وعندما ذكرت تلك الجملة التي اقشعر جسدها لما تراه حالياً ، والتي شعرت حينها أنها لربما ماتت على منصة اللقاء ، وروحها تهيم مع الأرواح الأخرى ، زادت دهشتها وهي تردد بذهول

الشيخ سلامة..؟! وعندما يذكر اسم هذا الرجل ، يذكر اسم (الرومي) الذي كان له بمثابة المعلم ، سار على خطاه بل هو من له الفضل في تعليم زوجها سيرة هذا المعلم.
الآن أصبح الشيخ عبدالمحسن سلامة جالساً أيضاً بين صفوف الحاضرين ، وعلى الجانب الآخر ، وما أثاره دهشتها وتأكدت من سلامة وحقيقة ما تراه ، وأنها لا تهذي ، فقد وجدت عائشة التي تستكين بين أبناءها ، تبادل النظرات والإبتسامات للشيخ سلامة الجالس أيضاً ، وكأنهم يعرفون بعضهم ، لم تتحكم محبة في تلك القشعريرة التي تلازمها منذ ظهور عائشة أمامها ، وزادت عندما ظهر الشيخ سلامة الذي يحوطه هائلة ضوء مماثله لما حول عائشة .

لم تدرك محبة حتى الآن ماذا يحدث ، وهي تحاول أن تلتقط آخر إقتباس لأقوال

(الرومي) أمامها قائلة :

“ لم تكونوا كالذي كان لديه الأثناء ولم يحصل على الماء ، ولما حصل على الماء انكسر الإناء ”

حاولوا أن تروا الجمال في كل شيء ممن حولنا ، وامضوا بين الناس بالحب ، واجعلوا ضمائرکم هي مرجعکم ، وضعوا قبله الحب على جبين الحياة .
وسأختم كلامي بتلك الآية التي تزين بوابة مشروع (بيت الله) الذي كان سبباً في حصولي على نوبل (السلام) ، تلك الآية التي توضح علو سمات إلهنا وصفاته العلي القدير ، والذي قرننا الله بالرحمة ، فبسمات الله أقول :

“ بسم الله الرحمن الرحيم.. الله محبة ”

_تبدلت الأوضاع في البلاد في تلك الفترة الأخيرة، خصوصاً بعد ثورة الخامس والعشرين من يناير، اعتلي عمر نصر فيما بعد منصباً كوزير للداخلية، بعدما توفيت عنه زوجته بمرض خبيث تاركة له ابناً وبناتاً، ولم يتوجه أو يبوح بسر حبه وتعلقه الشديد — بحبة والذي مازال يخبئه داخله.

_أصبحت محبة وزيراً للتعليم العالي، بعد نجاح مشروعها (بيت الله) في العديد من شتى المجالات سواء من مناهج الأطفال الأخلاقية والسلوكية ، أو في مجال الصحة والعلاج وحتى في مجالات الترفية ، فضلاً عن التأثير الإيجابي في قضايا الإرهاب والتي أوشكت على الإخفاء على أرض مصر بالذات ، نظراً لنجاح سير مشروعها (بيت الله) في المؤاخاة ، فمن سيقوم بتفجير مسجداً أو كنيسة يفصل بينهما سور بسيط ، أو من هذا الذي يؤدي بحياة أطفال أبرياء .

_قامت محبة بالأهتمام بالكليات التي تنتج المعلمين كالتربية والأدب ، حتى أنها كانت تؤمن أننا بحاجة إلى خلق جيلاً جديداً من المعلمين المتطورين حتى يكونوا قادرين على إنتاج نشيء سليم.

أعلنت من تنسيق تلك الكليات ، حتى أنها أصبحت في مصاف الكليات والتي تستقبل أوائل الطلبة وأفضلهم ممن لا يقل مجموع درجاتهم في الثانوية العامة عن 98 ٪ ، حتى تقوم بإعداد جيل ناجح متطور قادرا على مواكبة التطور العلمي والمناهج العالمية فضلاً عن إعادة تأهيل تلك الكليات التي حازت إهتمامها وإعادة تركيب وزارة التربية والتعليم والإهتمام بالعلم ولاسيما دور الثقافة التي انتشرت.

دائماً ما كانت تؤمن أن الثقافة والعلم هما مكنسة الجهل الذي يقبع ويتملك العقول. أنارت الطريق بفكرها العدول، أصبحت مصر على مشارف الطريق الصحيح وبات شعار المصريين، هو عنوان مشروعها (بيت الله)

((بسم الله الرحمن الرحيم.. الله محبة))

.....

تمت بحمد الله

(إلى من بعث رحمة للعالمين)

نالوا منك وشوهوا سيرتك فقالوا المعتدي

تمشي بين الناس بالسيف وبالنساء تهتدي

تجير العباد وتغزو البلاد وتقتل المرتد

تحفر خندقا دفاعا حولك

ثم نأت نحن أتباعك ونقول غزوة الخندق

أي غزوة تلك يا أتباع النبي؟

فإن كان غازيا !....!

فتمتلئ مصرأ بدماء شهداء العوالم

فهي مقبرة الغزاة وأي عدو مقبل

وكأننا كالحمار نحمل أسفارا ولا ننتقي

فهنيئاً لنا أمة الإسلام !!..!!

نسير علي خطى البشر ونترك كتابا مهنهج

لا ريب فيه ولا عوج... كما أمرنا أن نقتدي

عفوا حبيب الله ..

أخطأنا ... وتعدينا ... وشوهنا

ونحن الآن كغثاء سيلٍ نرتدي قميصاً ممزق

أمرنا أن نتبع .. فضلنا الطريق وتفرقنا

ليس لبضع وسبعون شعبة ..!

بل لكل منا شيخ يملئ عليه التفريق

يقتات من دعوته ويمثل عباءتك

وكانك أرسلت من الله بأجرٍ منمقٍ

وجبريل هو الموكل بوحى التملق

إني أشهدك يا الله إني أبرء من هؤلاء

فأنا عبدك مسلم موحد لا أنتهي لأحزاب

لا هذا ولا ذاك فاجعلني أهلاً للكتاب

أنت إلهي وهو رسولي الذي به أقتدي

أه إذا علموا أنه لا يوجد في الكون مثل

محمد

حقوق النشر والتوزيع محفوظة

ببلومانيا للنشر والتوزيع



ببلومانيا
للنشر والتوزيع

